جـامعة وهران
كلية العلوم الاجتماعية
قسم علم الاجتماع

تخصص: المدينة و المؤسسة الصناعية في الجزائر

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير

سوسيولوجيا المتقاعد في الجزائر

دراسة ميدانية بمنطقة الحنايا (تلمسان)

من إعداد الطالب:
- بداوي محمد

لجنة المناقشة:
- أ. د. حجيج الجنيد، جامعة وهران: رئيسا
- د. مولاي الحاج مراد، جامعة وهران: مقررا
- د. الزاوي مصطفى، جامعة وهران: مناقشا
- د. مرضي مصطفى، جامعة وهران: مناقشا
- د. بلحسن مباركة، جامعة وهران: مدعوة

السنة الجامعية: 2008-2009

الإهداء

أهدي عملي المتواضع هذا إلى والدي

العزيزين و عائلتي فردا فردا، و كل من: أصدقائي، و زملائي و أساتذتي،

و إلى كل من أحبّني و أحب العلم

كلمة شكر

أتقدم بالشكر إلى أساتذة قسم علم الاجتماع بدون استثناء، محترما خبرتهم و تمكنهم الكبير لهذه الشعبة، و أخص بالذكر كل من درّسني من الدكاترة كل واحد باسمه و كل من استفدنا منه قريبا أو بعيد

الفهرس

مقدمة عامة :.....1

الفصل الأول: **المسن و التقاعد في الجزائر**

تمهيد:.....17

I. كبار السن:

تقسيم دورة الحياة (حسب الأعمار):.....18

تقسيم كبار السن (حسب الأعمار):.....20

المسنون في العالم:.....21

المسنون في الجزائر:.....24

II. نظام التقاعد:

المؤسسة الجزائرية:.....25

نظام التقاعد في الجزائر:.....27

أنواع التقاعد:.....30

تطور عدد المتقاعدين في الجزائر:.....31

III. فقدان العمل:

العمل حقل تنظيمي:.....33

التغيّر في الشبكة الاجتماعية:.....34

التغيّر في شبكة العائلة:.....35

التغير في النظرة إلى الذات:.....35

خاتمة:.....37

الفصل الثاني: **تغيّر بنية المحيط الاجتماعي**

تمهيد:.....40

I. النظام الأبوي للأسرة:

الهيمنة الذكورية:.....41
النظام الأبوي في الجزائر:.....43
العائلة الممتدّة:.....45

II. مقوماته:

القيم و المعايير الاجتماعية:.....47
الثقافة و الأسرة:.....48
التنشئة الاجتماعية:.....50

III. عوامل التغير في البنية الأسرية:

التغير الاجتماعي:.....53
عوامل تغيير النمط الأسري:.....55
تغير الأدوار:.....58

IV. البنية النووية للأسرة:

تغيّر النظام الأبوي:.....60
الأسرة النووية:.....61
خاتمة:.....64

الفصل الثالث: **مرحلة التقاعد و نهاية المسيرة المهنية**

تمهيد:.....66

I. مرحلة ما قبل التقاعد:

أسباب التقاعد:.....67
الرغبة في التقاعد:.....70
قرار التقاعد و السياق العائلي:.....72

II. مرحلة التقاعد:

التحضير للتقاعد:.....75

مراحل التقاعد:.....77

التوافق مع التقاعد:.....79

III. مشاكل المتقاعدين:

التقاعد كمشكلة كبار السن:.....81

مشكلة وقت الفراغ:.....84

المشكلات الاقتصادية:.....87

المشكلات الصحية:.....89

مشكلة العلاقات الاجتماعية: (التهميش):.....91

خاتمة:.....95

الفصل الرابع: **خصائص و مميزات كبار السن**

تمهيد:.....97

I. كبار السن و المجتمع:

نظرة الأبناء للآباء المسنين:.....98

نظرة المجتمع للمسنين:.....100

تضامن كبار السن مع المجتمع:.....102

II. الاختلاف و آليات الدفاع عند كبار السن:

الاختلاف الثقافي بين الأجيال:.....105

مقاومة التغيير عند كبار السن:.....108

III. الجانب الروحاني عند المسنين:

العودة إلى الدين:.....110

البعد الروحي عند كبار السن:.....112

إدراك دنو الموت عند كبار السن:.....113

خاتمة:.....115

الفصل الخامس: **المتقاعد داخل الأسرة و في المدينة**

تمهيد:.....117

I. نمط الحياة الأسرية بعد التقاعد:

الحياة الأسرية للمتقاعدين:.....119

الصراع الأسري:.....122

II. سلطة المتقاعد في الأسرة:

عوامل اكتساب السلطة داخل الأسرة:.....124

مشاركة أفراد الأسرة في السلطة:.....126

رمزية سلطة الأب:.....128

III. أماكن تواجد المتقاعدين:

المتقاعد في البيت:.....131

المتقاعد في المقهى:.....132

المتقاعد في المشراق:.....133

أماكن تمركز المتقاعدين:.....135

IV. نشاط و خبرة المتقاعد:

المتقاعد و الترفيه:.....136

العمل بعد التقاعد:.....138

خبرة المتقاعد و الجيل الجديد:.....140

خاتمة:.....142

خاتمة عامة:.....144

قائمة المراجع:.....147

الملحق

الفصل الأول

المسن و التقاعد في الجزائر

تمهيد:

الملاحظ في المجتمع أن الفرد في غالب الأحيان يُنعت بالوظيفة التي يمارسها، فهي جزء من هويته كقولهم فلان النّجار أو اللّحام أو البنّاء... و بمجرد ذكر الوظيفة تُعطى صورة لهذا الشخص خاصة مكانته بينهم و للعمل دور كبير في الحكم على الإنسان إن كان إيجابيا أو سلبيا، نشطا أم كسولا، يعمل بيده أو بذهنه، قائدا أو مرؤوسا...

و لأهمية العمل في حياة الإنسان و بدرجة كبيرة اعتباره كحق لكل إنسان في الحياة لقضاء حاجياته فأصبح ينظم بطريقة يسمح فيها لكل إنسان بالعمل، كما يمنح فترة للراحة حسب قوته الجسدية و الذهنية، فالصّغير لا يعمل حتى بلوغه سن الرشد و ينقطع عنه في سن الشيخوخة و الإحالة على التقاعد.

ليعطي العمل مرّة أخرى صورة للفرد عند فقدانه و إحالته للتقاعد بأنه أصبح كبير السن و يُنعت بالشيخ " فسن الشيخوخة ترتبط بدرجة كبيرة بالهياكل الوظيفية التي تحدّد بدورها فئة كبار السن بين فئات عمر المجتمع و لا جدال أن الأخذ بهذا التعريف يمثل إجراء يتصف بشدة الإجحاف لذا تفترض أن بلوغ شخص لعمر زمني معين يفقده القدرة على مواصلة القيام بالعمل الذي كان يباشره قبل بلوغه هذا السن، بينما نلاحظ أن بعض مجالات العمل الأخرى كالرياضة أو الخدمة في القوات المسلحة تتيح لأفرادها ترك وظائفهم في سن مبكرة نسبيا دون إدراجهم في عداد المسنين..."[1]

كما أنه بعض المجالات لا تعترف بسن التقاعد كالسياسة و المجالات التي تتطلب خبرة كبيرة. و يبقى سن الشيخوخة صعب التحديد بشهادة الميلاد إلا أنّه الاتجاه السائد، و هو ما تَتَّبِعُه الحكومات و المصانع و أصحاب العمل في تحديد موعد إحالة الموظفين من العمل إلى التقاعد.و تنظيم التقاعد يتم بلوائح قانونية و مواد موجودة في قانون العمل يُحَدَّد فيها سن التقاعد و مدة العمل الفعلية التي تسمح للعامل بالحق في الإحالة على التقاعد كما تسمح لبعض العمال بالتقاعد المسبق، و كيفية حساب المعاش، كما تندرج عدة فئات أخرى كالمجاهدين و العمال غير الأجراء و غيرهم.

يُعتبر التقاعد حق للعامل كبير السن على المجهودات التي قدّمها خلال مسيرة عمله، و لكنّها بالنسبة للمتقاعد تغيير كبير في حياته الشخصية و الاجتماعية بعد فقدانه العمل المعتاد " فبذهاب هذا المنصب

[1] www.publications.ksu.edu.sa." دور الدولة في رعاية المسنين " لنسيمه حسنين بدرة.

يقل المرتب و تزول المكافآت و التحفيزات و العلاوات و الترقيات كخسارة مادية و الخسارة الإنسانية حيث ينصرف عنه زملاؤه و يحس بعدم الكفاءة و النشاط و الحركة، و خسارة معنوية بسحب صلاحياته و سلطته المرتبطة بموقعه في العمل "[1]، و تساعده في إعادة النظر إلى الذات كل من فقدانه للشبكة الاجتماعية و العملية، و تراجع قوته و نشاطه و زيادة على نظرة المجتمع و خاصة أعضاء الأسرة.

I. كبار السن:

1. تقسيم دورة الحياة (حسب الأعمار):

من طبيعة الإنسان أنه يطرأ عليه عدة تغيرات فسيولوجية في الغالب تحدد دخوله إلى فئة عمرية معينة و ينتقل من مرحلة الطفولة إلى الشباب إلى الكهولة فالشيخوخة، و في أي مرحلة يشارك باقي الأجيال السالفة أو الخالفة في زمن واحد و مجتمع واحد. و هذه التصنيفات تمتاز كل واحد عن أخرى و " هذا التقطيع يكشف مميزات سوسيواقتصادية، الأغلبية: أقل من 18 سنة لهم الوقت و لكن لا يربحون أموالا بعد، و في سن:40 سنة يربحون أموالا لكن ليس لهم وقت، أكثر من:65 سنة لهم وقت جديد و أموال مكدّسة."[2]

و على أساس هذا التقسيم تقوم المؤسسات و الهيئات الرسمية على وضع برنامج يكون فيها الأطفال في المدرسة، الشباب الراشد في مرحلة تكوينية و تحضيرهم للدخول إلى العمل مقابل خروج كبار السن و من بلغ 60 سنة كمرحلة تتميز بالضّعف و التّراجع في مردودية العامل على المستوى الذهني و الجسدي، فالضعف في مرحلتي الطفولة و الشيخوخة و القوة في الشباب هي سُنّة من سُنَنِ الله في خلقه، و هذا التقسيم للأعمار يخضع لقانون الحالة الصحية للإنسان و ليس لأرقام محددة، و الانتقال من مرحلة و من فئة إلى أخرى يكون بشكل تدريجي، و ليس بشكل مباشر.

و مع بلوغ الإنسان سن الستين أو الخامس و الستين، تبدأ عملية التغيير بشكل بطيء و التطور للاتجاه العكسي و المخالف للنمو في المراحل السابقة الذي كان يتجه إلى التحسّن و الرقي و التنمية بمعدلات مختلفة، و عند الوصول إلى الشيخوخة يبدأ المؤشر إلى النزول بشكل بطيء حتى يصل الإنسان إلى حالة

[1] كمال إبراهيم مرسي، كبار السن و رعايتهم في الإسلام و علم النفس، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2006، ص: 159.
[2] MORIN. J, op.cit, p : 80.

متقدمة من العمر و الضعف على جميع المستويات[1]، لدرجة أن الإنسان لا يكشف التحوّل من مرحلة إلى مرحلة إلى حدوث بعض الظواهر التي تدل على أنّه تخطى مرحلة الكهولة مثلا و دخل في مرحلة معروفة بصفات و مميّزات يكتشفها في نفسه، و أوّل تغيير مرحلي يعبر عن الدخول إلى الشيخوخة هو الدخول في سن التقاعد، و ليس الخروج من الحياة المهنية لأنه هناك تخلي عن العمل في سن مبكرة من خلال التقاعد المبكر.

و ثانيا إصابة الشخص في صحته مع تقدم عمره، فيُعيد تمثّلاته تجاه ذاته و تجاه العالم ليقول:" لست دائما كما كنت! " و " الأشياء ليست كما في السابق! "، أنا مسن الآن.

ثالثا العيش مع شخص مسن محبوب ثم فقدانه، خاصة الزوج أو الزوجة فيُحسّ الآخر بأنه قد كبر في السن بعد موت الآخر.

رابعا هو تجربة ترك مكان العيش إلى مكان آخر، كالانتقال من البيت الخاص إلى دار العجزة مثلا [2] بالإضافة إلى نظرة باقي المجتمع إلى هذا الإنسان خاصة بعد التطوّرات المظهرية، و قدراته عند التعامل مع الآخرين.

فالمجتمع يقرّر متى ينادي هذا الإنسان بالشيخ أو الحاج، و يعامله برأفة و بحرس على أنه كبير في السن كما يساعد ذلك استعداده النفسي لتقبل هذا التغيير و اقتناعه الخاص الذي يترسّخ بصفة تدريجية.

و عند بلوغ هذه المرحلة أي الشيخوخة يجد الفرد نفسه ينتمي إلى أصناف أخرى، و فئات عمرية في هذه المرحلة الكبيرة بارتفاع أمل الحياة لتوفر الرعاية الصحية و عوامل أخرى.

2. تقسيم كبار السن (حسب الأعمار):

[1] سيد سلامة إبراهيم: مرجع سابق، ص: 103.

[2] RIPON. A, éléments de gérontologie sociale, Privat, Toulouse, 1992, p : 38.

عندما نقول أن هذا الإنسان مسن فقد حكمنا عليه بالانتماء إلى مرحلة عمرية متأخرة بما تتميّز من ضعف و هوان، إلاّ أن العلماء يُقسّمون هذه المرحلة حسب الفئات العمرية و مميّزات كل فئة عن أخرى.

و فئات كبار السن تنقسم إلى ثلاث مراحل كالآتي:

أ- مرحلة كبر السن المبكرة:

و هناك من يصنفها حسب الفئة العمرية: 65 إلى 74 سنة، و هي الفترة الأولى التي يدخل فيها الإنسان مرحلة الشيخوخة و المعروفة بالمسن النشط، و المفيد للمجتمع، و يتميّزون في الأغلبية بصحة جيدة و استمرارية في العمل، و بغنى عن مساعدة الآخرين.

ب- مرحلة كبر السن الوسطى:

و تصنف حسب الفئة العمرية: 75 إلى 84 سنة، و هي الفترة الثانية و المرحلة الموالية التي يتخطاها الشيخ بعد دخوله في فئة الشيخوخة، و يُعرف الإنسان بالمسن الكبير أو الشيخ الكبير، و تتميز هذه المرحلة بالضعف و عدم القدرة على العمل، و ضعف الصحة الجسدية و الذهنية.

ج- مرحلة كبر السن المتأخرة:

و تصنف حسب الفئة العمرية: 85 سنة فأكثر، كمرحلة ثالثة من فئات كبار السن، يُعرف الإنسان فيها بالشيخ الهرم أو المعمِّر، تتميز بالتراجع الكبير في الصحة لدرجة ملازمة الفراش و الحاجة الماسة للآخرين للمساعدة في الحياة اليومية.[1]

و كما هو متعارف عليه أن السن التي يبدأ فيها الإنسان يُعَدُّ من الكبار هي سن الستين سنة، و في الغالب تمتد هذه الفترة ما بين: 60 و 100 سنة، أي تستمر 40 سنة و قد قسمّت هذه الفترة:

أ- حسب كافان (CAVAN) عام 1949: هناك ثلاث مراحل فرعية:

- مرحلة الكبر المبكر
- مرحلة الكبر الوسطى
- مرحلة الكبر المتأخرة

[1] كمال إبراهيم مرسي: مرجع سابق، ص: 29.

و كل مرحلة تستمر فترة زمنية غير معلومة حسب طبيعة الإنسان و اختلافاته الفردية و تعقيداته.

ب- أما هورلوك (HURLOCK) 1980: فقد قسّم هذه الفترة إلى مرحلتين فقط:

- كبر السن المبكر: و تمتد من: 60 إلى 70 سنة

- كبر السن المتقدمة: و يبدأ من 70 سنة و يمتد حتى نهاية العمر.

ج- و كمال أغا ميّز بين المراحل على النحو التالي:

- الكهل: و هو من كان في سن: 60 إلى حوالي 75 عاما، يساهم في الحياة النشطة، و ما زال يعمل و يقدم المنفعة لأفراد المجتمع.

- الشيخ: و هو من كان في سن: 75 إلى 85 سنة، توقّف عن الحياة النشطة، ضعيف و ملازم البيت غالبا.

- الهرم: و هو من كان في سن: 85 عاما فأكثر، غالبا ما يلازم الفراش.

-المعمّر: و هو من بلغ سن: 100 فأكثر[1]

و تبقى تصنيفات هذه المراحل غير معيّنة بشكل دقيق لأنها تخص كائن بالغ التعقيد، فهذه التصنيفات تخضع لمميّزات كي تنفرد مرحلة عن أخرى، و هذه المميّزات مرتبطة بصحة الإنسان، و ظهور علامات الشيخوخة و قدرته على المساهمة في المجالات المتعدّدة لهذا الأخير.

فهذه التصنيفات العمرية غير ثابتة و تختلف من مجتمع لآخر حسب ثقافته و نظرته لكبير السن، و المعايير التي يحكم بها عن تخطيه لهذه المرحلة أو تلك.

3. المسنون في العالم:

تدع هيئة الأمم المتحدة كل بلدان العالم لعقد المؤتمرات لدراسة ظاهرة شيخوخة السكان، و ما يعانيه من مشكلات تنموية من جراء تضاعف أعداد المسنين و كذا مشكلات اجتماعية، و تتوقع ارتفاع عدد المسنين ثلاث أضعاف ما هو عليه من 600 مليون إلى مليارين مع سنة:2050 [2].

حيث وضعت شعبة السكان في الأمم المتحدة عدة تقارير حول الشيخوخة منذ عام:1956، و توقعات سنة: 2050 في العالم، و يعرض التقرير النتائج التالية:

[1] سيد سلامة إبراهيم: مرجع سابق، ج2، ص: (26، 27).

[2] مجلة التقاعد، السعودية، العدد الأول، يونيو 2002، مقال: مشروع (مارشال) دولي لرعاية المسنين، ص: 6.

أ- شيخوخة السكان هي ظاهرة مستجدة لم تعرف عبر التاريخ، و تتميّز بارتفاع نسبة السكان الذين تقدم عمرهم أي الستين سنة فما فوق على حساب انخفاض نسبة الصغار دون الخامسة عشر من عمرهم حيث في سنة:2050 سيتجاوز عدد كبار السن في العالم عدد الشباب لأول مرة في التاريخ، و قد سبق ذلك المناطق الأكثر تقدما ليظهر هذا التغيّر منذ سنة: 1998.

ب- شيخوخة السكان ظاهرة عالمية تمس الرجال و النساء ممن هم في سن العمل، حيث تؤثر على المساواة و التضامن بين الأجيال المختلفة، و حتى بين أبناء الجيل الواحد.

ج- شيخوخة السكان ظاهرة ضاربة في العمق و لها آثار و نتائج على جميع جوانب الحياة، ففي الميدان الاقتصادي ستؤثر على النمو الاقتصادي و المدخرات، الاستثمار و الاستهلاك، و أسواق العمل و المعاشات التقاعدية، و الضرائب، و اختلاف في دورة العمل بين الأجيال، كما في المجال الاجتماعي لها تأثير على الصحة، تكوين الأسرة، المعيشة، الإسكان، الهجرة، و في المجال السياسي لها تأثير على أنماط التصويت و التمثيل السياسي.

د- استمرار ارتفاع أعداد المسنين خلال القرن: 20، و يُتوقع أن يستمر الارتفاع مع القرن: 21 حيث كانت نسبة المسنين 8% عام: 1950، و وصلت إلى 10% عام: 2000، و من المتوقع أن تصل إلى 21% عام: 2050.

و من النتائج الهامة الأخرى التي توصل إليها التقرير ما يلي:

- اتجاه بلوغ السكان سن الشيخوخة من المتعذر عكسه إلى حد كبير، إذ لا يرجع أن تعود فُتوّة السكان التي سادت في الماضي.

- الارتفاع في معدل الشيخوخة ناشئ عن تحول ديموغرافي في معدلات الخصوبة و الوفيات من الارتفاع إلى الانخفاض.

- مع بداية القرن:21 بلغ عدد كبار السن بين سكان العالم 600 مليون نسمة تقريبا أي ثلاثة أضعاف الذي سجل قبل 50 سنة.

- عدد السكان المسنين في العالم أخذ في الارتفاع بمعدل 2% سنويا، أي أن عددهم يزيد بسرعة تفوق معدل الزيادة السكانية ككل ليصل معدل الزيادة للبالغين سن: 60 سنة فأكثر 2,8% سنويا في الفترة ما بين:

2030-2025 و سيتطلب هذا النمو إجراء عمليات تكيّف اقتصادي و اجتماعي بعيدة الأثر في معظم العالم.

- تفاوت نسب و أعداد المسنين من منطقة إلى أخرى، ففي المناطق الأكثر تقدما بلغت نسبة كبار السن الخُمُسْ عام: 2000 و من المتوقع أن تصل إلى الثُلُثْ عام: 2050، و نسبتها في المناطق النامية 8% و المتوقع أن تصل إلى 20% من السكان عام: 2050.

- يقدر متوسط أعمار البشر في العالم سنة 1998: 26 سنة و أعلى نسبة للشباب في اليمن حيث يبلغ متوسط العمر 15 سنة، و أعلى نسبة للمسنين في اليابان حيث بلغ متوسط العمر 41 سنة، و من المتوقع سنة: 2050 سيزيد متوسط العمر ليرتفع إلى 36 سنة، ليكون أعلى معدل للشباب في النيجر بمعدل 26 سنة و أعلى نسبة للمسنين في إسبانيا ليصل متوسط العمر آنذاك 55 سنة.

- يزداد معدل التقدم في السن ارتفاعا بين كبار السن و أسرع فئة عمرية نموا هي من بلغوا الثمانين فأكثر و هي تزيد بنسبة 3,8% و تمثل عُشُرْ مجموع عدد المسنين.

- في فترة ما بين 1950 و 2000 هبطت نسبة الدعم المحتمل إلى 12 شخصا مقابل شخص كبير السن و في منتصف هذا القرن تنخفض لتصل إلى 4 أشخاص في سن العمل بالنسبة لكل شخص في الخامس و الستين.

- أغلبية كبار السن من النساء حيث أمل الحياة المتوقع للمرأة أعلى من أمل الحياة المتوقع للرجل، حيث يزيد عدد النساء على الرجال و هذا في عام 2000 ب: 63 مليون، و في المراحل العمرية المتقدمة يزيد بخمس أضعاف عدد الرجال.

- الفئة العمرية التي تزيد عن 85 سنة و التي تتطلب رعاية صحية فائقة في الأسرة بلغ عام 2000 4% من كبار السن ما فوق 60 سنة و المتوقع أن يصل إلى 11% بحلول سنة:2000.

- تبلغ نسبة الرجال البالغين من العمر ستين سنة أو أكثر ممن يشاركون في النشاط الاقتصادي 21% بالمقارنة بنسبة 50% من الرجال في المناطق الأقل تقدما.

- نصف عدد الأشخاص ممن بلغوا سن الستين سنة فما فوق في البلدان أقل نموا من الأُمِيِّين ذلك سنة: 2000.[1]

و الجزائر كبلد يشهد ارتفاع في الخصوبة و رقي الرعاية الصحية عرف تغيّرا في الهرم السكاني و لو بشكل غير كبير إلا أنه مؤثر على بنية المجتمع.

4. المسنون في الجزائر:

إذا ما تكلمنا عن شيخوخة السكان تبادر إلى ذهننا الدول الأوربية لأنها تعرف هذه الظاهرة منذ سنوات عدّة، و هي متواصلة في تفاقمها عكس ما هو عليه الوضع الديموغرافي للجزائر حاليا التي تعرف نسبة شباب تقدر بحوالي: 75% من عدد السكان ككل، إلا أنه هناك معايير تجعلنا نتنبّأ بتحوّل هذه الظاهرة أي الشيخوخة إلى بلادنا مثل: تأخر سن الزواج عند الجنسين، و قلّة الإنجاب حيث أن " نسبة الزيادة الطبيعية قدرت ب: 1,86 % في سنة: 2007 مقابل 2,494 % سنة: 1990 "[2]، و مع توفر العناية الصحية ممّا زاد من أمل الحياة عند كبيري السن هذه العوامل أدت إلى تغير ملموس في هرم السكان لتصبح القاعدة تضيق أي عدد الأطفال مقابل اتساع القمّة و الوسط أي الشباب و الشيوخ، حيث صرّح وزير التضامن الوطني جمال ولد عباس أن " عدد المسنين بالجزائر بلغ العام: 2008 ب:3.5 ملايين شخص أعمارهم أكثر من 60 سنة أي ما يعامل 10% من السكان، و أشار أن العدد ارتفع كان يقدر ب: 2 مليون شخص العام 1998 "[3].

نرى أن عدد الأشخاص يرتفع بشكل كبير في مدة تقدر ب: 10 سنوات زاد فيها عدد السكان الأكثر من 60 سنة بمليون و نصف كما أن " عدد السكان كبيري السن ارتفع على مرِّ الفترة الممتدة ما بين 1987 و 1998 بمستوى 4 مرات أسرع مقارنة بفئة أقل من:20 سنة حسب وزارة الصحة و السكان ".[4]

[1] مجلة التقاعد، العدد:2 السنة الأولى، البحرين، ديسمبر 2002، ص: (30، 31)، مقال: عدد المسنين في العالم يسير نحو الارتفاع مما يحتم ازدياد الطلب على الرعاية طويلة الأجل، لفوزي أمين.

[2] www.ONS.dz

[3] مقال: " على خلفية صعوبة المعيشة و قلة التفاؤل بالمستقبل، شبح الشيخوخة يزحف نحو المجتمع الجزائري" لفتيحة بوروينة، www.islamonline.net 2008/07/17.

[4] Revu : Bien être, le magazine de toute la famille," le papy boom" par Amina Géhanne , éd : Alpha Disigne, Algérie, mais 2007, n=° 32, p : 9.

نسبة 10% من كبيري السن في الجزائر لا تعني شيخوخة المجتمع الجزائري إلا أنها تمثل نسبة لا يُستهان بها لأن 3,5 مليون من الأشخاص كبيري السن عدد كبير و يكبر مع مرور الوقت، ليصل أمل الحياة لسنة: 2007 إلى 74,7 بالنسبة للرجال و 76,8 بالنسبة للنساء، و ليصرح وزير التضامن جمال ولد عباس أن: " شخصين في الجزائر تجاوزا 126 سنة و 96 شخص تزيد أعمارهم عن 100 سنة "[1] خلال سنة 2008.

هذه الأرقام و النسب الحالية، إلا أنه في آفاق الأعوام الآتية تستدعي شيئا من الترتيب و إعادة النظر و التحضير لإستراتيجية تسير عليها البلاد لأن الجانب الديموغرافي له تأثير كبير على بنية المجتمع و حركته " ONS (الديوان الوطني للإحصائيات) قدر أمل الحياة ب: 75,5 سنة بالنسبة للرجال و 77,1 سنة بالنسبة للنساء في أفق 2009-2010، و أمل الحياة للجزائريين يزيد كذلك في النمو ليصل حتى 79,4 سنة بالنسبة للرجال و 81,4 سنة بالنسبة للنساء في أفق 2029-2030، حيث في أفق 2030 تبدأ صيرورة شيخوخة السكان فحسب l'ONS هناك في هذه الفترة إلا 29,64% للأشخاص ذو العمر أكثر من 60 سنة يمثلون 14,70% من عدد السكان العام 2030 مقابل 6,80% في سنة:2000 "[2].

ينتقل عدد الأشخاص المسنين و يزيد عام بعد عام، ليصل المجتمع الجزائري بعد سنوات إلى ظاهرة الشيخوخة، و بزيادة عدد الأشخاص الأكثر من 60 سنة، يزيد عدد المتقاعدين و مَن أَنْهَو مشوارهم المهني، و على الباحثين معرفة هذه الفئة أكثر و الاهتمام بمجال علم الاجتماع الشيخوخة للتهيئة لنظرة مستقبلية و التحضير لما هو آت.

II. نظام التقاعد:

1. المؤسسة الجزائرية:

شهدت المؤسسة الجزائرية عدّة تغييرات في نمط تسييرها، ليوافق إستراتيجياتها ضمن نظام اقتصادي معين و عندما نتكلم عن المؤسسة الجزائرية تكون الانطلاقة من سنة الاستقلال 1962 ، حيث غادر المستعمر و اضطر العمال الجزائريون لتسيير هذه المؤسسات بأنفسهم ما يعرف بالتسيير الذاتي الذي كان أمرا واقعا، و لا يمتد من أي إيديولوجية واضحة،و استمر هذا النمط حتى سنة 1965. ثم مرحلة التسيير البيروقراطي الذي

[1] www.islamonline.net, op.cit.
[2] Bien être, op.cit," pour un meilleur cadre de vie", par Maïssa Mahraz, p : 13.

تميّز بنقص المشاركة العمالية و في سنة: 1971 طبق التسيير الاشتراكي[1] الذي كان هدفه اجتماعي أكثر من اقتصادي و ظهرت ما يعرف بالبطالة المقنعة.

سنة: 1988 كانت نقطة تحوّل كبيرة مع الإصلاحات السياسية و الاقتصادية ، و بعد هذه الفترة عرفت المؤسسة الجزائرية مرحلة استقلالية المؤسسات تحضيرا للدخول في اقتصاد السوق.

" إن هذه التحولات التي عرفتها الجزائر منذ سنوات الاستقلال ، كان لها أثر على مستوى المجتمع المحلي فلا يمكن تصوّر حدوث تغيرات اجتماعية، اقتصادية، سياسية و ثقافية في البلاد بدون حدوث نوع من التحوّل في البنيات الاجتماعية و الثقافية للمجتمع المحلي "[2]، حيث أن العامل هو المستهدف الأوّل في مشاريع التنمية من خلال الحراك المهني و ما يتبعه من حراك اجتماعي، فعندما تنتعش سوق العمل يتم التوظيف و عندما يتضرّر الاقتصاد و سوق العمل يتم التسريح، و من الآليات المستعملة في هذا الظرف هو التقاعد و التخفيض من عدد العمال.

بعد خروج العامل من المؤسسة و بعد مروره بعدة تغيرات اجتماعية، تظهر تصرّفات و سلوكيات جديدة مُستمدّة من بنية اجتماعية و ثقافية جديدة، و الخروج من التنظيم المؤسساتي و الإحالة على التقاعد يكون من طريق تخطيط استراتيجي، و التنمية البشرية متأثرة بنمط الاقتصاد و العامل الديموغرافي و الجغرافي.

و كان تحول الاقتصاد الجزائري من الاشتراكية إلى اقتصاد السوق سبب في إحالة عدد كبير من العمال الجزائريين على التقاعد و منهم من لم يبلغوا سن الستين، السن الذي يعتبر السن القانوني للتقاعد، و مع محاولة إصلاح المؤسسات و مسايرتها للتقنيات الجديدة، أصبحت التكنولوجيا و الآلة تعوض اليد العاملة ليصبح هناك فائض في عدد من العمال ليُصرّحوا خارج المؤسسة، و الضحية الأولى العامل كبير السن بحجّة عدم مسايرة التطوّر الكبير و السريع.

[1] محمد الصغير بعلي ، تنظيم القطاع العام في الجزائر (استقلالية المؤسسات)، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1992، ص: (9، 10).

[2] مولاي الحاج مراد، العمال الصناعيون في الجزائر، ممارسات و تمثلات: دراسة ميدانية بثلاث مؤسسات صناعية بمنطقة طرارة، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2005، ص: 24.

2. نظام التقاعد في الجزائر:

يندرج في قسم لا يتجزّأ من الضمان الاجتماعي الجزائري، النظام الوطني للتقاعد ، و تطوّر في وظيفته مع التطور الذي عرفته البلاد في التخطيط الاقتصادي و الاجتماعي، و كانت إعادة الإصلاح عن طريق قانون 1983 و الذي وضع نهاية للاختلافات في النصوص التشريعية و القانونية:

تعدد أنظمة التقاعد، تعدد الصناديق، اختفاء مميزات خدمة قطاع و نشاط مقابل الآخر.

كنتيجة، سهر إعلان النصوص التي تحمل إصلاح الضمان الاجتماعين، وجود 8 أنظمة:

- نظام عام لعمال الصناعة و التجارة المسيّر عن طريق الصندوق الجزائري لتأمين الشيخوخة (C.A.A.V).
- نظام الفلاحة لعمال الزراعة مسيّر عن طريق الصندوق الوطني للتبادل الفلاحي (C.N.M.A) و أجهزتها المنتشرة على مستوى جهوي (C.R.M.A).
- نظام الموظفين مسيّر عن طريق الصندوق العام للمتقاعدين (C.G.R).
- نظام الموانئ مسيّر عن طريق صندوق الضمان الاجتماعي للموانئ (C.S.S.M).
- نظام عدم الأجراء مسيّر عن طريق صندوق تأمين الشيخوخة لعم الأجراء (C.A.V.NO.S).
- نظام عمال البحر مسيّر عن طريق مؤسسة الضمان الاجتماعي لعمال البحر (E.P.S.G.M).
- نظام الأشخاص التابعين لسونلغاز (SONALGAZ) مسيّر عن طريق صندوق الاحتياط و النشاط الاجتماعي (C.A.P.A.S).
- نظام الأشخاص التابعين لسكّة الحديد (SNTF)، تسيير مباشر للمؤسسة الوطنية لسكك الحديد (C.P/SNTF).

أ- نظام التقاعد:

نظام التقاعد في الجزائر مطبّق منذ 1 يناير 1984 يمثل نظام التأمين الضريبي المتميز عن طريق التضامن ما بين الأنشطة و المتقاعدين الموظفين حول مبدأ التوزيع.

ترتيب المواد 1 و2 لقانون 12-83 تعرف الهدف و المبادئ لهذا القانون:

توحيد النظام بالنسبة لكل الأجراء، توحيد القوانين المتعلقة بتقويم الحقوق، و المميّزات، و الجانب المالي.

بالمقابل لهذه المبادئ، نظام التقاعد يتميّز ب:

- حقل الضمان الذي يغطيه، أي الأجراء المعنيين بترتيبات هذا القانون (كل العمال مهما كان نشاطهم)

- مستوى القرض الذي يمكن أن يوضع على قدر كبير (يستطيع الوصول إلى 80% و حتى 100% من الأجر).

- توحيد العمر الشرعي للإحالة على التقاعد ب: 60 سنة، مع ذلك امتيازات بالنسبة للفئات الخاصة (النساء العاملات، المجاهدين..الخ).

- أدنى منحة حسب الأجر الأدنى المضمون (حاليا 75% من S.N.M.G).

- تثبيت لأجل المسيرة المهنية (أقصاها)، المدة القصوى 32 سنة.

- حساب المعاش على متوسط الأجر لخمس (5) سنوات الأخيرة أو خمس أحسن سنوات للمسيرة المهنية

- إعادة التقويم السنوي للمعاشات و منح التقاعد.

ب- مميزات الخدمة: النظام الوطني للتقاعد يضمن المميزات التالية:

- معاش تقاعد للعمال أصحاب النشاط

- منحة التقاعد لتقدير العمال الذين لم يتوافقوا مع شروط العمل المطلوبة، و لكن الذين يستطيعون الثبات على الأقل 5 سنوات أو 20 × (3 أشهر).

- معاش منقول يمتاز بالخدمة: الزوج غير المتوفى، الأيتام، الصواعد.

- معاش التقاعد: الأشخاص الأجراء، العاملين في التراب الوطني في أي عنوان أو أي مكان كان لصاحب أو لعدد من أصحاب العمل أو فرع لأصحاب عمل.

ج- شروط العمر: العمر القانوني للحصول على معاش التقاعد تُبّث على: 60 سنة للرجال، و 55 سنة للنساء.

د- تقليص العمر:

المشتركين الذين يقلصون من عمرهم في الإحالة على التقاعد:

- خمس سنوات للمجاهدين (المشاركين في حرب التحرير الوطني)

- عام لكل طفل و في الحدود ثلاث أعوام، للعمال ذو الجنس الأنثوي اللواتي وضعوا طفلا أو أكثر خلال على الأقل تسع (9) سنوات.

- خمس سنوات للقاصرين.

هـ-إلغاء شروط العمر: لا يشترط للعمر بالنسبة لمنح معاش تقاعد في الحالتين التاليتين:

-أين العامل يصبح غير قادر عامة و بصفة نهائية على مشاركته في المعاش.

- أين العامل له صفة مجاهد، تبريره لعدد من السنوات يعطيه الحق في نسبة للمعاش تساوي: 100%.

و- شروط العمل:

- أجل التأمين المطلوب: من أجل الاشتراك و الحصول على التقاعد، العامل لا بد أن يعمل لمدة لا تقل عن: 15 سنة، هذه الفترة لا بد للعمل الفعلي فيها و منح لاشتراكات الادخار لمدة لا تقل عن: 7 سنوات و نصف.

- حساب السنوات الفعلية تكون حسب القواعد التالية: تعتبر و تحسب كسنة تأمين، السنة التي يعمل فيها على الأقل 180 شهرا أو 1440 ساعة عمل.

و إثبات 3 أشهر، الثلاثية التي يعمل فيها 45 يوما أو 360 ساعة عمل.

ز- التقاعد بدون شروط العمل:

حسب القانون 13-97 يسمح بالتمتع بمعاش التقاعد قبل العمر المحدد في القانون 12-83 في الحالات التالية:

- بدون شروط للعمر بالنسبة للعمال الأجراء الذين أتموا العمل باشتراكات الادخار 32 سنة على الأقل - انطلاقا من 50 سنة، العمال الأجراء الذين عملوا و ساهموا في اشتراكات الادخار لمدة 20 سنة على الأقل، و تنقص ب: 5 سنوات بالنسبة للنساء.

ح- حساب معاش التقاعد: قيمة المعاش تحسب حسب سنوات التأمين و حسب الأجر القاعدي أي تنزع كل المنح الإضافية (النقل، الإطعام، منح المنطقة، الخطر...)

النسبة: لكل عام له الحق في 2,5%.[1]

3. أنواع التقاعد:

يختلف نوع التقاعد حسب الطريقة التي يحال بها العامل إلى التقاعد، و كذا مدة العمل التي يقضيها و السن القانوني الذي تحدّده الإدارة للتقاعد المباشر، و رغبة العامل لإنهاء مساره المهني.

[1] www.CNR-dz.com.

أ- التقاعد المباشر: للعامل الحق عن التوقف بشكل قانوني إذا بلغ من العمر 60 سنة، و استوفى على الأقل 15 سنة من العمل بالنسبة للرجل، و 55 سنة بالنسبة للمرأة العاملة مع 15 سنة عمل على الأقل و أن يكون قد قضى العامل خلالها نصف المدة عملا فعليا أي 7,5 سنة، كان خلالها يدفع اشتراكات خاصة بالتقاعد إلى صندوق الضمان الاجتماعي .[1]

و إذا لم يكن قد بلغ العامل 15 سنة عملا يمتد العمل، و يؤجل التقاعد إلى سن: 65 سنة.

و يمكن للعامل الحصول على التقاعد دون أن يبلغ السن القانوني بطلب منه و هذا في حالة:

ب- التقاعد دون شروط السن: إذا كان العامل يستوفي مدة عمل تقدر ب: 32 سنة من العمل و التأمين، بإمكانه الاستفادة و بناءا على طلبه لمعاش التقاعد بصفة كاملة.

و قد وُضعت المادة 83-12 من القانون المتعلق بالتقاعد لمراعاة العمال الذين باشروا عملهم في سن مبكرة، و نادرا ما تكون مدة المسيرة المهنية للعامل 32 سنة قبل السن القانوني للتقاعد.[2]

ج- التقاعد النسبي: يمكن للعامل طلب الإحالة على التقاعد إذا بلغ سن 50 سنة على الأقل، و مدة عمل و اشتراك في الضمان الاجتماعي لا تقل عن 20 سنة بالنسبة للرجل، أما المرأة العاملة فتنخفض 5 سنوات من السن و مدة العمل، ليصبح بإمكانها طلب الإحالة على التقاعد في سن: 45 سنة، و مدة عمل تقدر ب: 15 سنة.

و تحسب النسبة بناءا على مدة العمل، مثلا: 25 سنة عمل مضروبة في 2,5. ← 25 × 2,5= 60%.

د- التقاعد المسبق: هو نظام يسمح بتعويض العمال الذين فقدوا عملهم بصورة لا إرادية، حيث يحال العامل على التقاعد بصفة مسبقة خلال فترة قد تصل إلى عشرة (10) سنوات قبل بلوغ السن القانونية للتقاعد. و ذلك في إطار تسريح العمال لأسباب اقتصادية سواء للتقليص من عدد العمال أو بسبب توقف المؤسسة المستخدمة عن النشاط.[3]

و من لم يبلغ مدة عمل تقدر ب:15 عاما، و بلغ 60 سنة يمكنه الحصول على:

[1] تساؤلاتكم القانونية، Bert، الجزائر، 2006، ص: 3.
[2] نفس المرجع، ص: 4.
[3] تساؤلاتكم القانونية، نفس المرجع، ص: 34.

هـ- منحة التقاعد: و يمنح للمتقاعد الذي بلغ سن 60 سنة، و لم يستوفي مدة عمل المقدرة ب: 15 سنة منحة تقاعد إذا ما كانت مدة العمل تقدر ب: 5 سنوات أو 20 فصلا على الأقل من العمل و التأمين. تحسب بعدد سنوات العمل زائد علاوة الزوج المكفول، و لا ترفع إلى الحد الأدنى.[1]

مع إمكانية تحويل المعاش إلى معاش منقول في حالة وفاة هذا المتقاعد للورثة حسب شروط حددها القانون. كما هناك وجود لنظام فئة المجاهدين الذين قد شاركوا في حرب التحرير الوطني. و العمال غير الأجراء.

4. تطور عدد المتقاعدين في الجزائر:

يزيد عدد المسنين الذين بلغوا سن: 60 سنة فأكثر بصفة طردية في الجزائر، و يتبعه زيادة في عدد المتقاعدين على مرّ السنوات ليصل في: 31-12-2006 العدد 993977 متقاعد مباشر، و 4282 تقاعد مسبق، و 208690 تقاعد نسبي، و 115389 تقاعد بلا شرط للعمر، و 771309 منحة تقاعد منقولة. [2]

الجدول رقم1: تكرارات المتقاعدين حسب الجنس و العمر في: 31-12-2006

العمر	مباشر		منحة التقاعد		تقاعد مسبق		تقاعد نسبي		بلا شروط السن	
	رجال	نساء	رجال	نساء	رجال	نساء	رجال	نساء	رجال	نساء
[40؛ 45[	0	0	0	0	0	0	0	0	16	7
[45؛ 50[	0	0	0	0	0	26	0	6626	5237	828
[50؛ 55[	0	1122	0	0	379	176	63317	9525	23329	2488
[55؛ 60[	1282	8023	0	0	3701	0	82906	5499	38558	2476
[60؛ 65[	95989	15 933	16399	1914	0	0	33167	542	29807	1002
[65؛ 70[	135 028	14 773	18812	2714	10	0	7107	0	11641	0
[70؛ 75[	113 494	12 950	13544	2527	0	0	0	0	0	0
[75؛ 80[	70339	8399	8930	2120	0	0	0	0	0	0
[80؛ 85[	46165	5311	4764	1533	0	0	0	0	0	0
[85؛ 90[	23623	3127	3235	1023	0	0	0	0	0	0
[90؛ 95[	11367	2034	1752	566	0	0	0	0	0	0
90 فأكثر	11651	2517	1888	500	0	0	0	0	0	0
المجموع	508 937	74 189	69265	12897	4080	202	186498	22192	108588	6801

[1] www.CNR-dz.com
[2] www.CNR-dz.com

(المصدر:CNR)

إذا تتبعنا هذه الأرقام منذ 10 سنوات خلت سنلاحظ هذا التطوّر في عدد المتقاعدين يتزايد.

تطوّر المعاشات المباشرة و المنقولة

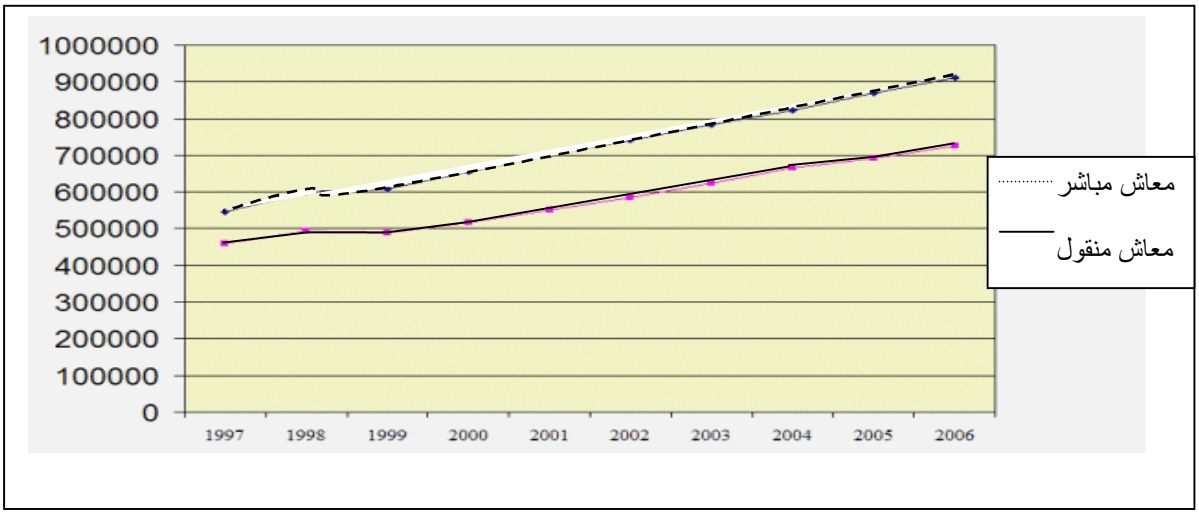

(المصدر: CNR)[1]

من المنحنى يتضح أن عدد المتقاعدين و الحاصلين على معاشات مباشرة، يتزايد حسب 10 سنوات و منذ 1997 حتى 2006 طرديا ليتجاوز 900000 سنة: 2006، سبب ذلك التوظيف الكبير الذي شهدته الجزائر بعد الاستقلال، فترة البناء و التشييد زيادة على النظام الاشتراكي الذي عُرفت فيه البطالة المقنعة أي زيادة العمال الذي يتناسب مع ما هو مطلوب في المؤسسة، كما لا ننسى زيادة عدد المسنين ديموغرافيا.

و زيادة التقاعد المنقول أي بعد وفاة المتقاعد يتناسب طردا مع العشرة سنوات الماضية و بأعداد كبيرة إلاّ أنه أقل من عدد المعاشات المباشرة، و ينقص مع مرور الوقت، و ذلك بسبب زيادة أمل الحياة عند كبار السن.

III. فقدان العمل:

1. العمل حقل تنظيمي:

العمل هو عنصر فعّال في تنشيط الحياة الاجتماعية و الإنسانية للفرد، و المحرّك للتغيرات التي يعرفها في جميع الأصعدة، ليكون المبدأ الأساسي للنشاط الإنساني و تظهر أهمية العمل في تنظيم الوقت بالدرجة

[1] CNR: الصندوق الوطني للتقاعد.

الأولى من وقت مشغول إلى وقت حر، ومن راحة إلى جدّ، و ثانيا اكتساب أجر أو مبلغ من المال يقضي به الفرد حاجياته الفردية و العائلية، و ثالثا الدخول في علاقات إنسانية خارج مجال العائلة و البيت.

" فالعمل هو أساس النشاط الاجتماعي، أي إن كل النشاطات الأخرى هي مبنية انطلاقا من نشاطات العمل "[1]، و تظهر أهمية العمل في نظرة المجتمع له، فيحكم على من باشر العمل بالرشد، و من تحوّل إلى التقاعد و انقطع عنه أنه شيخا. كما أنه عامل فعّال فيُعدّ العامل الأساسي لتشكيل الخلية الأولى للمجتمع فلا يتم الزواج، و تستمر الأسرة بدون عمل و الحصول على أجر لضمان البقاء.

فينتقل الإنسان للعمل و يضطر إلى الدخول في التعلّم و اكتساب مهنة، و التي تنعكس على سلوكياته مع الآخرين، و تهيكل حياته منذ الصباح و استعمال وسائل النقل، و التعرف على زملاء و الذي سيقضي معهم معظم الوقت، و الخميس و الجمعة كآخر أيام الأسبوع يستغلّها لاقتناء ما يحتاجه من الأسواق و كذلك في الترفيه عن نفسه و عن عائلته بالذهاب في رحلات أو زيارة الأقارب.

" داخل دائرة النشاطات، كل شخص يتحمّل أدوارا و وظائف و التي تستوجب أعمالا خاصة "[2] العامل يعتني بالآلة و يتحقّق من سلامتها، و يقوم بصيانتها في المصنع، و زوجته تنظف البيت، تلد و تربي الأطفال...

الانقطاع عن العمل بالإحالة على التقاعد، ينقص قيمة الفرد في سوق العمل، و تختل شروط الحياة و النمط المعتاد خلال 20 سنة و أكثر، بغياب العمل يغيب العنصر الأساسي لتنظيم الحياة اليومية ليدخل العامل و الفرد في حياة لها طابع خاص، تحمل كثيرا من التغيير في وقته و مورده المالي، و نشاطاته المهنية و الاجتماعية، إضافة إلى تغير على المستوى الشخصي بما تحمله فئة كبار السن من مميّزات مورفولوجية.

2. التغيّر في الشبكة الاجتماعية:

التحوّل من العمل إلى التقاعد يُفقد العامل عدّة أمور لم يكن يشعر بها و بضرورتها حتى يصطدم بها كالجانب الاجتماعي و تبادل العلاقات الاجتماعية و تناقص في كمية الاتصالات مع باقي الأفراد و " هناك أربع عوامل تحدد نسبة تهميش الاندماجات الاجتماعية التي ينتجها الإحالة على التقاعد: فقدان

[1] www.iderudit.org, "santé mentale au Québec, par LOUIS PLAMONDON et GILLES PLAMONDON, Canada, vol.=°5, novembre 1980, p : 14.
[2] Ibid. p : 14.

الاتصال الاجتماعي المشترك في حالة العمل، غياب حقل العلاقات خارج العمل، تناقص كبير للدخل و حالة الفقر المفروضة على أغلبية من بلغ 65 سنة فما فوق "[1].

جرت العادة و منذ 20 سنة فأكثر أنه صبيحة كل يوم يذهب العامل إلى مكان العمل و يلتقي بزملاء له ليباشر مهم العمل مع الدخول في تفاعل اجتماعي، ضمن علاقات خارجية بدلا من علاقات داخلية مع العائلة و بعد تقاعده تغيب هذه العلاقات الاجتماعية مع الزملاء، و تغيب معها علاقات خارج العمل بالاتصال مع الزبائن لتقديم البضائع أو الخدمات لأنه غاب سبب اللّقاء معهم، فنتيجة أي عمل أو نشاط تكون التجارة و التي تمتاز بالتبادل بين البائع و المشتري.

كما يتسبب تناقص الدخل لدى المتقاعد نقص و عقدة نفسية، فيتجنّب الالتقاء بالآخرين من أجل الحفاظ على هذا الدخل ليكمّل مصاريف الشهر، ليبقى ماكثا في البيت أو جالسا بجانبه.

و مَن تقاعد دخل في فئة كبار السن التي تمتاز بصحة متدهورة عموما، ليفقد مبلغا لا بأس به كتكاليف العلاج، فعدة أدوية لا تعوّضها الدولة ممّا يؤدي إلى الزيادة في فقر المتقاعد و ينقص استهلاكه، فالزيادة في الفقر يعني الزيادة في التهميش.

العمل عامل منظم للوقت، كالوقت الذي يلتقي به العامل مع زملائه، و من يحتكّ بهم في طريقه له، كما يحدد له جماعة مرجعية في العمل ينتمي إليهم ضمن هوية عمل في إطار ثقافة مؤسساتية.

لكل شخص متقاعد طريقته في تعويض فقدانه للعلاقات الاجتماعية المربوطة بالعمل، و سنوضح بديل هذه العلاقات في الفصول اللاحقة.

3. التغيّر في شبكة العائلة:

التغيّر في شبكة العلاقات الاجتماعية الخارجية التي يوفرها العمل بالنسبة للمتقاعد تؤثر بشكل أو بآخر على الشبكة الخاصة، و هي شبكة العائلة حيث أن " العائلة غالبا بالنسبة للأفراد المكان الوحيد لتعويض الأوقات المقسّمة و النشاطات الجماعية "[2].

[1] www.iderudit.org, op.cit, p : 16.
[2] www.iderudit.org, op.cit, p : 17.

يُعوّض المتقاعد فقدان العلاقات الخاصة بالعمل عبر الشبكة العائلية، لأن وقت العمل يُستغل للمكوث في البيت لفترة أطول على ما كان عليه من قبل، و هذا الاتصال المباشر و الدائم بين الأب و الأبناء و الزوج و الزوجة، سيُعيد النظر إلى العلاقة رجل و امرأة، و ما ينتج عنه من خلاف نتيجة تتبع الزوج كل صغيرة و كبيرة في البيت.

فالتحوّل الذي يشهده المتقاعد في حياته من فقد وظائفه، و أدواره، و مسؤولياته، و سلطته، و هويته داخل العمل، تكون مصدرا للضغط على حالته النفسية، لأنها على وجوده، و" بالنسبة للعلاقة الزوجية نحدد ثلاث مستويات للتغيير متأثرة بالإحالة إلى التقاعد: تغير أدوار الزوجين في العلاقة، إعادة تنظيم الزمان و المكان و الممارسات و الاتصال. "[1]

تتغير سلوكيات الزوجين حسب ظروف الحياة الجديدة بعد الخروج إلى التقاعد، من وقت التقاء كبير ضعف الدخل، تدهور الصحة مع كبر السن، مستوى معيشي مُتَدَن عن ما كان عليه من قبل...الخ.

كما يقترب المتقاعد كأب من أولاده و أحفاده بشكل كبير، مما يجعله يرى أمورا لا يرضى عند مشاهدتها، و كان العمل يجعله غافلا عنها. و يمكن أن يصبح الأب مصدرا للإزعاج بالنسبة للأبناء كونه يحمل أفكارا بالية في نظر أولاده، و لا يساير ما هو حاصل مع التطوّرات العصرية.

4. التغيّر في النظرة إلى الذات:

التقاعد كنمط حياة جديد مع ظروف جديدة، يجعل الفرد يتصرف بسلوكيات مسطّرة و مبنية من طرف أعضاء المجتمع ككل، فالتغير في الأدوار، و تنظيم الوقت، و التراجع البدني كلّها عوامل تسمح بإعطاء و توجيه نظرة خاصة للمتقاعد.

" هذه الظروف الجديدة للحياة تخلق ممارسات جديدة اجتماعيا هي عادية و التي عامة تغيّر من نظرة الفرد إلى ذاته، و وضعيته الاجتماعية"[2]، و من خلالها يعيد النظر في علاقته مع الوقت، و فترة حياته فبعد مرور زمن طويل من حياته في التعب لساعات في اليوم مفروضة عليه عبر العمل، و يقارنها مع ما تبقى له من الحياة ليجتابه إحساس نهايته و دنو موته.

[1] www.iderudit.org, op.cit, p : 17.
[2] www.iderudit.org, op.cit, p : 18.

التقاعد يعني الدخول في فئة اجتماعية جديدة تدعى فئة المتقاعدين بعد العمل و الجد، و هي تدل على الدخول في فئة الشيخوخة بعد الشباب و التي تتطلب منه ممارسات خاصة، و انتماءات إلى جماعات معينة دون أخرى تتوافق مع سنه من العمر الثالث (60 سنة فما فوق).

تكوّن أزمة التقاعد

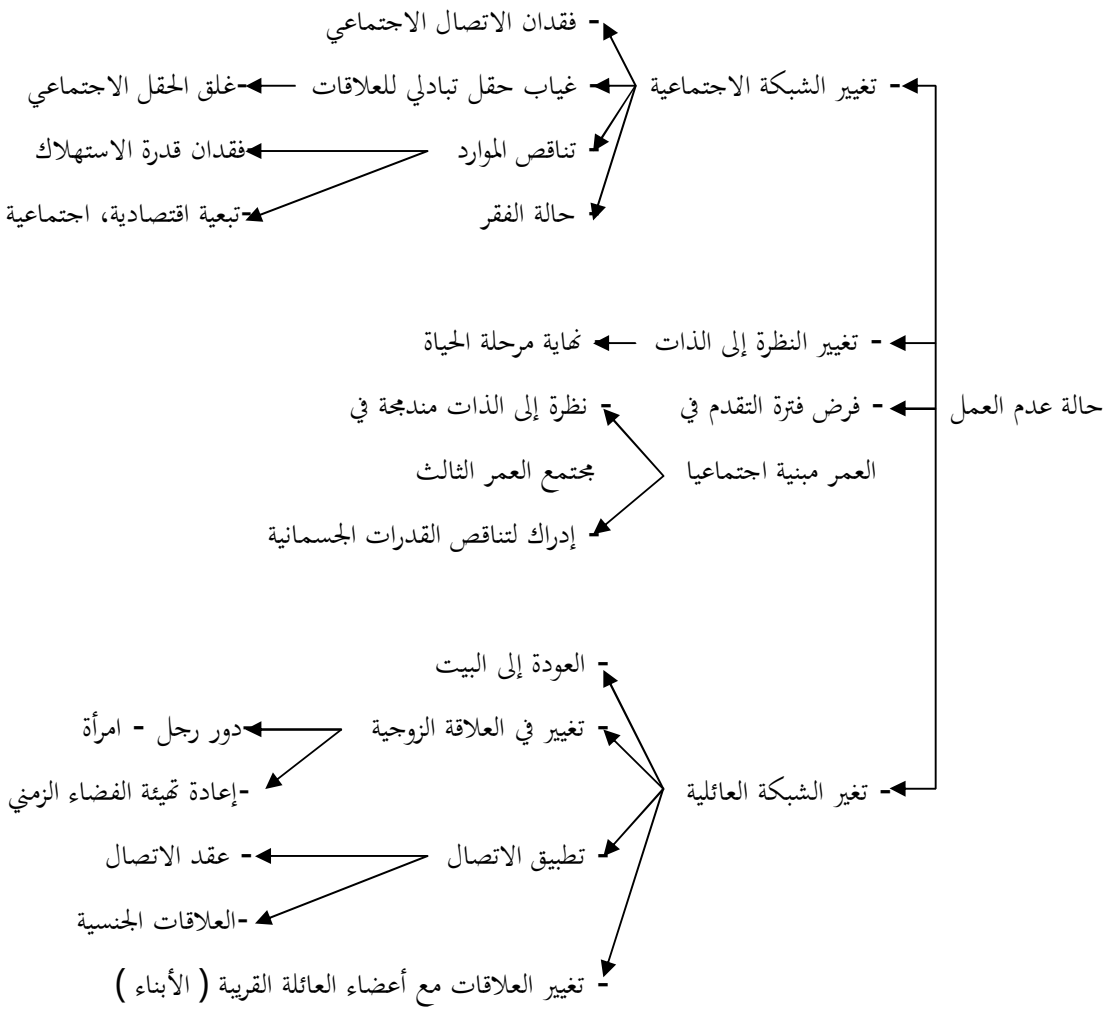

و أي ممارسة أو نشاط يقوم به المتقاعد مخالف لعمره، سيستقبله المجتمع بالرفض و النكران، و يسمعوه جمل جارحة كقولهم: الذي مرّ وقته لا يطمع في وقت الناس، أو (retour d'âge)[1].

و تتأثر حالته النفسية و حكمه على ذاته من خلال الحالة الصحية، و النظر إلى جسمه و ما قد طرأ عليه من تغيير كالتجعّد، و شيب الشعر، و ضعف الرؤية، و عدة أمراض خاصة بكبار السن، كما يشعر بعدم

[1] Retour d'âge : قيام المسن بأمور لا تتوافق مع سنه و المرحلة التي يعيش فيها و كأنه يسترجع مرحلة حياة فقدها

قدرته على إفادة مجتمعه، و أنه أصبح عالة على باقي أفراد الأسرة، مما يكسبه نظرة سيّئة على ذاته كعضو غير فعّال في المجتمع

خاتمة:

التوقّف عن العمل بالنسبة للعامل و الإحالة على التقاعد تعتبر مرحلة صعبة و مؤلمة له، خاصة إذا تعلق الأمر بالحالة المادية أو الصحية بعد العمل، و كيفية استغلال وقت الفراغ، إضافة إلى عوامل نفسية يواجهها المتقاعد نحو شخصيته و وضعيته الاجتماعية و حالته الجديدة.

انتقال العامل من حياة العمل إلى حياة التقاعد، من النشاط إلى الراحة يعتبر مرحلة من مراحل حياته التي تَعْرِضُ عدّة معان للخسارة: خسارة للهوية، و السلطة، و التحدي، و الروابط الاجتماعية، المكانة بالانتماء إلى مجتمع نشط.

كل شخص عليه البحث عن مكانة و هوية جديدة، و مشاريع جدد، و خاصة عيش مرحلة الشيخوخة بكل حركية و نشاط بالبحث عن مشاريع جديدة يحققها بالعمل التطوّعي و مساعدة الآخرين، و محاولة اكتساب علاقات جديدة من خلال السفر و التخطيط للرحلات و المنافسات و التمتع بأوقات في المجال الرياضي، لتسمح له باكتساب علاقات و أصدقاء جدد إن لم يكونوا من الشباب فمن فئة سنه.

و استغلال خبرته في مجال العمل لتدريب من هم بحاجة إلى خبرة مهنية، و التحرّر من نظرة الآخرين باعتباره شخص عاجز لا يفيد المجتمع.

مهما يكن المتقاعد و مهما تكن شخصيته فإنما مشاركته في المجتمع هي مفتاح التقبّل و التأقلم مع الحياة الجديدة له، لتساعده في استمرار حياته بشكل يكون راض فيها إذا طبق ما عليه من واجبات تجاه الآخرين، فالتقاعد بشكله الإداري هو عبارة عن عقد و قوانين تنظم هذه العملية، و لكنها من الناحية الإنسانية الدخول في حلقة من حلقات الحياة مختلفة عن الأخريات، و فيها أحداث تفرض نفسها على الإنسان المسن، و عليه مواجهتها و التحضير لها.

الفصل الثالث

مرحلة التقاعد و نهاية المسيرة المهنية

تمهيد:

تعتبر مرحلة التقاعد من المراحل المهمّة التي تحدّد دورة الحياة عند الإنسان، و هي مرحلة تخص العمل فينتقل العامل من النشاط إلى عدمه، و من الالتزام تجاه مهام و أشخاص إلى التحرّر من المسؤوليات، من وقت ممتلئ إلى وقت الفراغ، و من علاقات مكثفة و اتصالات كثيرة إلى تقلص و تهميش و عزلة اجتماعية، من مكانة اجتماعية ترقيها المكانة في العمل إلى فقدان المكانة المحترمة، و ضعف الدخل الشهري. كما أن " التقاعد يبقى حق الراحة بعد العمل، و الذي تحوّل إلى وسيلة إدارية لتسيير العمل بالنسبة للسلطات العامة و المؤسسات "[1].

هو تعريف إداري للتقاعد إذا ما تمعّنا فيه و قرأناه لأول وهلة يتضح لنا أن هذا التقاعد هو أمر عادي و مجرد فسخ العقد بين العامل و صاحب العمل في إطار قانون خاص بالعمل، إلا أنه ما وراء باب المؤسسة بعد الإحالة للتقاعد و الدخول في عطلة تمتاز بطولها و عدم نهايتها، ظواهر اجتماعية و أخرى نفسية تعطي طابع خاص لحياة ما يسمى بالمتقاعد.

و هذا الفرد المتقاعد قد تقدم به السن في الغالب، حيث يصل السن العادي للتقاعد 60 سنة، و يمكن أن يصل إلى 65 سنة إذا لم يكن عدد السنين التي قضاها في العمل لا تصل إلى 15 سنة، و مع هذه السن يكون المتقاعد قد دخل إلى سن الشيخوخة، و يعيش معه في نفس الفترة أجيال أخرى من غير الفئة التي تنتمي إليها، " و أي جيل هو مميّز بالتوزّع في جماعات الخبرة، الأفكار، العقليات و نظرات مختلفة للعالم و المجتمع"[2].

هذا الاختلاف في الانتماء إلى جماعات حسب الأجيال يضع فارقا بين جيل الشباب، و الكهول و الشيوخ، و تنتج عن ذلك اختلاف نظرة الأبناء للآباء كبار السن و الشيوخ في المجتمع، و تختلف معاملتهم حسب مكانة المتقاعد المسن، و الذي يعاني من عدة مشاكل في غالب الأحيان، بدءا من التقاعد، و انفصاله عن مجتمع العمل إلى ضعف صحته، و نقص موارده المالية، و علاقاته مع باقي زملائه و حتى مع باقي أعضاء أسرته.

[1] POCHET. P, les personne âgées, Découverte, Paris, 1997, p : 110.
[2] Ibid. p : 144.

إضافة إلى كون التقاعد هو فترة راحة للعامل كبير السن، فإنه نظام يمثل اتفاق بين الأجيال حيث الكبار في السن يتقاعدون عن العمل و يتركونه للشباب، و الشباب يحمل المشعل أين يقوم بالادخار في الضمان الاجتماعي، و تستعين به الدولة لرعاية المتقاعدين، ليكون التقاعد تنظيم للوقت الخاص بالعمل حسب الأعمار، و يحدّد وقت التوقّف عنه في دورة الحياة التي يمر بها الإنسان.[1]

و إحالة كبير السن إلى التقاعد و تبديله بالشاب فيما يخص النشاط و إفادة المجتمع، هو اعتراف من طرف الدولة و المؤسسة و المجتمع أن هذا الأخير أصبح غير مجدي للنفع بالنسبة له، هذه الصدمة تعود عليه بالمضرة من الناحية النفسية، و الاجتماعية مع اكتشافه بمرور الزمن أنه تقدم في الزمن، و أصبح لا يستطيع أن يأتي بمردود كما كان في السابق، و أداؤه قد انخفض بشكل كبير أمام الشباب في المؤسسة و أبنائه في المنزل، و يمكن أن تصبح حالته الصحية إلى أقصى درجة حيث يصبح عالة على أعضاء الأسرة و المجتمع.

كون المتقاعد عضوا في العائلة و المسؤول الأول عليها، يتأثر قراره بالإحالة على التقاعد و ذلك حسب السياق العائلي، كما يواجه تغيرات في بنية الأسرة، و أدوارها، و نوعيتها، و الأفكار الجديدة للجيل الجديد من الأبناء، مع ظهور تغير المعايير الاجتماعية، و مساومته في مكانته و سلطته كرب أسرة.

I. مرحلة ما قبل التقاعد:

1. أسباب التقاعد:

التقاعد كمرحلة تخص العامل الذي كبر في السن، و مع كبر سنه تتغير فيه عدة أمور تمس خاصة مردوده في العمل، ما يعود على إنتاج المؤسسة، كنتيجة لضعفه بشكل عام، و ما يصيب أغلبية من يصلون سن الستين سنة تقريبا فما فوق، ليعيق الإنتاج بالشكل المراد من طرف المؤسسة، حيث يصرح أحد المبحوثين أن: " *السَّبَبْ الرَّئِيسِي لِلتَّقَاعُدْ هُوَ المَرَضْ المُزمِنْ الَّذِي عَانِيتْ مْنَّهْ و هُوَ مَرَضْ السُّكَّر في آخِرِ مِشْوَارِي العَمَلي* "(المبحوث رقم: 11)، هذا ما يجعل العمل صعبا بالنسبة له، و تكون نتيجة ساعات المداومة ليست بالكفاءة و المردود الذي كان يتمتع به و هو شباب، كما على المؤسسة بلوغ مداخيل تفوق المخرجات و التكلفة لتستمر، " فالمسنون عادة لا تناسبهم الأعمال التي لا يمكنهم التحكم في سرعتها أو

[1]GUILLEMARD. A, l'âge de l'emploi, les sociétés à l'épreuve du vieillissement, op.cit, p : 256.

تلك التي يرهقهم فيها الجري وراء الحافز المادي (العمل بالقطعة)، أو تلك الأعمال التي تتطلب الحركة المستمرة، أو سرعة الأداء، أو الحاجة إلى تعلّم مهارة جديدة "[1]، و لاستمرار المؤسسة لا بد مراعاة الإنتاج و الإنتاجية و الأرباح كي لا تبقى في عجز مالي، و تصل إلى الإفلاس.

تقوم هذه المؤسسة بإحالة الكبار في السن من عمالها على التقاعد بعقد إداري، يضمن للعامل معاش شهري نتيجة ادّخاره طول سنوات عمله و مسيرته المهنية، كما يقول مبحوث آخر: " *كِي تَكْبَرْ يْبَدِي يْبَانُو فِيكْ العْيُوبْ و تْمَرضْ، يْخَرْجُوكْ و يْدَخْلُوا وَاحَدْ شَابْ يْعَاوَدْ يْفَنِي عُمْرَهْ، و الخَدْمَة ما تَكْمَلْشْ وتْنَكَّلْ بَنِي آدَمْ* " (المبحوث رقم: 09)

كبر العامل في السن مع مزاولته للمهنة لمدة طويلة، يؤثر هذا على صحته و مردوده لتظهر فيه نقائص لم تكن موجودة من قبل، ليُبدّل بشاب آخر لتعود دورة العمل من جديد، و من أسباب تخلي المؤسسة عن خدمات العامل كبير السن:

أ- ضعف في نظام التوازن للجسم الذي يفسّر كثرة الحوادث عن طريق السقوط عند الكبار.

ب- تقلص فعالية الحاستين الرئيسيتين لأخذ المعلومات، البصر و السمع.

ج- ضعف تجاه النوم و تنظيم السهر و النوم، ما يفسر تقلّص تحمّل العمل الليلي مع تقدم العمر.

د- بُطئ في معالجة المعلومة و بالتالي القرارات، ما يفسر تطوّر سلوك الاحتراس، المراجعة و التدقيق و تصبح عبارة عن ضغوطات لأوقات قاسية.

هـ- ضعف الذاكرة الفوري و حذر الإثبات، التقسيم، التناوب أو الاختيار.[2]

كلها أسباب تكون عائق أمام العامل الذي بلغ من العمر ما بلغ، و تلاحظ على العمال مَن دخلوا سن الستين سنة فما فوق، و هذه المظاهر تختلف حسب اختلاف الأفراد، و حسب مسيرتهم المهنية و الأعمال التي كانوا يمارسونها، و الاجهاد الذي تلقوه، و المضرة التي تتسبب فيها الأعمال خاصة التنفيذية منها، ليصرح مبحوث آخر: " *يْقُولْ لَكْ كِي تَرْبَحْ la retraite رُوحْ تَنْعَسْ، يْقُولُوا رُوحْ حَوَّسْ رُوحْ دُوزْ، كِمَا الوَاحَدْ اللِّي يْقْرَا كِي يَدِي vacance يْقُولُ لَهْ رُوحْ تْحَوَّسْ و رَيَّحْ، و ما تَخْدَمْش و أَنْتَ retraité، غِي كِيفَهْ أَنْتَ خْدَمْتْ خَلِّي خَلِّي وَاحَدْ آخَرْ يَخْدَمْ يا صَحْبِي.*" (المبحوث رقم: 06)

[1] www.elazayem.com, مقال بعنوان : بالوالدين إحسانا

[2] FALZON. P, ergonomie, presse universitaires de France, Paris, 2004, p : 149.

تدخل اعتبارات أخرى لأسباب التقاعد منها ما هو ثقافي يحدّده المجتمع، و منها ما هو فردي أي الاستمتاع بالراحة بعد مدة طويلة دامت سنوات من العمل، و التخلي عن العمل تضامنا مع الشاب الذي ليس له عمل، و تتوفر فيه كل الشروط عكس تراجع القوة عند الشيخ، و المرور إلى مرحلة التقاعد و اختيار سن الستين سنة و خمسة و ستين سنة يعود لأسباب منها:

أ- أسباب بيولوجية: راجعة إلى تناقص قدرة الفرد، و ضعف الصحة و التدهور الجسمي.

ب- أسباب ثقافية و اجتماعية: راجعة إلى اتجاهات الشخص المتقاعد، و قبوله للتقاعد و خبراته في التقاعد.

ج- تغيرات في قيمة وقت الفراغ: حيث يميل البعض إلى فتح مجال جديد للحياة، بينما يفصل البعض الآخر بين العمل و الاستمرارية فيه.

كما هناك تزايد أعداد السكان، و قوى العمل في المجتمع مما يجعل فرص العمل قاصرة على أصحاب سن معين أقل من سن الستين[1]، فبين حاجة المؤسسات لتجديد القوى العاملة المؤهلة، و حاجة العامل الكبير في السن إلى وقت فراغ للاستمتاع بالراحة، و عدم قدرته على مواصلة العمل، ظهر التقاعد كضرورة ملحة لإعادة الاعتبار إلى الإنسان، و منح شباب آخرين الفرصة في العمل و تكوين حياتهم، و الاستفادة من قدراتهم العالية في مجال الإنتاج و الإنتاجية، و تحسينها بالإبداع و الاختراعات و كذلك من أسباب التقاعد:

أ- تضاؤل الحاجة إلى القوى العاملة:

التطور التكنولوجي و ما يسمى بالانفجار التكنولوجي الذي أدى إلى تغيير في طبيعة كثير من المهن و الأعمال، و الحاجة المستمرة للتدريب لمواجهة هذه التغيرات، و بالتالي فإن مهارات المتقدمين في السن و معارفهم لا تكون ملائمة لذلك.

ب- التعقيد في نظم الإدارة الصناعية و الحكومية:

[1] مدحت فؤاد حسين، تنظيم مجتمع المسنين، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1996، ص: 48.

و سيطرة الطابع البيروقراطي على كثير منا أدى إلى سيطرة القواعد و النظم الجامدة التي تركز على الإنتاجية، و مصلحة العمل دون النظر إلى الجوانب الإنسانية.

ج- ظهور نظام التأمينات و المعاشات هيّأ أساسا اقتصاديا و ماديا لتقاعد العمال المتقدمين في السن.[1]

رغم استمرار العامل في مسيرته المهنية يأتي يوم أين يكون بحاجة إلى التقاعد كفترة للراحة، و بشكل من شكل الضمان الاجتماعي، و تأمين دخل يسمى معاش التقاعد دون بدل أي جهد مقابل ذلك، لتبقى رغبة العمال في التقاعد تختلف من عامل إلى آخر حسب الظروف العائلية، و المجتمع، و الوظيفة التي يمارسها، و كذا الطبيعة الإنسانية فهي مختلفة من فرد إلى آخر، و من عامل إلى آخر.

2. الرغبة في التقاعد:

هناك وعي عند بعض العمال الذين بلغوا سن الخمسينات بالمرحلة التي هم مقبلين عليها، من خلال احتكاكهم بالزملاء الذين تقاعدوا و جرّبوا هذه المرحلة بكل سلبياتها و إيجابياتها، تكونت لديهم صورة عن المرحلة المقبلة دون أن يعيشونها فعلا، و حسب نمط الصورة المكونة عند العامل، و كذا نظرة المجتمع للإنسان المتقاعد عن العمل، و الرغبة النفسية لهذا الأخير مع الدخول في الحاجات و المتطلبات التي لم يؤمنها بعد في سياقه العائلي، تكون رغبته موجهة إلى التقاعد أو عدمه، حيث يصرح أحد المبحوثين: "*مَا ْبغِيْتشْ نَخْرُجْ la retraite وِينْ تْروحْ؟، نَاسْ خَرْجُوا مَنْ قَبْلِي و كَرْهُوا، كُنْتْ غَايَة فِي خَدْمْتِي لا بَأسْ عْلِيَ*". (المبحوث رقم: 08)

و مبحوث آخر: "*ْبغِيتْ ْنتْقَاعَدْ خَطَرْ ْبدِيتْ ْنحَسْ بالدُوخَة و العَيَاء و المَلَلْ*." (المبحوث رقم: 11)

تختلف الرغبة في التقاعد حسب شخصية المتقاعد، وظروف عمله، و ضغط المجتمع، و النظرة المستقبلية لحياته الجديدة و التي أخذها عن أفراد آخرين في المجتمع، و كذا مشاريعه وأهدافه التي يريد الوصول إليها في المستقبل، " فهناك أفراد يرغبون فعلا في التخلّص مما يلقى عليهم من أعباء و يرفضون الاستمرار في القيام بالنشاط و المسؤوليات الملقاة على عاتقهم، و هناك أفراد آخرون يرفضون الإحالة إلى المعاش حتى يرغمهم المجتمع على ذلك قسرا، أو ترغمهم عليه ظروفهم الصحية، بينما يظل نشطا ممتلئا حيوية إلى آخر

[1] مجلة التقاعد، مرجع سابق، مقال لوليد نديرعتمة، ص: 27.

عمره "[1]، و أصبح سن الستين أو الخامس و الستين سنة كسنة يُفرض فيها التقاعد بعقد إداري مرغم في حالة رضا أو عدمه من طرف العامل، و إذا أراد العودة إلى العمل يعود بأشكال أخرى أو ضمن عقود أخرى، كعامل ظرفي، أو بعقد مؤقت لانجاز أعمال جزئية.

يقول أحد المبحوثين : " *نَخْدَمْ الْفلاَحَة حَرْفْتِي الأُولَى مَا عَنْدِيشْ حَرْفَة أُخْرَى مَا نَتْعَبْشْ فِيهَا* ".(المبحوث رقم: 03)

الرغبة في التقاعد هنا لممارسة عمل آخر، و الذي يتمثل في حرفة قد تعلّمها المتقاعد قبل الدخول في العمل المأجور أو ممارسة نشاطات خارج العمل المؤسساتي، و يمكن أن نقسّم المتقاعدين إلى أربعة مجموعات حسب رغباتهم في العمل ما بعد التقاعد:

- المتقاعدون الذين يرغبون في الحرية الفردية.
- المتقاعدون الذين يرغبون في العمل لاكتساب دخل مرة ثانية.
- المتقاعدون الذين يرغبون في أن يكونوا مصدر دخل للدولة
- المتقاعدون الذين لا يرغبون في أخذ مكان عمل الشباب.[2]

تختلف الرغبة في التقاعد من شخص لآخر، و حسب المشاريع و الأهداف المسطرة في حياته، ما بعد العمل ليستمتع بعضهم بالوقت الحر، و استغلاله في السفر و الرحلات و التعارف على أشخاص آخرين. فيمثل له التقاعد التحرّر من القيد خاصة من كان يمارس أعمالا شاقة، و متعبة، و ليس راض على العموم، و لا تعطيه مكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع، و هناك من يعتبر التقاعد هو الانتقال إلى مرحلة كلها عزلة و تهميش من طرف المجتمع، و فقدان للعلاقات التي كان يكسبها في مجال عمله.

و يبقى قرار التقاعد قرارا صعبا خاصة عند البعض ممن يعيشون في جو عائلي خاص، يفرض عليهم مواصلة العمل حتى ما بعد التقاعد الإداري، و من لهم استعداد نفسي غير مهيّأ للدخول في هذه التجربة الجديدة في حياتهم.

3. قرار التقاعد و السياق العائلي:

[1] سمير أحمد كامل، دراسة سيكولوجية المسنين، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1998، ص: 57.

[2] www.poupaie.ch/ 1-19- la sociologie-de-la-vieillesse.html.

الحياة المهنية للعامل لها انعكاسات على العائلة، كما أن للعائلة انعكاسات على الحياة المهنية، و تحدد سلوكيات و تصرفات العامل تجاه العمل، و علاقاته مع التغيرات الحاصلة على مستوى دورة حياته حيث يقول أحد المبحوثين: "*كِي نْبغِيتْ نْخَرْجْ أْولاَدِي فَرْحُوا خَطَّر وَاشْ مَا نْدِيرُوا نْسَقْسُونِي، نَمْشِيو هْنَا و لاَّ لْهِيهْ بِالعَرْبِيَّة مْقْتَانْعِينْ، مَا كَانْشْ وَاحَدْ مَسْؤُول عْلِيهُمْ غِي أَنَا، يَصْلَحْ لْهُمْ غِي أَبَاهُمْ* ".(المبحوث رقم:06)

تصريح يدل على أن لقرار التقاعد تأثير من طرف العائلة كمسؤول أول و كأب له أدوار في عائلته و هو مقصر فيها، و يريد أن يتقاعد ليتفرّغ للرعاية الأسرية، و " التبعية بين الحياة العائلية و الحياة المهنية طردية خلال التقاعد، الاعتبارات العائلية تؤثر على قرارات أعضاء العائلة "[1]، فأخذ قرار التقاعد بالنسبة للعامل لا يكون شخصيا بصفة منفردة، بل يشترك فيه كل أعضاء العائلة، ليصرح أحد المبحوثين: "*نْبغِيتْ نَدِي la retraite بَاشْ نْكُونْ عَنْدِي الوَقْتْ بَاشْ نْعِيشْ حُرْ فِي نَفْسِي و نَلْتَهَى للعَايْلَة نْتَاعِي نْدِيرْ صْوَالَحْ وَاحَدْ آخْرِينْ، بَلَعْتْ بَابْ و نَفْتَحْ أَبْوَابْ أُخْرَى، كِمَا حَلِيتْ هَذَا الحَانُوتْ نَطْحَنْ القَهْوَة بَاشْ الوَاحَدْ يَجْبَرْ الدْرَاهَمْ بَاشْ يَتْحَرَّكْ، و نْعِيشْ مع أَولاَدَهْ غَايَة* ".(المبحوث رقم: 12)

فالأطفال و ما يلزمهم من لباس و أكل و تكاليف مدرسية، و مصروف يومي في المواصلات، و كل ما يحتاجونه من ضروريات زيادة على الكماليات التي استحدثت مع تطور المجتمع، و بالنسبة للشباب تكون المصاريف أكبر خاصة إذا كانوا لا يعملون، و كذلك تكاليف الزواج التي يعتبرها الأب من مسؤولياته في الثقافة الجزائرية بالنسبة للبنت.

أما الزوجة فلا تريد أن تعيش حياة متدنية عما هي مألوفة عندها، كما تريد في أغلب الأحيان تحسينها مثل تجديد بناء المنزل، شراء أشياء و لوازم منزلية و كلها تحتاج إلى تكاليف لا يؤمنها المعاش و الإحالة إلى التقاعد.

و يصرح أحد المبحوثين: " *الوَضْعْ في الدَّارْ تْغَيَّرْ، خَطَّر الرَّاحَة بَزَّافْ بَزَّافْ تْطَلَّعْ النَّرْفَزَة، و كل شَيْء قْدَّامَكْ، و تَبْقَى تْلاَحَظْ الجُزْئِيَّاتْ* ". (المبحوث رقم: 07)

هناك من كان مجرّبا لهذه الوضعية من المراقبة و المكوث في البيت طويلا، و ما يسببه من توتر عائلي في العطل السنوية، أو المرضية، و لهذا يُؤخر إحالته على التقاعد ليتجنب الصراع، فإذا ما تقاعد الزوج و

[1] STONE. L, op.cit, article de szinovacz, les familles et la retraite, p : 182.

مكث في البيت ، ليراقب كل صغيرة و كبيرة تجري في البيت، و يصبح مصدر توتر عائلي و صراع أسري، و تؤخذ عدة عوامل في قرار التقاعد داخلية تابعة للسياق العائلي و النمط العائلي للعامل و خارجية تتمثل في السياسات المطبقة من طرف الدولة، و قد بيّن زنوفكز (SZINOVACZ) العلاقة بين العائلة و السياق العائلي كما هو مبين في المخطط (1):

من خلال هذا المخطط يتضح التقاعد على أنه قرار مرتبط بالإطار العائلي للعامل، و متطلبات أعضاء العائلة ككل، و وضعيتهم المختلفة في الميادين المتعددة للحياة خاصة الجانب المادي الذي سيقلل الأعباء و يخفف الحمل على رب الأسرة، و كذا تأثير السياسات المطبقة من طرف الدولة على الإطار العائلي و على التقاعد إداريا، و النتائج المنبثقة من مرحلة التقاعد على كل المستويات.

فالتقاعد هو قرار تشترك فيه العائلة، و نسيج المجتمع ككل من خلال نمط الحياة المفروضة على العامل و أخيرا يظهر كقرار مباشر يتخذه العامل بشكل فردي للتوقف عن المسيرة المهنية.

و في أغلب الأحيان يكون الدخول في مرحلة التقاعد بشكل مباشر يسبب صدمة و ارتباك، و عدم التكيف مع الوضع الجديد، لهذا لا بد من التفكير في طريقة لتخفيف الصدمة و التحضير للتقاعد ليكون أقل وقعة على العامل الذي قضى عمره في العمل.

العلاقة بين العائلة و التجربة و الصيرورة المرتبطة بالتقاعد (1)[1]

الإطار العائلي

- الوضع: (زوج، أب، جد، ولد)
- وضعية الزوج: (عمل/خروج، قرض، صحة)
- نشاطات: (تحويل مالي، قرض رعاية، نشاطات اجتماعية (ترفيه)
- النوعية: (قرب، إرضاء، ثقل)
- قيم: (عادات)

[1] LER 73

II. مرحلة التقاعد:

1. التحضير للتقاعد:

الانتقال من مذكرة و استعمال زمن مليء بالنشاطات إلى التقاعد مباشرة، هي مرحلة هامة في حياة العامل، كما أنها نهاية مسيرة مهنية تعسفية و بعنف، بعد استنزاف طاقة هذا العامل الجسدية و الذهنية باستمرار حتى آخر يوم ليصبح صبيحة الغد متقاعدا، فهي ضربة قاسية يتلقاها بصفة مفاجئة، و التحضير للتقاعد من طرف العامل الجزائري يكون فرديا، أي عدم وجود برامج المؤسسة للتحضير النفسي أو التأقلم مع الحياة الجديدة للعامل بعد التقاعد، ليصرح أحد المبحوثين: " *كَانْ عَنْدِ بَزَافْ صْحَابِي في la retraite، كُنْتْ شَايْفُهُمْ كِيشْ عَايْشِينْ، و كُنْتْ نْسَقْسِيهُمْ على حَالْتُهُمْ دْرَوْكْ بَاشْ نَعْرَفْ وَشْتَ رَاهْ يَسْتَنَانِي* ". (المبحوث رقم: 13)

الصورة و النظرة المستقبلية هي الوسيلة الوحيدة التي يحضّر بها العامل كبير السن للتقاعد، كاستعداد نفسي للدخول في العالم الجديد بالنسبة له، و لتقل وطأة الصدمة لديه، و لهذا هناك أهمية للتحضير للتقاعد، و منح العمال كبار السن وقت حر بصفة كبيرة، لأخذ التدابير و الاستعدادات للتقبل التدريجي للمرحلة الجديدة في حياتهم و المتميزة بغياب العمل.

يقول أحد المبحوثين: " *دَايرِينْ التَّقَاعُدْ حَاجَة مْلِيحَة و المؤَسَّسَاتْ في الجزائر مَا يْحَوْسُوشْ على الخَدَامْ مُوْرْ الخْدْمَة، يَسْتَغْلُّوكْ دُوْرْكْ و مَنْ بَعْدْ الله يْسهَّل عْلِيكْ* ". (المبحوث رقم: 14)

دليل على وجود أي اهتمام من طرف المؤسسات الجزائرية، لوضع برامج أو دروس لتهيئة العامل كبير السن للإحالة على التقاعد، أو برامج للتدريب لكي يستطيع المتقاعد العمل إن شاء فالتقاعد يُؤخذ بعين الاعتبار كوسيلة تقنية لا غير، دون مراعاة الجانب الإنساني.

فمن العمال من يفضلون التقليص التدريجي من كثافة العمل بدلا من النهاية المباشرة للسيطرة المهنية و منهم من لا يريد حتى التقاعد، و يحب الاستمرار في العمل حتى مع بلوغهم السن القانوني له[1] و للتسهيل على العمال الكبار الانتقال إلى مرحلة التقاعد، و تخفيف الصدمة بعد المرور من حياة نشطة إلى حياة وقت حر و مشكلة كبيرة، وُضعت ثلاث طرق لتسهيل نهاية المشوار بالنسبة للعمال:

أ- عطلة ما قبل التقاعد:

[1] FRONZLY. M, GERVAIS. M, les conventions collectives et les travailleurs âgés au canada, développement des ressources humains, développement des ressources humains, Canada, 2002, p : 187.

عطل ما قبل التقاعد تستطيع مساعدة كبار السن و المقبلين على هذه المرحلة الانتقالية، عمل- تقاعد بالاستعداد التدريجي عن طريق التمرّن على حياة التقاعد قبل مغادرة عملهم.

ب- برنامج التحضير للتقاعد:

هي برامج تساعد العمال على عملية التكيّف مع المرحلة الجديدة، و التوضيح بشكل مسهّل لنموذج الحياة المقبلة، و هذه البرامج تمس عدة ميادين منها: رعاية الصحة، التخطيط المالي، السكن، المسألة القانونية، تنظيم وقت الترفيه، و تقنيات البحث عن عمل و اكتساب مؤهّلات جديدة تتناسب مع متطلبات سوق العمل، برامج تسمح بتخفيف الخوف و القلق، و رفع تحديات كبار السن لمواجهة مرحلة ما بعد التقاعد.

ج- التقاعد التدريجي:

بالنسبة للتقاعد التدريجي تعمل المؤسسات بتقليص وقت العمل لكبار السن الذين يقتربون من سن التقاعد، و ذلك بصفة تدريجية بدلا من نهاية عنيفة بالمرور من وقت ممتلئ إلى وقت مليء بالفراغ و يوجد شكلين للتقاعد التدريجي:

- تقليص ساعات أو أيّام العمل قبل التقاعد

- استعمال زمن جزئي (ظرفي) قبل الخروج للتقاعد بالنسبة للعمال الذين يتمنون مواصلة العمل.[1]

و يوفر التقاعد التدريجي الفائدة و المنفعة للعمال، و كذا لأصحاب المؤسسات حيث يسمح بالحفاظ على العمال المسنين المؤهلين ذوي الخبرة الكبيرة، الذين يساعدون على تدريب يد عاملة شابه و بديلة لهم، مع ربح تكاليف برامج التدريبات، و سرعة تكيّف العمال الجدد و تقبلهم و اكتسابهم لهوية عمل خاصة و ثقافة مؤسساتية تسهل الاستمرار في العملية الإنتاجية بشكل جيد.

بعد التقاعد كقرار يأخذه العامل، يدخل هذا الأخير في عدة مراحل ما بعد التقاعد، ليتقبّل المرحلة الجديدة التي تحوّل إليها.

2. مراحل التقاعد:

[1] Ibid. p : (188-194).

المرور إلى مرحلة التقاعد لا يكون مباشرا بل عبر صيرورة قبل و بعد هذه المرحلة، يفهم من خلالها عملية تكيّف هذا المتقاعد، و هي مراحل ليست مربوطة بأعمار محدّدة، و يمكن للفرد أن لا يواجه جميع هذه المراحل و بنفس الترتيب، يصرح أحد المبحوثين و يقول: "*كِي تَخْرَجْ للتَّقَاعُدْ كُلْ وَاحَدْ مَنْ الزَمَلاَءْ يَحْسَدَكْ على هَذْ الخُطْوَة، و أَنْتَ في نَفْسَكْ تْقُولْ غَدِي نْدِيرْ كُلْ شَيْ اللِّي ما دَرْتَهْشْ مَنْ قْبَلْ شْوِيَة شْوِيَة تْبَدِ تَكْرَهْ مَنْ الرُوتِينْ، و اللِّي تْشُوفَهْ اليَومْ تْشُوفَهْ غُدَوَ و مع الزْمَانْ تْبَدِ تَتْوَالَفْ، دَبَّرْ كِيشْ تْعَمَّرْ وَقْتَكْ* ".

(المبحوث رقم: 14)

أوّل إحساس يراود المتقاعدين لأول وهلة هو الفرحة، لأنهم ابتعدوا عن ضغوط العمل و الساعات المفروضة عليهم، و المسؤوليات التي على عاتقهم ، و التنقل ، فأغلبهم يعبرون بكلمة (زْبَحْتْ la retraite) و سرعان ما يكتشفون أن الحياة الجديدة مملّة، و لا يتأقلمون معها و فيما بعد يبحثون عن الوسائل التي من خلالها يتغلبون على التوتر، و القلق، و سوء حالهم في الوضعية الجديدة (كالمسجد المقهى، الرفاق، العائلة...).

يمكن أن يمر المتقاعد في فترة التقاعد عبر المراحل التالية:

أ- مرحلة ما قبل التقاعد:

نستطيع تقسيم هذه المرحلة إلى مرحلتين: بعيدة المدى و قريبة المدى، ففي الأولى يكون إدراك أنه تقاعد في فترة بعيدة عن مرحلة حدوثه، و حتى قبل أن يوظّف الإنسان في مهنة معينة و غالبا ما تكون هذه الفترة غير منظّمة، و تتخللها وجهات نظر مسموعة من طرف الزملاء و الأصدقاء عن التقاعد و السائدة في المجتمع المحلي.

و في المدى القريب يدرك العامل أنه بعد فترة زمنية قصيرة سيحال على التقاعد، و يجب عليه أن يتكيف بغرض الخروج من القوى العاملة إلى التوقف عن العمل و التقاعد، فيبدأ العامل في عملية التخيل لكيفية تسيير حياته بعد التقاعد، و هناك ما تعود عليه بالسلب لأنه لم ينجز بعض المتطلبات التي تحتاج إلى دخل كبير و ليس للمعاش فقط، فعلى العموم تمتاز هذه المرحلة بشيء من القلق و التوتر.

ب- مرحلة السعادة:

سميت بهذا الاسم لأنها مرحلة يتحرّر فيها العامل من كل المسؤوليات و المتاعب التابعة للعمل و هي مرحلة مباشرة لعملية التقاعد، فيجد نفسه حرّا للقيام بنشاطات كان يريد القيام بها من قبل

و لم يجد لها الوقت و راحة البال، و تبقى هذه النشاطات حسب مقدرة كل فرد المادية و المعنوية و الظروف المحيطة به.

ج- مرحلة زوال الوهم:

تأتي هذه المرحلة عندما يدرك المتقاعد أنه لا يستطيع ممارسة كل هوياته، و نشاطاته، و زياراته المرغوب فيها نتيجة ضعفه المادي و الصحي، و تتجلى فيه مشاعر القلق و الكئابة، و تظهر أمراض نفسية جراء الاصطدام بالحقيقة عكس التصورات المسبقة لمرحلة التقاعد.

د- مرحلة إعادة التسيير:

مرحلة تمتاز بالتعقل و إعادة اندماج المتقاعد في الحياة الواقعية، و البحث عن بديل كمصادر جديدة للنشاط مثل: العمل، و أداء مهام معينة، أو القيام بأعمال تطوّعية.

هـ- مرحلة الاستقرار:

يستطيع المتقاعد أن يعرف ما هي مصادر قوته و ضعفه و كيفية تموقعه في المجتمع لتأدية دور المتقاعد و أدوار أخرى يعرف ما عليه و ما عليهن فهي مرحلة تقبّل الوضع و الاندماج و اكتساب دور متقاعد مفيد للمجتمع.

و- مرحلة النهاية:

يمكن تلخيصها في حالة العجز الذي يصيب هذا المتقاعد كحالة المرض و فقدان القدرات الجسمانية و العقلية للقيام بنشاطات منزلية عادية، و ينتقل المتقاعد للرعاية التامة، و تنتهي به إلى الموت.[1]

هي مراحل عامة يمكن لأي فرد أي يمر بها، كما لا يسير حسب هذه الصيرورة، و تختلف حسب اختلاف الأفراد و نمط عملهم المسبق، و صحتهم، و استعدادهم النفسي و الاجتماعي، و مدى تكيفهم مع التغيير، و هناك من لا يقبل بهذه المراحل و يواصل العمل بعد التقاعد.

و للتخفيف من حدّة هذه المراحل على العمال كبار السن، يمكن استعمال طريقة إدارية أو برامج موجّهة عن طريق تخصيص مؤسسات الرعاية الاجتماعية للحرص على تكيف المتقاعدين مع الحياة الجديدة.

[1] سيد سلامة إبراهيم، مرجع سابق،ص: (159-162).

3. التوافق مع التقاعد:

بانتقال العامل إلى مرحلة التقاعد تتغير عدة أمور في حياته، و درجة توافق و تكيف المسن مع المرحلة الجديدة يعود إلى عوامل ثلاث هي كالآتي:

أ- الجنس: بالنسبة لتوافق النساء يكون أفضل من توافق الرجال لأن تقاعد المرأة يعني التخلّص من ازدواجية العمل، داخل البيت و خارجه، و تتفرغ إلى مسؤولياتها الأسرية، أما تقاعد الرجل فهو إبعاده من مسؤولياته و صلاحياته، و نفوذه، و أدواره الاجتماعية خارج البيت مما يسبب خلل في حياته اليومية الاعتيادية، و يصبح في مواجهة لوقت كبير من الفراغ، و كثير منهم من يصاب بأمراض نفسية مما يؤدي للاكتئاب و الانطواء، و حالة من العزلة.

ب- الصحة: حيث يقول أحد المبحوثين: "*تْوَالْفْتْ الخَدْمَة وْكَانْ ما نَخْدَمْشْ نْمَرضْ مْنَ النَّاتْ و مْنَ العْمَلْ نْتَاعِي، الله يْخَلِينَا الصَحَّة، و ما يْسَيِّبْ حَتَّى وَاحَدْ لْوَاحَدْ* ".(المبحوث رقم: 03)

ما دام المتقاعد في صحة جيدة يريد العمل، و لا يتخلى عنه و يصل حتى أنه يمرض إذا ما انقطع عنه فمازال بالنسبة له قادرا على أن يكون معطاء، و لا يريد أن يكون عالة على الآخرين، فكبار السن ذوي الصحة الجيدة يكون التوافق مع التقاعد صعبا بالنسبة لهم لأنهم قادرين على منح المنفعة لعائلاتهم و المجتمع ككل، أما من هم في صحة متدهورة، و لا يستطيعون العمل أو يصعب عليهم، فإن التقاعد يمثل لهم راحة كبيرة من أتعاب العمل و مسؤولياته، و كسب وقت كاف لمعالجة أمراضه و العناية بنفسه فمن هو في صحة جيدة أغلبهم يبحثون عن عمل ما بعد التقاعد و بعدم إيجاده، و دخولهم في البطالة يسبب لهم أزمة و إحباط، و يصبح التقاعد أزمة و وكرا للأمراض المتتالية نتيجة عدم القيام بأي نشاط رياضي أو سياحي أو ترفيهي.

ج- الرضا عن العمل قبل التقاعد: حيث يصرح أحد المبحوثين: "*بَاشْ وَلِيتْ* normal *حتى هَذِ عَامِيْنْ قْرِيبْ نَنْسَى، و ما نْسِيْتْشْ كُلْمَا نَبْغِي نَنْسَى نَتْفَكَّر بَلِّي رَانِي خَدَّامْ، و غْدَوَ نْبَكَّر، غِي الخَدْمَة اللِّي تْجِي قُدَّامْ عَيْنِيَّ و كَأَنَّهْ وَلاَّتْ مَلْكِي و رَزْقِي، نْقُولْ بَلاَكْ هَذِيكْ المِشِينَة رَاهُمْ خَسْرُوهَا، خَطَرْ حَبِّيتْ الخَدْمَة و عَيِّشْتْ هَا وْلاَدِي* ". (المبحوث رقم: 06)

تعلق و حب للعمل بشكل كبير يجعل من المتقاعد يحس و كأنه مازال يعمل و ذهنه مشغول إليه بقوّة لمدّة عامين و لم يدرك أنه فقد العمل، و أحيل على التقاعد، فإن حب العمل بالنسبة للعامل الذي أحيل على التقاعد و الذي كانت له نسبة عالية من الرضا المهني في عمله مع توفر كل الشروط المادية و البشرية التي تجعله سعيدا في عمله، فسيكون التقاعد بالنسبة له و كأنك تحرمه من تحقيق ذاته و سعادته مما يسبب الشعور بالفشل و الإحباط و القلق، و تظهر معه تصرفات غير مألوفة كوسيلة للدفاع أو الاستسلام للأمراض النفسية، أما العامل غير المرتاح في عمله و يقلقه زملاؤه، و رضاه المهني منخفض أو منعدم، يكون التقاعد بمثابة تخليص له من الساعات التي يتضايق فيها، و يحس بالراحة و الطمأنينة نتيجة إبعاده عن العمل.[1]

و يمكن أن تخل عدة عوامل أخرى في توافق العامل و الشخص المقبل على التقاعد كالتفاهم الأسري و تضامن أعضاء الأسرة مع الأب المتقاعد، و محاولة الحفاظ على نفس المكانة التي كان يحتلها قبل تقاعده، و كذلك رغبة هذا الإنسان في اكتساب أو عدم اكتساب وقت حر يستعمله في أغراض أخرى.

يقول أحد المبحوثين: " *الإنْسَانْ اللّي عَنْدَهْ الخَلْصَة مْليحَة ما يَخْدَمْشْ عْلاَشْ يَخْدَمْ؟ و اللّي ما عَنْدَهْشْ الخَلْصَة مْليحَة، يْوَلّي يَخْدَمْ بَاشْ يْكَمّلْ النُقْصْ، الحَاجَة المْليحَة كِي تَبْغِي تَخْدَمْ و كِمَا تَجْبَرْشْ تْسَلّكْ بْهَذِيكْ النّوْجْ دُوُر* ". (المبحوث رقم: 13)

و لا ننسى المورد المالي، و منحة المعاش التي يتقاضاها المتقاعد إذا كانت هذه المنحة قليلة تسبب عدة مشاكل لرب العائلة، و إذا كانت مرتفعة يستطيع أن يسيّر أموره، و يتجنب عدة مشاكل.

كما تبقى عدة أمور أخرى متعلقة بشخصية الفرد، إذا كان إنسانا اجتماعيا أم لا، و يبحث عن بديل أم ينتظر الموت فقط، و " التوقف عن النشاط المهني، و الخروج من سوق العمل يمثل شلل يمتد لكل النشاطات الاجتماعية، يؤدي إلى قطيعة العلاقات الاجتماعية، فهي موت اجتماعي حقيقي..."[2] فأغلب الباحثين يرون أن الدخول في سن الستين أو لخامس و الستين هو الدخول في سن صعبة مليئة بالمشاكل و المصاعب، و الإحالة على التقاعد هي بداية ظهور المشكلات الصحية و النفسية، بعد المعاناة من وقت

[1] كمال إبراهيم مرسي، مرجع سابق، ص: 160.

[2] AUGAM. S, l'exclusion l'état des savoirs, la découverte, Paris, 1996, article de ANNE- MARIE G, vieillissement et exclusion, p : 196

الفراغ، و التهميش الاجتماعي الذي يصطدم به المتقاعد، و قلة الموارد المالية، و العجز المعنوي تجاه صعوبات الحياة بشكل عام، خاصة في الحياة الحضرية المعقدة.

III. مشاكل المتقاعدين:

1. التقاعد كمشكلة كبار السن:

التقاعد عند أغلب الناس هو الحصول على معاش و وقت حر، دون تقديم جهد مقابل المورد المالي الذي يحصل عليه هذا المتقاعد، و التخلي عن الدور المهني لا يتبعه أي سلبيات، بل و كأنه خطى خطوة حسنة يحسد عليها من طرف زملائه، و لكن في الحقيقة و كما يصرح أحد المبحوثين: " *كِي تْكُونْ تَخْدَمْ يْكُونْ عْنْدَكْ صْحَابَكْ و بْلاَصْتَكْ، و يَسْتَحْقُوكْ النَّاسْ و يْجِيوْ عْنْدَكْ، مْعَمَّرْ وَقْتَكْ، و دْرَوكْ تَجْبَرْ رُوحَكْ الرُّوحَكْ حتى لِي كْبَارْ كِيفَكْ ما تَتْنَفاهَمْشْ مْعَاهُمْ، نَاسْ بَكْرِي يْقُولُوا الخَدْمَة صَابُونْ الرُّوحْ* ". (المبحوث رقم: 13)

يصرح هذا المبحوث أن للعمل عدة إيجابيات و بفقدانه تظهر جليا مثل: الأصدقاء، و تأدية المنفعة للناس و الالتقاء معهم لتقديم الخدمات، و حتى الوقت له قيمة كبيرة لأنه مشغول بشيء يفيد به المجتمع و حتى من هم في سنه لا يعوّضونه العمل المفقود بكل ما يحمله من مكانة اجتماعية و أدوار معينة و محددة تجاه الآخرين، " فخسارة الدور المهني يرافقه فقدان الأدوار الأخرى و التي لها اتصال معه: نقابي، اجتماعي سياسي، ارتفاع الفراغ الاجتماعي ، و النسيج الاجتماعي يتمزّق من جهة إلى أخرى، هو: التقاعد "[1] الذي يُنظر إليه بوجهات نظر مختلفة، إلا أنه هو فقدان للأدوار الاجتماعية، الصداقة و المكانة و بالتالي الدخول في عزلة اجتماعية، و تكون الخطوة الأولى لفتح باب المشاكل عليه، مع نقص الدخل الشهري، و كثرة وقت الفراغ، و فقدان المكانة، و شكبة العلاقات التي كان يتمتع بها من قبل.

يقول أحد المبحوثين: " *النْهَارَاتْ الأُولَى بَاشْ وَليتْ لَلْ morale نْتَاعِي صْعِيبْ صْعِيبْ تْحسْ مَا عْنْدَكْشْ حْيَاةْ، خَطَّرْ كِي تْكُونْ تَخْدَمْ مَعَ جْمَاعَة كْبِيرَة و تْوَالْفُهُمْ يْوَلِّي خَيْرْ مَنْ خُوكْ، عْلِيهَا النَّاسْ كَايْنْ اللِّي يْخْدَمْ و يْكَمَّلْ يْعَاوْدْ يْوَلِّي يْخْدَمْ ما يْقَدْشْ résisté قي الدَّار* ". (المبحوث رقم: 06)

[1] LEVET. M, op.cit, p : 36.

و يقول آخر: " *التَقَاعُدُ يُعْطِيكَ وَقْتْ فَوْقَ ما يَلْزَمْ في حَيَاتِكَ أَنْتَ مَشِي مُعْتَادْ عَلَيه و تَجْبَرْ رُوحَكْ تْقُومْ بِأُمُورْ ما كُنْتْشْ تْقُومْ بِهَا من قَبْلْ، كِمَا تَتْرَيَّحْ مع الْكْبَارْ في السَّنْ في مَكَانْ عَامْ و لاَّ مْرَبَّعْ عَنْدْ الدَّارْ نْهَارْ كَامَلْ* ". (المبحوث رقم: 11)

كلا من المبحوثين يؤكدا على الخسارة التي جنوها من فقدان العمل و الإحالة على التقاعد، و الحنين لجماعة الرفاق في العمل السابق، مع وجود وقت فراغ كبير لا يعرفان كيف يستثمرانه، و تدني المكانة كعضو داخل المؤسسة، يجعل العامل يعيش في اضطراب و لا يرضيه أي شيء يقوم به، و " قد يتسبب الإحالة إلى المعاش بالنسبة إلى الرجال شعورا بأنهم فقدوا هويتهم كرجال ناضجين، و هذا يعني فقدان مكانتهم في المجتمع و فقدان كرامتهم، على أي حال الشخص المحال إلى المعاش لا يعرف ماذا يفعل بوقت فراغه الذي كان يقضيه من قبل في العمل "[1]، فمن المعروف أن الشخص عندما يدخل في سن الرشد، يلزمه المجتمع بالعمل لتكوين مستقبله و تحقيق طموحه في هذه الحياة، و بالتالي يصبح هذا الشخص يقضي كل وقته تقريبا في العمل و مع زملائه، و له دور يؤديه، و يمثل عضوا يكمل أعضاء آخرين في المجتمع، و يكسب من خلاله احترام الناس، و يقضي حوائجه و متطلباته، و يبقى شخصا له قيمة من طرف عائلته و أصحابه، عكس ما يراه من تخلى عنه باقي المجتمع.

فالعمل حسب جهود (JAHODA) يقدم سبع وظائف:

أ- التحصيل على مورد مالي

ب- العمل يعطي شكلا للنشاط، و إنفاق طاقة جسدية و ذهنية موجهة نحو الأهداف

ج- العمل هو فرصة للإبداع و التفوق

د- التآلف الاجتماعي، فالعمل يساعد على إنشاء علاقات داخل التنظيم و خارجه

هـ- تثبيت الهوية في العمل مع إعطاء مكانة اجتماعية

و- الإحساس بتقديم شيء مفيد للمجتمع، و إثبات دور فعّال فيه

ز- ينظم العمل الوقت، و يعطيه معنى حقيقي بدلا من الفراغ و التذمر.[2]

[1] سيد سلامة ابراهيم، مرجع سابق، ص: 154.

[2] RIPON. A, op.cit, p : (104-106).

فالعمل يقدم عدة أمور يساعد العامل و الإنسان على التوازن النفسي و الاجتماعي داخل المجتمع و إعطائه ثقة زائدة في نفسه، و احترام من طرف الآخرين فيحس بالأمن و الطمأنينة خاصة إذا استوفى الضروريات من الحياة، كما يحقق له التطلع للكماليات، و البحث عن الرفاهية و بالتالي تسهيل مصاعب الحياة، ليصرح أحد المبحوثين بما حققه من جراء العمل: " *الإِنْسَانْ اللِّي يَعْرَفْ كِيفَاشْ يَتْصَرَّف ْيدِيْر في دَنْيَتَهْ ليهْ و لَوْلاَدَهْ، ْبنِيتْ لُهُمْ الدَّارْ و شْرِيتْ لُوطُو، و حَلِيتْ حَانُوتْ نَطْحَنْ القَهْوَة و رَانِي عَايَشْ و الحَمْدُ لله* ". (المبحوث رقم: 12)

يقدم العمل عدة أمور إيجابية مثل الأجر و الترقية و الرحلات و المنح للزوجة و الأبناء و الخدمات الاجتماعية و مكافئات كلها إذا استغلت من طرف العامل أحسن استغلال يستفيد منها في المستقبل لأنها أمور لا نجدها في التقاعد.

و بفقدان العمل يُحرم العامل من عدة مزايا من بينها:

- الحرمان من المخصصات المالية
- الحرمان من المخصصات العينية كالسكن أو السيارة أو الهدايا
- الحرمان من الامتيازات الاجتماعية مثل النفوذ و الرئاسة.[1]

و يعاني من خسارة مادية كبيرة كنقص الدخل الشهري و الزوائد التابعة للراتب الشهري القاعدي، كما يفقد الهدايا و التحفيزات المادية و المعنوية التي كان يستغلها في إدراك بعض التغيير في حياته، و كما هناك تأثير من الجانب المادي لفقدان الدور المهني هناك خسارة معنوية تؤثر على نفسية العامل المتقاعد:

أ- انخفاض في مستوى الدخل حيث يجد المتقاعدون أن عليهم أن يجاهدوا من أجل العيش بأقل حد يمكن أن يكفي مطالب حياة الإنسان.

ب- و قد يؤدي الانسحاب من القوى العاملة إلى انهيار شديد في تقدير الإنسان لذاته، و يجد نفسه مدفوعا للبحث عن نشاطات بديلة يستعيد إحساسه بقيمة ذاته.

ج- و يفقد المتقاعد اتصالاته الاجتماعية التي هي قائمة بسبب طبيعة العمل الذي كان يزاوله و إن كان كثيرون من هؤلاء المتقاعدين قد يعرضون عن ذلك بإقامة صداقة جديدة.

[1] مدحت فؤاد فتوح حسين، مرجع سابق، ص: 50.

د- و قد يجد الكثيرون صعوبة في التكيف مع فقدان أداء مهام ذات قيمة خلال حياتهم الوظيفية، و إن كان من الممكن تحويل الشعور بالانجاز من مقر العمل إلى المنزل.

هـ- و قد يؤدي فقدان الانتماء إلى جماعة التأثير في الصورة عن الذات طالما الإنسان لا يدرك نفسه كمواطن فقط، و إنما كعضو في مهنة و أن التقاعد يؤدي بالتالي إلى إعادة تقييم الهوية.[1]

الخروج من مرحلة العمل و الدخول في مرحلة التقاعد، و فقدان الدور المهني، سيفتح على المتقاعد باب من المشاكل المادية و المعنوية، إضافة إلى الكبر في السن و المتاعب التي يتلقاها هذا الأخير، من ضعف جنسي و ذهني، فالعمل يمكن أن يعتبر كنشاط يحافظ على اللياقة البدنية للإنسان، كما يحميه من عدة مشاكل اجتماعية و نفسية، و التي تكون من نتائج المشكلة الأولى التي يعاني منها و لأول وهلة هي وقت الفراغ، و خلو المذكرة اليومية من استعمال الزمن الذي يهيكل و يسير الحياة اليومية.

2. مشكلة وقت الفراغ:

يقضي العامل جل وقته في مكان عمله، و في اتصال مع زملائه ملؤه نشاط و حيوية، هذا الوقت مقسّم حسب المهام الموجهة له في إطار وظيفة يتقاضى من خلالها أجر يستعين به على الحياة، فهو بيع لوقت حر مقابل أجر، بعقد مبرم مع صاحب العمل برضا الطرفين، و يستفيد العامل بملء وقته بالعمل و تقديم النفع للمجتمع و له بصفة خاصة.

و عندما ينتقل إلى مرحلة فسخ هذا العقد في إطارها القانوني، و الإحالة إلى التقاعد يصطدم مباشرة بوقت حر، لا يمارس فيه أي شيء، هو وقت فراغ بدون مهام يؤديها، يصرح أحد المبحوثين: "*بْقِيتْ نْفَكَّر في عَمَلْ مُنَاسِبْ لأَنِي شْبَعْتْ مَنْ الرَّاحَة، و حَسِيتْ الرَّاحَة و كَأَنَّهَا مَرْضْ نَفْسْ الشَّيْء القِيَامْ الخُرُوجْ لِلْمَقْهَى، البَقَاءْ في المْقْهَى حَتى مُنْتَصَفْ النَّهَارْ مَعَ المطَاعَة؛ مُطَاعَة الجَرِيدَة مَنْ بَعْدْ وَجْبَة الغَدَاءْ كالعَادَة القَيْلُولَة، ثُمَّ أَتَنَاوَلُ القَهْوَة و بَعْدْ ذَلِك النَّوْمْ*". (المبحوث رقم: 07)

يعدّ هذا المبحوث الأمور التي يقوم بها في اليوم و في صوته رنة حسرة و خيبة أمل، و على وجهه ملامح تدل على أنه قد ملّ من هذه الطريقة، و يريد أن يكون نافعا أكثر، لأن اليوم أصبح وقته طويلا و وقت الفراغ صنع له نموذجا معلوما لما يقوم به تكرارا، و " التكيف مع التقاعد يرجع إلى كيفية إعداد الشخص

[1] سيد سلامة إبراهيم، مرجع سابق، ص: 158.

للتقاعد و لخبراته العملية و لعلاقاته الاجتماعية في أوقات الفراغ، الفراغ في التقاعد هو كالشعور بقضاء فترة في السجن مذنبا "[1].

و هنا تتغير المفاهيم فالتحرّر من قيود القواعد و الهياكل التنظيمية و القانونية، و الوقت المخصص للعمل في المؤسسة، إلى السجن بالنسبة للمتقاعد لأنها عبارة عن عطلة طويلة المدى، و استغلال هذا الوقت إلى الشخص نفسه، و استعداده النفسي، و انتماؤه الاجتماعي و المحيط الذي يوجد فيه، ليصرح إطار متقاعد: "*أَنَا نْدِيرْ sport (مَشْيْ سَرِيعْ)، خَطَّرْ الوَاحَدْ كِي يَكْبَرْ يْوَلِّي يْخَافْ يْمَرَضْ، و كِي يَقْعُدْ و مَا يْتَحَرَّكْشْ و غِي يَأْكُلْ يْزِيدْ فيه cholestérol و مَا عَنْدِيشْ وَشْتَ نْدِيرْ* ". (المبحوث رقم: 05)

ثقافة المتقاعد الإطار تسمح له بممارسة الرياضة، و الابتعاد عما هو مضر له، لأنه واع كل الوعي بالمساوئ التي تصيبه من جراء عدم ممارسة الرياضة مع كبر سنه، و كل شخص كيف يقضي وقته الحر و " هناك طرق سلبية و أخرى إيجابية في شغل أوقات الفراغ، فبينما يعتبر الاستمتاع بالراديو أو مشاهدة التلفزيون أو القراءة أوجه نشاط سلبية لا تستدعي من المسن القيام نشاط حركي معين، فإن التردّد على النادي أو ممارسة بعض الأنشطة الرياضية تعتبر من الأنشطة الإيجابية، إذ تستدعي ممارسة من المسن و القيام بنشاط حركي، و عقد صداقات و علاقات "[2]، فوقت الفراغ يمكن أن يكون نعمة كما يمكن أن يكون نقمة على صاحبه، فكبار السن مع ضعفهم و عدم توفر الظروف الملائمة في المجتمعات العربية خاصة في ممارسة الرياضة، أو غياب هذه الثقافة لديهم يؤدي بهم إلى استغلال وقت فراغهم في أمور يمكن أن تكون مصدر خطر عليهم، فبدل السفر و الترويح عن النفس في أماكن مريحة، يتوجه أغلب المتقاعدين و المسنين إلى المرفق الوحيد لديهم و هو المقهى،إذ يصرح أحد المبحوثين: "*نْرُوحْ لِلقَهْوَة نْشِيخْ مْعَ صْحَابِي وَلاَّ نَلْعَبُوا الكَرطَة ولاَّ الدَّامَة نْجِيبُوا الوَقْتْ و نْخلاَصْ، ما عَنْدِيشْ وِينْ نْرُوحْ* ". (المبحوث رقم: 14)

تبقى المقهى المرفق الوحيد الذي يضم الفئات الاجتماعية باختلافها و هناك مقهى خاصة إلاّ بالمسنين يكون أغلبهم متقاعدين كمقهى "نادي المسنين" بتلمسان الواقعة وسط المدينة، ليقوموا فيها بعدة أعمال و يتبادلوا أطراف الحديث، و الهدف الأساسي إمضاء الوقت و قتل الفراغ، حيث يمارسون في هذا المرفق الشعبي عدّة ألعاب منها الطاولة و الشطرنج و الورق أو يشربون الشاي و القهوة، مع السجائر و هم

[1] مدحت فؤاد فتوح حسين، مرجع سابق، ص: 209.
[2] سيد سلامة إبراهيم، مرجع سابق، ص: 153.

جالسون في كراسي من الصباح إلى المساء، و هذا من كان يملك ثمن هذه القهوة أو الشاي، ففئة أخرى من المتقاعدين يتجنبون المقهى ليقفوا أمام الحائط أو عتبة بيوتهم، و منهم من يبقى في منزله.[1]

و لا يكون دائما هذا الوقت الحر بمثابة نعمة على المتقاعدين، و لكن هناك من يستغله في أمور يفيد المجتمع، خاصة إذا كان هذا المتقاعد له مواهب لم يستغلها من قبل، و مازال في لياقة بدنية تسمح له بإعطاء كل خبراته و حنكته في هذه الحياة، " فبينما يكون العمل ضروريا للحصول على العيش، من ناحية أخرى أن ثقافة أي جماعة لا تبنى في الواقع إلا على ما يقوم به أفرادها من نشاط حرّ في أوقات فراغهم "[2].

لو أن الدولة استغلت كفاءات و خبرات هؤلاء المتقاعدين في مراكز و منشآت خاصة بهم، و توفير الوسائل اللازمة للإبداع، و استغلال مواهبهم في التطوّر في جميع الأصعدة خاصة الثقافية منها: الفن الموسيقى، العمارة، الشعر، الأدب، النحت...، و لكن مع غياب المؤسسات التي تعطي أهمية إلى المتقاعدين، و الاعتناء بهم و استغلالهم و جعلهم صلة وصل بين الأجيال من خلال التدريب و النصيحة و التكوين، يلجأ المتقاعدون و المسنون إلى قضاء وقت فراغهم في أمور أخرى، يصرح أحد المبحوثين: "*كِي تَكْبَرْ تْوَلِّي تَبَّعْ الدِّينْ بَسِيفْ عْلِيكْ، وَاشْتَ عَنْدَكْ دِيرْ؟ وَاشْتَ تَعْمَلْ؟ إِلَى حتى العِبَادَة ما تَعْبَدْشْ وَاشْتَ دِيرْ؟*". (المبحوث رقم: 04)

يَستحسن هذا المبحوث قضاء وقت الفراغ و ملأه بالصلاة و العبادة و التوجّه للمسجد، و تقريبا كل المبحوثين نهارهم مركّزين على الذهاب إلى المسجد ثم الرجوع إلى البيت أو القيام بنشاطات أخرى بعد الصلاة، و عامة كبير السن في الجزائر عادة ما يكون مكرّسا ما تبقى من حياته للعبادة، ليدخل في علاقة خالصة مع ربه، و يقضي وقته في المساجد، و الشعائر الدينية، هروبا من باقي المشاكل التي تصاحب التقاعد، كنقص الدخل الذي يتسبّب في عدة إعاقات في حياة المتقاعد، و صيرورة حياته.

3. المشكلات الاقتصادية:

زيادة على مشكلة وقت الفراغ، و المسلّم بها بأنها تغلب على حياة المسنين، الفقر أو قلة المورد المالي بوصول الإنسان إلى سن التقاعد، و ترك العمل مقابل دخل ضعيف عوما يدعى المعاش، مما يسبب

[1] مجلة التقاعد، مرجع سابق، العدد الثاني، سبتمبر 2002، ص: 10.
[2] محمد بدوي، مبادئ علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، ط2، الإسكندرية، 1988، ص: 386.

انخفاض في مستوى معيشته، و حتى مع كبار السن ذوي حرفة و أعمال حرّة ينقص المردود مقابل مع سن الشباب.

حتى من ناحية ثقافة الادخار، الكثير منهم لم يدخروا في شبابهم ما يكفيهم في سن متقدمة، مما أصابهم بالعوز و الفقر[1]، يصرح أحد المبحوثين: " *pension يَكْفِيكْ بَاشْ تَاكُلْ و تَشْرَبْ، بَصَّحْ بَاشْ تْزِيدْ كَاشْ حَاجَة اللاَّ و تْقَابْلَكْ وْلِيمَة و لاَ عَرْسْ مَا يْقَدَّكْشْ، دْرَوكْ العَايْلَة المِصَارِيفْ نْتَاعْهَا رَاهُمْ يْزِيدُو، الوَاحَدْ غِي يَكْبَرْ و المِصَارِيفْ يْزِيدُ* ". (المبحوث رقم: 12)

و يصرح مبحوث آخر: " *هَذَا الخَلْصَة زُوجْ السَّمَاتْ الأولَى صَحَّ، و زُوجْ الزْوَاجَة تَبْقَى تْزَيَّرْ رُوحَكْ و مَا تْوَصَلْشْ للشْهَرْ، و خَطْرَلتْ تَبْقَى مْجَيَّفْ كِي يَلْقَاكْ فَرْحْ و لاَّ قَرْحْ* ". (المبحوث رقم : 15)

أغلب المبحوثين يشكون من قلّة المعاش، و الذي لا يقضي متطلباتهم الخاصة و الفردية لأن الشخص عندما يكبر تزيد مصاريفه على الأدوية غير المؤمنة و التنقل، مع أنهم مازالوا يعيلون أفراد آخرين و المعاش لا يكف نصف الشهر خاصة عند العمّال البسطاء، و ما يجعل الموارد المالية تنقص بشكل كبير هي زيادة الإنفاق على الأطباء، و هناك من يساعد أبناءه في متطلبات المنزل، خاصة إذا كانت عائلته ممتدة، و هو المسؤول الأول عليها.

و هذا الضيق من الجانب المادي يؤثر عليه من حيث نوعية الأكل، و استعمال المواصلات و السفر عند الأقرباء، و تتدهور الصحة لعدم الاعتناء بها، و مع تدهور الأوضاع الاقتصادية و كثرة البطالة، يجعل من الأب حامي و مساعد للبنت عندما يموت زوجها، و قد ترك لها أطفالا صغارا، و لم يترك معاشا لزوجته و يتكفل الأب بتكاليف إطعامهم و كسوتهم و مصاريفهم المدرسية.[2] و في وقتنا الحالي نلاحظ في المجتمع الجزائري أن الأب المسن و المتقاعد يساعد حتى الأبناء المتزوجين في حالات و فترات من البطالة، و الوقوف تجاه مصاعب الحياة خاصة في الأسرة الممتدة و الساكنة في بيت واحد.

كما ظاهرة تراجع سن الزواج لدى الجنسين، تقتضي إعالة الأب للأبناء غير المتزوجين إلى سن متأخرة و يبقى دائما المسؤول عن إطعامهم، و توفير جو مريح لهم، فأحد المبحوثين يقول: " *نَخْدَمْ الفْلاَحَة حَرْفَتِي*

[1] سناء الخولي، الأسرة و المجتمع،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، ص: (278،279).
[2] سيد سلامة إبراهيم، مرجع سابق، ص: 147.

الأولَى، مَا عَنْدِيشْ حَرْفَة أُخْرَى مَا نَتْعَبْشْ فِيهَا غِي هَذِهِ، pension يُقْعُدْ 15 يُومْ و تَكْمَلْ غِي بَاشْ نَكْلُوا و نْخَلَّصْ المَاء و الضَّوْء مَا كَانْ مَا نْحَوَّسْ و لاَ وَالُوا، حْيَاتِي غِي خَدْمَة و نْحلاَصْ **".** (المبحوث رقم: 03)

يلجأ المتقاعد للعمل، و يبحث عن العمل السّهل و الذي يستطيع ممارسته، و غالبا يكون عمله السابق الذي يُتقنه، و يحس أنه سهل بالنسبة له فلا يتطلب حمل أثقال أو بدل مجهود كبير، ليغطي النقص من المعاش لقضاء ضروريات الأسرة، " فبالرغم من تقاعد كبار السن إلاّ أن قدراتهم الذاتية تستمر في قدرتها على العمل خاصة اليدوي و التطوّعي، فنصف أعداد العاملين في كثير من الأعمال من كبار السن، و السبب الرئيسي في ذلك أنهم يحتاجون إلى المال "[1]، هذا الاحتياج إلى المال يدفع كبار السن إلى ممارسة نشاطات مهنية ما بعد التقاعد، حرف أو أعمال يستطيعون ممارستها لكسب المال، كما يؤثر هذا الوضع الاقتصادي على تغيير بنية العائلة، " فإن العائلة هي استجابة لطلب و إملاءات الأنساق الاجتماعية الأكبر إنها تتكيّف أو بدقة تتلاءم وفقا لمتطلبات المجتمع الذي توجد فيه، فالأسرة النواتية المتعلقة ظهرت بسبب متطلبات اقتصادية "[2].

بفقدان الأب المتقاعد السيطرة على السير الحسن من الناحية الاقتصادية للعائلة، تظهر أشكال أخرى و تصبح العائلة الممتدة، أسر نووية يتحرّر الأبناء باستقلالهم عن سلطة الأب، مما يزيد في تحمّل الأعباء المالية للأب بتخلي الأبناء عنه.

يصرّح احد المبحوثين: **"***قَبْلْ مَا نَدِي la retraite كُنَا نَصَرْفُ غِي شْوِيَّة، مَا كُنَّاشْ نَعْرفُ وَاحَدْ الصْوَالَحْ كِمَا اليُوْمْ، و المِرَى مَا كَانَتْشَ تَخْرُجْ، و اليُوْمْ تَخْرَجْ مْعَ البِنْتْ و تَعْرَفْ بَزَّافْ صْوَالَحْ. مَاكْلَ و صْوَالَحْ نْتَاعْ الدَّارْ، خَطَرْ الحْوَانَتْ كْثُرُوا* **".** (المبحوث رقم: 04)

التطور الحاصل في الميدان الصناعي و كذا التجاري الذي تشهده البلاد لم يكن من قبل، لذا زادت التكاليف بزيادة السلع و الكماليات مع التغير الاجتماعي للأسرة، و خروج المرأة لشراء ما يلزم من أمور البيت، مما يزيد الاحتياج للمال على مرّ الوقت، الزيادة في احتاج المال لمتطلبات الحياة ، يصطحبها زيادة في الاعتناء بالصحة، لأنها تتدهور مع كبر السن، و تصبح المشكل المرافق لهم، و يصاحبهم مدى الحياة.

[1] مدحت فؤاد فتوح حسين، مرجع سابق، ص: 209.
[2] سلسلة الوصل، مرجع سابق، مقال مصطفى زايد، ص: 17.

4. المشكلات الصحية:

بعد سن الكهولة يبدأ الإنسان يتناقص في قوّته البدنية، و يشعر أن مرحلة القوة قد مرّت، و مع مرور مرحلة الشباب، و دخوله في مرحلة الضعف و التراجع في الصحة الجسدية و الذهنية، فالضعف شيء طبيعي يمس مرحلتي البداية أي الطفولة، و النهاية أي الشيخوخة.

و الضعف الذي يمس المرحلة الأخيرة من حياة الإنسان هو الأمراض أي الخروج عن الحالة العادية و الطبيعية، و تكون الصحة سبب إحالة العامل على التقاعد أو السبب الرئيسي في ذلك حيث يصرّح أحد المبحوثين: " *يَخْرَجْ الْكْبِيْر في السَّنْ كي يَوْصَلْ 60 عَامْ خَطَرْ يَمْرَضْ و يَعْيَا و يْوَلِّي ما يْقَدْشْ يَخْدَمْ كِمَا الصَّغَار، تَقْبَضَهْ دُوخَة، و ما يْقَدْشْ للحَاجَة الْثقِلَة* ". (المبحوث رقم: 03)

يصيب العامل كبير السن عدة أمراض تخرج عن الحالة العادية، و تسبب في تراجع قوته البدنية ليظهر العياء الذي يصيب أعضاء مختلفة من جسمه، و " الشيخوخة تحول راشد من صحة جيدة إلى فرد أكثر ضعفا، معرض لعدد من الأمراض، و قدراته التركيزية و تخزينه للطاقة ينقص "[1]، و تبدأ الأمراض الجسدية في الظهور، فكلام المسنين يمتاز بارتفاع الصوت، كي يسمعوا أصواتهم، و هذا دليل على تدن مستوى السمع، مما يعيق عملية الاتصال مع باقي أفراد المجتمع.

و بالنسبة للبصر، فالعين تفقد المرونة و تؤدي إلى صعوبة الرؤية بأشكال متفاوتة حسب الأشخاص ومن الناحية المظهرية يبدأ الجلد يفقد صلابته، و تظهر عدة تجاعيد، و شيب الشعر و سقوطه عند الرجال في الغالب، كما يصاحب هذه المظاهر ضعف العضلات، و خلل في بعض وظائف الأعضاء الجسدية الداخلية، مما يتسبب في أمراض مزمنة، كارتفاع ضغط الدم، تصلب الشرايين ، مرض السكر و القلب[2]، كلها أمراض عضوية تنتج عن الكبر في السن عادة و التي تمتاز بكبر الخلايا في العمر و تعرضها لنشاطات مكثّفة خارجة عن نطاقها و قدرتها العادية أثناء العمل، يؤكّد أحد المبحوثين: " *عَنْدِ الجِهَة الْيُمْنَى نْشَلِيتْ منها، عَرْقْ نْبوشَالِي و دَاوِيتْ و رَيَّحْتْ بَصَّحْ ما زَالْ مْأَثَّرِ عْلِيَ، حتى خْرَجْتْ من الخَدْمَة و صْرَالِي هَذا الشَّيْء* ". (المبحوث رقم: 02)

[1] SERRIERE. S, conquérir les marchés des séniors, village mondial, Paris, 2003, p : 7.

[2] سيد سلامة إبراهيم، مرجع سابقن ص: 42.

أصاب هذا المبحوث خلل في وظيفة الأعضاء بسبب شيخوخة خلاياه ليصل إلى درجة الشلل لأن الدم لم يعد يسير على طبيعته العادية بانسداد أحد العروق، و ذلك للمجهود الذي يبدله فوق طاقته، و كذا سوء التغذية الجيدة و المتوازنة، " فالخلايا الحية تشيخ و تفتقر مكوّناتها و تتحول، كذلك النواة تفقد وظيفتها الوراثية، فالانقسام الخلوي و تكاثرها ينقص مع تقدم العمر، الحمض النووي (ADN) ينقص و بالتالي النسيج الشحمي يصير أليافا "[1] ، و بتعويض الألياف الشحمية الخلايا الأخرى، تُفقد وظيفة الأعضاء، و تظهر أمراض أخرى مثل: عدم التحكّم في البول، أمراض العظام و هشاشتها، الجهاز الهضمي، الحواس، أمراض الأوعية الدموية و العضلات.

و تصاحب الأمراض الجسدية الأمراض الذهنية و العصبية، حيث تظهر عند كبار السن خلل في الوظائف الذهنية، كضعف الذاكرة و النسيان، و هذا ما يسبب الخوف عند الشيخ، و تكرار الحديث عدة مرات مع عدم معرفة الأبناء و المقربين حيث يصرح أحد المبحوثين: " *الأَيَّامْ اللِّي رَاهَا جَيَّا رَانِي خَايفْ الوَاحَدْ يَبْقَى يْتَلَّفْ بَابْ دَارُهِ كِمَا رَاهْ صَارِي لْوَاحَدْ جَارِي، يْقُولْ لَكْ الوَاحَدْ كِي يَكْبَرْ يَوَلِّي صْغِير، و يَوَلِّي مَا يَعْقَلْشْ و يْخَرَّفْ، رَانِي نْخَمَّمْ شْكُونْ يَرْفَدْنِي دَاكْ الوَقْتْ اللهْ يَسْتَرْ؟* ". (المبحوث رقم: 06)

فكبير السن خاصة من العمر الرابع أي ما يفوق 75 سنة، يصبح الإنسان يتراجع في قدراته الذهنية ليصبح لا يتذكر حتى أسماء الأشياء، و يخاف كبير السن على مصيره في هذه الحالة، لأنه يرى ما أصاب من هم بالقرب منه من كبار السن، كما تتميز هذه المرحلة بضعف الاستيعاب مما يُصعّب إيصال الفكرة و المعلومة، و تقبلها من طرف المسن، مع نقص الذكاء نتيجة ضعف خلايا المخ، و كبر سنها، مما يسبب لهذا الشيخ ضغوط نفسية راجعة لعدم الاكتراث من طرف الآخرين مع السخرية أحيانا و الشفقة في غالب الأحيان.[2]

و الذاكرة هي الجزء المهم الذي يتعامل به كبير السن مع باقي أفراد المجتمع، عندما يصيبه خلل يتغير منهاج حياته، و يعيش في عالم خاص به ليس له علاقة بالآخرين ، فالتراجع في الصحة يعيق صيرورة الحياة بالنسبة للكبار، و يفقدهم نشاطهم العادي، و مساهمتهم في إفادة أنفسهم و المجتمع المحيط بهم.

[1] RIPON. A, op.cit, p : 56.

[2] سيد سلامة إبراهيم، مرجع سابق، ص: 44.

و" نتيجة لهذه التغيرات تقل قدرة المسن على أداء العمل العضلي كلما تقدم به السن و لا سيما في أداء الأعمال قصيرة الأمد التي تتطلب جهدا فائقا لمدة قصيرة، و كذلك الأعمال التي تتطلب جهدا متوسطا لمدة طويلة "[1]، ما يفسر إحالة كبار السن من العمال على التقاعد كرغبة منهم أحيانا، و رغبة من المؤسسة أحيانا أخرى، إلاّ أن بعض المسنني يتميزون بصحة جيدة على مدى حياتهم و حتى الموت.

5. مشكلة العلاقات الاجتماعية: (التهميش)

الدخول في مرحلة متقدمة من العمر ينتج عنها عدة مميزات حسب الحالة المادية و المعنوية التي تميز المسن بعد إحالته على التقاعد، و يتبادر إلى ذهنه عدة أسئلة أو انشغالات يطرحها على نفسه، عندما يوشك على التقاعد: هل صحيح بعد كل هذه المدة سأنقطع على هذا المحيط التنظيمي و الإداري المشهور بالتعاون؟، و هل صحيح أن كل موظف من هؤلاء سيعيرني الاهتمام نفسه بعد تركي للوظيفة؟، أم هذا الاهتمام عائد للوظيفة و ليس لشخصي؟.

و السؤال العام و الشامل أين أذهب؟

من هنا تبدأ فكرة الاغتراب و الانسلاخ نوعا ما عن المجتمع، للدخول في فترة و مرحلة خاصة لكبار السن، و التي تتميز بالتهميش الاجتماعي و الذي يختلف نوعه و مقداره من مجتمع إلى آخر، حسب استعداداته و التنشئة الاجتماعية التي تلقاها، و " التهميش هو الغياب الثابت للعمل، لكنه كذلك فقدان العلاقات الاجتماعية "[2]، حيث يصرح أحد المبحوثين: " *في الحقِيقَة في بِدَايَة التَّقَاعُدْ حَسِيتْ بإِحْسَاسْ عَنْدَهْ دَوْقْ آخَر، و كَأَنَّكَ سَتَنْفَصِلْ عَنْ أُسْرَة و عَائِلَة عن أَحْبَابْ خَاصَّة تَنْفَصِلْ عَنْ مَيْدَانْ اللِّي عَشْتْ فِيهْ مُدَّة كْبِيرَة 33 سَنَة مَشِي سَاهْلَة، كالصَّبِيْ الذي يُفْطَمْ عَنْ أُمِّه* ". (المبحوث رقم: 07)

المدة التي قضاها العامل خلال المسيرة المهنية جعلته يتعود على علاقات مهنية، و يتبادل عواطف الصداقة و المحبة مع الزملاء في إطار العمل و خارجه، و بفقدان العمل تتقلص الأدوار و الاتصالات بالنسبة له و المحال على التقاعد لأول وهلة يحس بالضغط النفسي، فماذا سينتظره ما بعد هذه المرحلة و الانفصال عن هذا التنظيم الاجتماعي؟، كسبب مباشر للتهميش هو التقاعد، و التخلي عن علاقات مهنية و

[1] www.Elazayem.com, op.cit
[2] PAUGAM. S, op.cit, p : 111.

الاتصال مع الزملاء داخل المؤسسة، وكذلك خارجها و التي كانت تقودها مهام و وظائف هذا الأخير، و كذلك مكانته و المصالح التي يقدمها للآخرين من خلال العمل، و هناك من يعرف "

الشيخوخة على أنها بصفة عامة تبنى كفترة حياة تعرف عن طريق مكانة اجتماعية كعبء، أي هامش المجتمع، مرحلة تعتبر كضربة جماعية "[1]، و هذه الضربة الجماعية هي نتاج فقدان الأدوار الاجتماعية أو خلل يمسّها بالنسبة للمتقاعدين و كبيري السن، فمع فقدان الأصدقاء و الزملاء التابعين للعمل و كذلك فقدان الأدوار الاجتماعية مع الأسرة لعجزهم لرعاية الأبناء في الأسرة، و كبر هؤلاء الأبناء و استقلالهم، ليجدوا أنفسهم تحت وطأة الوحدة و العزلة الاجتماعية.

يصرح أحد المبحوثين: "*أَثَرتْ عْليَّ الخَدْمَة بَزَّافْ في الصَّحَّة نْتَاعِي surtout العَبْرَة نْتَاعْ اليَاجُوْر صَدْرِي رَاهْ يَوْجَعْنِي و ما قَدْشْ في السْخَانَة و نْكُحْ بَزَّافْ عْليهَا ما بَعَدْشْ من الدَّارْ نْخَافْ نْطِيحْ في الطْرِيقْ*". (المبحوث رقم: 15)

الصحة تلعب دورا كبيرا في حركة المتقاعد لأنها تكون عائقا في الاتصال مع الآخرين، و تضيق مجال الاحتكاك بباقي المجتمع ليرجع التهميش كنتيجة حتمية، سببها التدهور في الحالة الصحية، و عدم ممارسة حياتهم بصفة عادية، حيث ينطوي المتقاعدون على أنفسهم و يظهرون كسلبيين و معاشرتهم محدودة يعبرون على إحساسهم بحالة غير عادية، بانسداد الفتوحات الجسمية فالجسم يحيا:

- كقلعة غير متواصلة على مستوى الأوعية الدموية
- ارتباط داخلي خارجي مختل
- شيء جامد مقابل الضغوطات و الصراعات.[2]

لا يمكن تعميم هذه الحالة على جميع أفراد الفئة المحالة على التقاعد، و هناك من يتميز بصحة جيدة أو على الأقل ليست بالخطورة التي تؤدي إلى انقطاع هذا الأخير عن الاتصال مع باقي المجتمع.

يصرح أحد المبحوثين: "*وَحْدَة الخَطْرَة كُنْتْ مَاشِي نْخَرَّجْ كْوَاغَطْ و كِفَاشْ قَالِي وَاحَدْ؟: أَنْتَ كْوَاغْطَاكْ كَمْلُوا، رُوحْ تَنْعَسْ في الدَّارْ، رَاكْ retraité زِيَفَطْ اللِّي يْخَرَّجْلَكْ*". (المبحوث رقم: 06)

[1] PAUGAM. S, op.cit, p : 190.
[2] RIPON. A, op.cit, p : 67.

يريد المتقاعد أن يمارس مهامه بالذهاب إلى الجهات الخاصة و بالتالي الالتقاء و الاحتكاك بالناس، ليلتقي بباقي المجتمع و يسمع أقوالا و أحكاما كونه متقاعد لا بد له من المكوث في البيت، و كأن مدة صلاحيته قد انتهت، حيث " تشير الدراسات أن معظم كبار السن يعيشون حياتهم الاجتماعية كما كانوا يعيشونها في الشباب و منتصف العمر و يقومون بالأدوار الاجتماعية في الأسرة و المجتمع و يندمجون في الأنشطة العامة و لا ينعزلون أو يشعرون بالوحدة بسبب كبر السن، و إنما بسبب الضغوطات النفسية و الاجتماعية "[1]، فنظرة المجتمع و أفراد الأسرة إلى التقاعد ، و الشخص الذي بلغ سن متقدم من العمر يكون لها تأثير عليه من الناحية النفسية، و تحدّد مقدار اندماجه و تكيّفه مع هذه المرحلة، فإذا زاد تقبل المجتمع لهذه الفئة زادت نسبة التكيّف و الاندماج عندهم، و ما يميز المجتمعات العربية، و المجتمع الجزائري الذي يعطي قدرا من الاحترام و التقدير إلى هذه الفئة.

يصرح أحد الإطارات سابقا: " *رَانِي مْلِيحْ فِي صَحْتِي خَطَرْ مَا كُنَّاشْ نَخْدْمُوا بْبَيدِينَا، الخَدْمَة الوَاعْرَة بَزَّافْ اللِّي يَمْرَضُوا مَنْهَا كِمَا صْحَابْ السِّيمَا و البْلاَصَة نْتَاعْ les produis chimiques* ". (المبحوث رقم: 12)

و يصرّح مبحوث آخر: " *ما تْحَوَّسْ ما وَالُو، وِينْ تَمْشِي؟ و بَاشْ تَمْشِي؟ الدْرَاهَمْ نَاقْصِينْ غِي بَاشْ تَكْفِي رُوحَكْ مُحَالْ مَشِّي تْحَوَّسْ* ". (المبحوث رقم: 15)

من خلال التصريحين السالفين نرى أن انتماء المتقاعد لأحد الطبقات السوسيومهنية يؤثر على حياته في التقاعد، و ينعكس على مستوى اتصاله مع الناس، فالإطار المتقاعد تتوفر له الظروف، و العامل اليدوي تخونه للاحتكاك بالآخرين، و رغم ذلك فإن بعض المتقاعدين و الذين يتواجدون " في الوسط الشعبي تكون الصحة أقل تحسن و أمل الحياة للمسنين أقصر، اللّذان يقلّصان إمكانية الاندماج من هؤلاء الأفراد مع أخوانهم و أخواتهم و أصدقائهم "[2]، و من ينتمي لفئة الإطارات و الطبقات الاجتماعية الراقية، تكون الإحالة على التقاعد في الغالب التحوّل إلى نشاطات أخرى، تساعدهم على الاندماج و القضاء على التهميش، و مواصلة العطاء، و الحفاظ على المكانة الاجتماعية، و يساعده على ذلك عدم تدهور صحتهم على حساب نوع العمل الذي كانوا يمارسونه من قبل.

[1] كمال إبراهيم مرسي، مرجع سابق، ص: 76.

[2] DELISLE. M, la république de silence, solitude et vieillissement, macintosh, Canada, 1992, p : 44.

و نتيجة اغتراب المسنين عن مجتمعاتهم و اضطراب علاقتهم معه، يميل المسنون إلى الاتصاف بمجموعة من الخصائص الاجتماعية أهمّها:

أ- زيادة الاهتمام بالنفس، و ضعف الصلة بالمجالات الاجتماعية البعيدة عن دائرة المسن.

ب- ضعف العلاقات القائمة بين المسن و معارفه، و يزداد انكماش علاقاته القائمة بينه و بين الأصدقاء.

ج- العزلة و الوحدة، و تزيد من عزلة المسن زواج الأبناء، أو موت أحد الزوجين و الضعف البدني و تناقص أفراد جيله.

د- يفقد المسنون مراكزهم في العلاقات العائلية، و يفقدون تأثيرهم على الأسرة.[1]

فحالة المتقاعد المسن داخل المجتمع ككل تعكس نوعا من التعامل داخل أسرته، و تعطيه مكانة ذات نوعية خاصة، و يعيش حياة أسرية تكون سلطته فيها خاضعة لهذه الوضعية، و المشاكل التي يتخبط فيها.

خاتمة:

التقاعد يعتبر صدمة نفسية تزيد و تقل حدتها بالقدر الذي يكون فيه المتقاعد قد حضّر نفسه، بالاستعلام عن هذه المرحلة من خلال زملاء له قد سبقوه في هذه التجربة، و من خلال هذه التجربة أو تجربة خاصة إذا ما عاش فترة من عطلة طويلة الأمد، أو فترة العطلة السنوية، و جرّب عدم العمل و ما يتوخى عنه من وقت فراغ كبير و فقدان للشبكة الاجتماعية المهنية.

و التخطيط لفترة التقاعد من الوسائل التي تجعل المتقاعد فيما بعد يتأقلم مع وضعه الجديد، ليضع برنامج خاص به، يستطيع من خلاله قتل الروتين و الوقت الممل، و في الواقع لا نلتمس هذا التخطيط عند كثير من المتقاعدين، و بالتالي غياب برنامج خاص يتبعونه إذ يمتازون ب:

- عدم التحضير لتقاعدهم، و ليس لهم مشروع جديد في الحياة.
- أغلبهم لا يعرف كيفية الترويح عبر النشاطات و التسلية و ممارسة الهواية.

[1] مدحت فؤاد فتوح حسين، مرجع سابق،ص: 47.

- لا يكون هناك ارتباط قوي بمحيطهم (العائلة، الجيران، فِرَقْ،.. الخ)

- لا يتحملوا مسؤوليات ضمن جمعيات، و في حياتهم المحلية، أو في جماعات مختلفة.

- ليس لهم اتصالات متبادلة و إعطاء و استقبال المودّة و العاطفة مع الآخرين.

مع ذلك تبقى كل حالة و خصوصياتها الفردية، و لكن الحالة الصحية و المالية يكون لهما الدور الكبير في هذه العملية، لأنها تساعد على ممارسة الخطوات السالفة الذكر، و تساعد على التحرّك و اكتساب أدوار أخرى في المجتمع و بالتالي نشاطات جديدة، و التمتع و الإفادة من خلال شغل أوقات الفراغ.

هكذا تزيد صعوبة حياة المتقاعد، و تتشابك الأمور عليه ليتخبّط في مشاكل عدة، تعيق الاستمرار الجيد و الطبيعي لحياته.

الفصل الثاني

تغيّر بنية المحيط الاجتماعي

تمهيد:

البوتقة الثقافية بما تحمله من دين و عادات و قيم و معايير اجتماعية، جاءت بموروث يمنح للرجل أمام المرأة قدرا عال، فيما يخص علاقة الطرفين حين تشكيل الأسرة، حيث الرجل هو الأب، و ربّ الأسرة الآمر و الناهي، هي مبادئ تلقّاها الإنسان الجزائري أبا عن جد، من خلال التنشئة الاجتماعية التي تلقاها زيادة على اكتساب الحقيقة مع الزمن باكتشافه للفروق بين الجنسين.

و الثقافة من خلال العُرف تُعتبر الثابت أو الأصل لأنها تحدّد ما يجب أن يكون، و معترف من طرف المجتمع كونه صحيح غير معاب، و ما لا يجب أن يكون ليعتبره المجتمع خطيئة، " هذا النموذج الجماعي مأخوذ من الطفولة، عبر سياق ملائم عن طريق العائلة، المدرسة القرآنية، العمل، الشعائر و الفلكلور"[1] لتكون فكرة هيمنة الرجل على المرأة مقبولة، و ظاهرة مستحبة لسيطرة الرجل على المرأة، فتكون السلطة دائما في يده خاصة في المجتمعات التقليدية، و التي تظهر بقوّة عند رب العائلة الممتدة، و تضم عدة أجيال في بيت واحد، يعيشون على نمط اقتصادي تحت ولاء الأب أو الجد.

و كنتيجة للتغير الاجتماعي على كل الأصعدة، فمن الجانب الاقتصادي تحرّر الابن و عمله خارج نطاق أبيه، ليصبح عامل أجير ما جعله يتحرّر و يشكل أسرة نووية، و الجانب الثقافي و الغزو للأفكار و العادات و القيم و المعايير الاجتماعية من خلال الفضائيات، و عملية الثتاقف التي تحدث لسهول الاتصال في العالم، و كذا خروج المرأة للعمل و اكتسابها لأدوار عزّزت من منافسة الرجل على التسيير داخل البيت، إذا ما كان الزوج متقاعدا و ضعيفا من الجانب المادي و الصحي، زيادة على اكتساب الأبناء مراكز اجتماعية أكبر ممن كان يملكها الأب.

عدة عوامل جعلت من بنية الأسرة الجزائرية أن تتغير و تصير نووية بعد أن كانت ممتدة، حيث تقلّص عدد الأجيال في الأسرة الواحدة من أربع أجيال إلى ثلاثة أجيال و في كثير من الأحيان إلى جيلين في سقف واحد.

[1] BENSAIL B, la psychiatrie aujourd'hui, office des publications universitaires, Alger, p : 223.

المتقاعدون ككبار في السن يعيشون حياة تغلب عليها الضعف في جوانب عدة، و هذا التحوّل من العمل إلى التقاعد يؤثر على صيرورة حياته داخل الأسرة كما تهتز مكانته بين أعضائها فيدخلون في صراع على السلطة كل واحد و موقعه، و نقاط قوته و ضعفه في هذا التنظيم.

و الأسرة كجزء أساسي من المجتمع الجزائري ككل فهي تتأثر بالإطار العام الذي تطوّر فيه هذا المجتمع فمجتمعنا عرف تغيرا سريعا و كبيرا خاصة في الفترة ما بعد الاستقلال و بعد التسعينات نتيجة التحوّلات العميقة، و تبعتها تحولات عميقة في العلاقات الاجتماعية الأسرية، و ظهور بنية أسرية حديثة في وظائفها و علاقات القرابة و الأدوار التي يمارسها أعضاء الأسرة، و الذي يساير نموذج التطور العالمي نحو الحداثة و التحضر، و سرعة الحراك الاجتماعي، فبدلا من النمط الزراعي و التضامن الموسع و الجماعي و الحياة المتسمة بالبساطة إلى حياة أكثر تعقيدا، تسيطر عليها الحاجة و المصلحة الفردية و بالتالي الفردانية كنتاج عن العمل الصناعي و التجارة الموسعة، فالعلاقات تسيّرها و تهيكلها علاقات ذات أساس مادي و عمل مأجور دون مراعاة الجنس و العلاقات الإنسانية و القرابة و غيرها[1].

فهذا التغيير الذي مس المجتمع الجزائري فقد أخذ منه قدرا وافرا و نسبة كبيرة سمحت بتحويله لبنية الأسرة الجزائرية من الموسعة إلى النووية، و من التقليدي و النمط الأبوي في صيرورة العلاقات الاجتماعية لأعضاء الجماعة إلى الفردانية و ما يتبعها من تقلص أعضاء الأسرة و تغيير نمط الحياة بشكل شامل، و موقع المتقاعد المسن ضعيف الدخل و الحالة الصحية، و كثير المشاكل داخل هذا التنظيم بشكله الجديد.

I. النظام الأبوي للأسرة:

1. الهيمنة الذكورية:

منذ أقدم العصور كان الصراع بين الرجل و المرأة، و دائما يبحث كلاهما على فرض سلطته على الآخر أو تسيير أحدهما للآخر، و كانت مميّزات الرجل من قوّة جسدية و امتلاكه للموارد المالية تعطيه أفضلية على المرأة، و لأننا مجتمع إسلامي في أغلبيته فقد حدّ الإسلام هذا الصراع، و نظّم طريقة التعامل بين الرجل و المرأة، فالقرار الأخير يعود إلى الرجل بعد المشورة مع الزوجة، و معظم القيم و المعايير الاجتماعية مصدرها

[1] سلسلة الوصل، التغيرات الأسرية و التغيرات الاجتماعية، ج1، العدد: 2، منشورات كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005-2006، مقال لدلاسي أمحمد، ص: 210.

الدين الإسلامي، ففي مجتمعنا يعود اسم الابن إلى الأب و ليس الأم، مع هيمنة الذكور على الإناث في نمط و نظام اجتماعي معترف به من كل أفراد هذا المجتمع.

و يمكن أن يستغل الرجال الدين حسب فهمهم الخاص، و بما يخدم هيمنتهم الذكورية على النساء بحسب رضاهم و تقبلهم لهذه الهيمنة، فدائما المرتبة العليا للرجل على خلاف المرتبة الدنيا للمرأة و هي شيء عادي و يتقبله الجميع حتى المرأة بذاتها، " فالتنشئة الاجتماعية المختلفة تنظم الرجال على حب ألعاب السلطة، و النساء على حب الرجال الذين يمثلون الكاريزمية الذكورية..."[1]، فهذه الثقافة و الزخم الكبير من الأفكار و القيم و المعايير الاجتماعية تنتقل من جيل إلى جيل تفرض فيه و تسطر مكانة كل من الجنسين تجاه الآخر.

فالسلطة تكون للذكر الأكبر أي الأب، و إن غاب الأب فالابن الأكبر و هناك عبارة شهيرة تؤكّد و تبين مكانة الذكر في العائلة العربية و الجزائرية و هي: " هذا رجل البيت " مشارا إلى الذكر حتى و إن كان صغيرا في السن، و بهذا و " بلا شك للعائلة يعود الدور الأساسي في إعادة إنتاج الهيمنة و النظرة الذكورية، ففي العائلة تفرض الخبرة المبكرة للتقسيم الجنسي للعمل و التصورات الشرعية لهذا التقسيم مضمون عبر الحق و مسجّل في اللغة "[2].

النظام الاجتماعي و من خلال العائلة يسطّر أعمال الرجل مقابل أعمال تقوم بها النساء، و من خلال هذا التقسيم للأعمال، يكسب الرجل الهيمنة لأن هذه الأعمال صعبة و تتطلب مهارة و قوّة و تعب و حنكة، فالطبيعة المورفولوجية مكّنت الذكر من اكتساب هذه الهيمنة و توارثها للأجيال بكل قناعة من الجنسين، فالإضافة إلى الأدوار الاجتماعية التي يكون فيها الذكر حاميا و مدافعا على المرأة مقابل نسبة خضوع من طرف هذه الأخيرة.

بالنسبة لهته المجتمعات و المعروفة بصفة الذكورية فإن الحياة الاجتماعية بين الجنسين هي بمثابة سفينة يكون ربّانها شخص واحد، و قادر على إيصالها إلى بر الأمان بما يتوفر عليه من قدرات معترف بها من طرف الجنس الآخر، فمن غير الممكن أن يكون هناك قائدين في سفينة واحدة، " ففي ما يخص إيديولوجية العائلة

[1] BOURDIEU. P, la domination masculine, Seuil, France, septembre, 1998, p : 87.
[2] Ibid. p : 92.

هي مجموعة القيم و المعايير الاجتماعية تتجسد في السلطة و الهيمنة الذكورية التي تُفرض على المرأة عن طريق العنف – أغلبيته رمزي -، دور يُتبّث بحماسة الجماعة العصبية "[1].

فسلطة الذكر على الأنثى هي مطبقة بالعنف كما أشار إليه عدي الهواري، و قد يكون رمزي على المرأة و هذا العنف هو بمثابة حق للرجل أو أكثر من ذلك إثباتا لرجولته أمام المرأة و أمام المجتمع، و إن لم يطبق هذا العنف عليها، يلام و تهتزّ مكانته داخل جماعته، فإن سلطة الرجال و شرفهم هما اللذان يقتضيان أن يعمل النساء في المنزل، و يجدون تبريره في كونهن ضعيفات غير قادرات على التصدي للأعداء.

2. النظام الأبوي في الجزائر:

عُرف النظام الأبوي منذ القديم و لقد سبقه نظام الأمومة، فكان الرجل لا يُعترَف به كأب بل المرأة أو الأم هي التي يُنسب إليها الأبناء، و بدأ الرجل يأخذ مكانة عالية عند أوّل خطوة خطاها الإنسان لتقسيم العمل بين الجنسين، حيث استطاع الرجل السيطرة على الاقتصاد و طريقة الحياة في العشيرة و بعد فصل الرعي عن الزراعة، و ظهور القوى الإنتاجية و التبادل المنظم للملكية الخاصة و العبودية ساهم في ظهور النظام الأبوي و حلّ الزواج الثنائي محلّ الزواج الجماعي، و أصبح الزوج يُعترف به كأب للأطفال، و الأطفال و الزوجة ينتمون إليه بحق الملكية، و كانت العائلة تمثل وحدة اقتصادية فوق كل شيء.[2]

و قد اكتسب و بفعل عمليات اجتماعية معقدة على مركز و مرتبة عالية في العائلة نتيجة الإعالة و توفير شروط الحياة للعائلة ككل، و مما يتعرّض له من مخاطر و ما تتطلبه من قوة و صلابة هذه الرعاية خاصة في الأزمنة الماضية، حيث كان الاتصال بالطبيعة مباشر مع نقص الوسائل، و لم يتطور الاقتصاد بالشكل الذي يكون فيه تقسيم العمل إلى حد كبير، ممّا جعل دوره في العائلة و سلطته فيها تُعزّز، و احتكر اتخاذ القرار في العائلة و تسيير شؤون العائلة.[3]

و المجتمعات العربية التي عرفت هذا النموذج أي النموذج الأبوي، فانتساب الأولاد يكون للأب كما له كل الصلاحيات لإدارة شؤونها و تمثيلها خارج إطار المنزل، و يساعد على حفاظ هذا النمط العائلي الدين، "

[1] ADDI. L, mutations de la société algérienne, famille et lien social dans Algérie contemporaine , Découverte, Pais, 1999, p : 44.

[2] www.egitemag.com.

[3] عالم الفكر، الأسرة في الوطن العربي: من الأبوّة إلى الشراكة للعياشي عنصر، مجلد 36، يناير- مارس 2008، ص: 287.

فالشريعة كلها أو على الأقل ما يتعلق بالمكانة الشخصية (زواج، طلاق، ميراث...) فهذا التصوّر للحق الديني بالنسبة للتقاليد القانونية مقتبسة من القرآن الذي يؤكد على الثقافة الأبوية و التي تُخضع الفرد للجماعة "[1]، و الدين أهم مصدر للثقافة بالنسبة للعائلة الجزائرية يعتبر من الثوابت و يستعمله الرجال في أغلب الأحيان للحفاظ على مكانتهم، و مواجهة التغيرات الحاصلة في المجتمع و مجابهة ثقافات أخرى دخيلة، و تبقى الثقافة الأبوية مصدر لعدة قيم و معايير اجتماعية، زيادة على إنتاج و الحفاظ على العرف الذي يسير عليه النظام الاجتماعي و " مهما التحوّلات السوسيولوجية ما بعد الاستقلال، الثقافة الأبوية مازالت موجودة، أكثر رمزية و هي مطلقة في مصادرها للسيطرة على الشرف (النيف)[2]، الحياء، الحرمة "[3].

و الرموز الاجتماعية للنموذج الأبوي متعددة أساسها الحفاظ على الشرف الذي تمثله في الغالب الأنثى و نتيجة لضعفها في تصوّر الرجل فينوب عنها و يسيطر عليها بدافع الحماية، و قد يستعمل العنف لكسر أي تغيير يضر بمركزه، و تستعمل المرأة عدة وسائل للتخلص من هذا التسلّط من بينها العمل أو الزواج الذي يعدّ " طقسا انتقاليا مهما تتخلص بموجبه المرأة من سلطة الأب، لكن ليس من سلطة الرجل أو الذكر لأنها سرعان ما تقع تحث سلطة الزوج الذي تعيش معه من جديد تجربة السلطة الأبوية "[4].

و تبقى العائلة الجزائرية في صراع يظهر أحيانا و يخفى أحيانا أخرى نتيجة صراع المرأة و الرجل لمحاولة المرأة للتغير، و الرجل للحفاظ على الثبات، و رغم هذا تبقى العائلة و المجتمع العربي متشبثين بهذا النموذج، و " البطركية أهم ظاهرة تعيد إنتاجها الأسرة العربية عبر مراحل تطورها، و في مختلف المجتمعات العربية، بمختلف تشكيلاتها و في مدنها و أريافها، و ما يسود فيه من خطاب تربوي و تعليمي "[5].

لكن هذا النموذج يظهر بقوّة في الأرياف، و تكون العائلة الممتدة الحاضن الرئيسي له، و المحافظة عليه من خلال تنشئة الأبناء في جو عائلي يُسيطر عليه الذكر الأكبر أي الجد أو الأب.

---

[1] ADDI. L, op.cit, p : 15.

[2] النيف: الأنف، تستعمل الكلمة لتعني الشرف و العزّة. الحرمة: الشرف.

[3] ADDI. L, op.cit, p : 13.

[4] عالم الفكر، مرجع سابق، ص: 287 عن: PAHL. J, money and mariage, Maclimillian, London, 1989, pp : 168, 175.

[5] عالم الفكر، مرجع سابق، عن: المستقبل العربي، الأسرة العربية في الوطن العربي، محاولة نقدية، للطاهر لبيب، السنة:27، العدد: 308، 2004، ص ص: 103، 128.

3. العائلة الممتدّة:

الأسرة كركن أساسي في المجتمع و كقاعد أساسية لبنائه فهي تعطي صبغة و صورة عامة عمّا هو ظاهر في المجتمع، و قد قسّم علماء الاجتماع المختصين في علم الاجتماع العائلي الأسرة إلى: نووية، و ممتدة. و " الأسرة الممتدة تشكل نمطا شائعا في المجتمعات البدائية، و المجتمعات غير الصناعية و هذه الأسرة عبارة عن جماعة متضامنة الملكية فيها عامة و السلطة لرئيس الأسرة أو الجد الأكبر أو بمعنى آخر هي الجماعة التي تتكون من الأسر المرتبطة سواء كان النسب فيها للرجل أو للمرأة، و يقيمون في مسكن واحد "[1]، فخصائص العائلة الممتدة أنها توجد في الأرياف أكثر من المدن، و أن الملكية العامة لوسائل الإنتاج تعود للجماعة تحت لواء الجد أو الأب، و في الغالب الإنتاج الزراعي الذي يفرض التعاون الجماعي في العمل نتيجة صعوبته، و قلة المكننة خاصة في الأزمان الماضية.

و يُشترط فيها الانصياع و الطاعة لكل أفراد العائلة حيث " يُخيّم الجو الدكتاتوري على الأسرة الممتدة إذ أن الأب يحتل مرتبة اجتماعية أعلى جدا من منزلة الأم، و ينفرد باتخاذ الإجراءات و القرارات إزاء مستقبل الأسرة و الأطفال "[2].

فالظاهرة المميّزة للعائلة الممتدة هي وجودهم في جماعة واحدة رغم تعدّد الأسر الزواجية، و كلهم يخضعون لمصدر واحد للإدارة و التسيير و التوجيه، و النهي و الأمر و حتى المساهمة في إعادة إنتاج المجتمع بالتحكم في مستقبل الأبناء.

و يجمع هذا التنظيم الاجتماعي عدّة أجيال يكون " رئيس العائلة هو الجد ما زال قويا، أو ابنه الكبير إن غاب، دوره هو توزيع الأعمال الزراعية بين مختلف خلايا المجموعة البيتية، الذي يوحّد الإنتاج الاستهلاك، و الإقامة، و يؤمّن حُسن التفاهم بين الأعضاء يَؤُمُّ الصلاة و يمثّل المجموعة خارج البيت "[3].

سيطرة شاملة و تعمّ كل أعضاء الأسرة، و تنظيم محكم خاضع للذكر الأكبر و الذي يتموقع على رأس هذه الأسرة الممتدة، نتيجة لامتلاكه للأرض و الوسائل التي تقوم عليها الزراعة رغم بساطتها، و كذا الاتصال الواسع لنظام القرابة و تمثيله و إشرافه على التضامن الآلي بين الأقارب.

---

[1] محمد أحمد بيومي، مرجع سابق، ص: 22.
[2] عبد القادر القصير، مرجع سابق، ص: 54.
[3] ADDI. L, op.cit, p : 43.

يسمي محمد عاطف غيث الأسرة الممتدة بالعائلة، و هي " الجماعة التي تقيم في مسكن واحد و تتكون من الزوج و الزوجة و أولادهما الذكور و الإناث غير المتزوجين، و الأولاد المتزوجين و أبنائهم و غيرهم من الأقارب كالعم أو العمة و الابنة و الأرامل الذين يقيمون في نفس المسكن، و يعيشون حياة اجتماعية اقتصادية واحدة تحت إشراف رئيس العائلة "[1].

يمكن أن تتوسع العائلة حسب عاطف غيث لتشمل حتى الأقارب من العم و العمّة مما يدل على تعدد الأجيال و الذين يقيمون في مسكن واحد و حياة اجتماعية و اقتصادية واحدة يقودها رئيس العائلة أي الجد أو الأب، و تظهر العائلة على عدة أشكال تختلف حسب النظام البنيوي لأعضائها و تشترك في مسكن واحد بحيث:

أ- تتكون الأسرة من ثلاث أو أربع أجيال، و تضم الأب و الأم و أولادهما غير المتزوجين، و المتزوجين مع زوجاتهم و أطفالهم، و في كثير من الأحيان تمتد لتشمل أخت الأب الأرملة أو العزباء مع أبويه المسنين، و هؤلاء يسكنون في منزل واحد أو في شقة واحدة ملحقة بالبيت الأصلي.

ب- الأسرة المركبة ترتبط بنظام تعدد الزوجات الذي يوجد في المجتمعات الإسلامية خاصة.

ج- الأسرة المشتركة هي تتكون في الغالب من أسرتين نوويتين أو أكثر ترتبط بعضها البعض من خلال خط الأب عادة، و أغلب هذه الأسر تتكون من أخ و زوجته و أطفالهما، بالإضافة إلى أخ و زوجته و أطفالهما في البيت واحد.

د- الأسرة الممتدة و يقصد بها تعدد الأزواج و الزوجات خاصة في المجتمعات ذات الحضارة الإسلامية و في القارة الإفريقية، أما تعدد الأزواج فهي ظاهرة نادرة في العالم.[2]

تفاعل أعضاء العائلة الممتدة يتم من خلال النظام البنيوي الذي يكون فيه الأخذ بعين الاعتبار للعلاقة القرابية التي تربط فيما بينهم ضمن التزامات متبادلة تحت لواء رئيس العائلة، حيث تكون السلطة للذكر الأكبر أي الأب ثم الابن و هكذا، ثم الأم فالبنات حسب كبر السن.

II. مقوماته:

[1] محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص: 105.
[2] عبد القادر القصير، مرجع سابق، ص: 57.

1. القيم و المعايير الاجتماعية:

يُحدّد المجتمع لنفسه معالم يعترف بها أفراده، يتبعونها و يقفون عندها، و تظهر هذه الحدود كون الظاهرة الاجتماعية هي ظاهرة تمارس ضغطا على الأفراد الخارجين على المنهج الاجتماعي الذي يؤمن به الجميع و يتكون من جملة من المعايير و الاجتماعية، فهي " إدراك الصواب و الخطأ، الحلال و الحرام، الخير و الشر، إدراك منبعه شعوري أو فطري منبعث في الشخصية الإنسانية و يستند إليه المرء في الحكم على المواقف و اتخاذ القرارات بشأن مواضيع الاختيار "[1]، فهذه الإدراكات تضع الفيصل ما بين هو مقبول و غير مقبول، و ما هو مستحسن و ما هو مذموم من باقي المجتمع، و تعتبر الشخصية الإنسانية في هذه الحالة كمرآة تعكس كل ما غرسه الأولياء في أبنائهم.

في بمثابة توريث للمنظومة الاجتماعية لجملة من الرموز الثقافية من جيل إلى جيل، و يذهب دافيز (DAVIZE) إلى أكثر من ذلك، " فعن طريق الاعتقاد و الشعائر تتصل الغايات العامة و القيم بعالم تخيّلي يرمز إليه بالموضوعات المقدّسة الثانية، و هذا العالم بدوره يتّصل بطريقة معقولة بالحقائق و التجارب الخاصة بحياة الفرد "[2]، ليعتبر دافيز جملة القيم و المعايير الاجتماعية كعالم خيالي، و يُضفي عليه صفة القدسية أي أنه عالم يخرج عن الطبيعة و يعطيه بعد ديني، و هذا البعد الديني تؤكّده الممارسات و التجارب التي يعيشها الفرد في حياته مع اكتسابه لما هو سليم و ما هو صواب، و ما هو خطأ معاب.

فهذه القوانين الاجتماعية نتيجة اندماج كل من المعتقدات و التجارب الدنيوية بالاعتماد على الفطرة الإنسانية، و لهذه القيم تأثير على الأفراد من خلال هيكلة المنظومات الاجتماعية، و إعطاء الحق لهذا و منعه عن ذاك، بداية من أصغر وحدة في المجتمع ألا و هي الأسرة و من " المعروف أن المعايير الاجتماعية تحدد الشخص الذي بيده السلطة ففي بعض المجتمعات تمنح السلطة للزوج و في بعضها الآخر تبقى مع الذكر المسن كما هو الحال في الأسرة الممتدة، و في بعض الأحيان تكون السلطة في يد فرد معين فإن الأفراد الآخرين يستطيعون التأثير حيث يمارسون الضغط على الشخص الذي بيده السلطة "[3]. فمن خلال هذه القيم و المعايير يتمتع فرد معين بسلطة لا يمكن أن تنمح لغيره حسب العرف، و حتى و إن

[1] إقبال محمد بشير، مرجع سابق، ص: 28.
[2] محمد أحمد بيومي، مرجع سابق، ص: 37.
[3] نفس المرجع، ص: 282.

أمكن الأعضاء الآخرون بلوغ السلطة فلا يستطيعون و يكتفون بالتأثير على صاحبها، و تصل في كثير من الأحيان حتى تصبح أن تظهر بشكل رمزي دون أن تنتقل بشكل كامل لأفراد غير شرعيين لهذه السلطة من طرف القيم و المعايير الاجتماعية، " ففي الجزائر قِسْم كبير من الناس يستمر في العيش حسب المعايير التقليدية، أهمية العائلة كبنية اجتماعية تسمح و تتميز في الغالب بحماية الآباء في قلب الخلية العائلية "[1]، ومن خلال المعايير الاجتماعية للعائلة التقليدية تضمن للآباء المسنين الرعاية، و الحماية الكاملة، و عدم التفريط من طرف الأبناء، و عندما نقول المعايير نقول أن المجتمع بصفة عامة يحرص على تطبيقها، و لا يفكر أحد في الخروج عن هذه المبادئ، و بهذا تظهر " الأسرة كمؤسسة اجتماعية تنظّمها معايير، تلك المعايير التي تستند إلى مجموعة من القيم، و هذه القيم تنتمي و تستند قوّتها من منظومة ثقافية معيّنة "[2].

دائما تعود القيم و المعايير الاجتماعية إلى منظومة ثقافية كبيرة، تكون كمرجع ثابت و متغيّر في نفس الوقت، و حسب متطلبات و ضغوطات الحياة.

2. الثقافة و الأسرة:

يكون التفاعل بين أفراد المجتمع من خلال الاتصال ضمن جملة من القيم و المعايير الاجتماعية و كذا العرف في قالب من الضغط الاجتماعي الذي يمارسه المجتمع على الأفراد، ليحدّد التصرفات اللائقة و المباحة، و التي ليست لائقة و غير مباحة، و " هناك طريقتين يتحدد عن طريقهما سلوك الكائنات الأوّل من خلال الوراثة و الثاني التعلّم من الجماعة ... و السلوك الذي ينتقل من جيل إلى جيل يسمّى الثقافة "[3]، من هنا تظهر ضرورة التربية و تلقين الأفكار من جيل إلى جيل، هته الأفكار التي تتحوّل إلى ممارسات و تحدّدها، و تُلقّن بشكل مباشر أي بالحديث عن طريق الأمر و النهي، أو عن طريق التقليد من طرف الأبناء للأولياء و باقي أفراد المجتمع.

فلا بدّ أن تكون الجماعة الناقلة للأفكار و الثقافة بمثابة قدوة للأجيال النازلة، ليكون الاعتقاد بالثقافة الموروّثة بكل ثقة و إيمان راسخ، و لكن العرف يبقى أكثر تأثيرا، و هو " الطرق العامة المشتركة التي يُنظر إليها على أنها أكثر صدقا و سلامة من العادات الشعبية، و من مميزات العرف أنه يعطي وثوقا للفرد كما

[1] JAROZ. L, op.cit, p : 32.

[2] سلسلة الوصل، مرجع سابق، مقال لمصطفى زايد، ص: 15.

[3] محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص: 273.

يفرض عقابا صارما في حالة الاعتداء عليه، لأن المجتمع ينظر إلى الاعتداء على العرف على أنه مصدر خطر على الآخرين "[1].

يكون العرف بمثابة الميزان الذي نقيس به الصواب و الخطأ في الحياة اليومية، و النظام الاجتماعي و مَن خرج عن هذا العرف سيضرّ نفسه، و يضر المجتمع ككل لهذا يتدخّل جميع أفراد المجتمع لتثبيته و فرضه ليسير المجتمع على ما يرام، فهي القوانين التي تحكم على الأمور و تحرّك الناس باقتناع منهم و إيمانا بأنّها تحميهم.

و " قد يكون نسق القيم في الثقافة مقدسا أو غير مقدسا، فإذا كان مقدسا تميّزت الثقافة بالنزعات المحافظة و الثبات و الحفاظ على التقاليد و الإجابات الموروثة لكل سؤال أو استفسار، و ليس هناك سبيل لاعتبار أي شيء وسيلة لغاية عملية، و لهذا كان الانحراف عن السلوك التقليدي مفضيا إلى العقاب الصارم، أما إذا كان نسق القيم في الثقافة غير مقدس، فإن تقييم الأفكار و الأشياء و الناس يكون على أساس نفعي، و في مثل هذه الثقافة يستقبل الناس التغيير استقبالا حسنا "[2]، و التغيّر الثقافي يكون ببطء و يستغرق وقتا كبيرا، فقداسة و مكانة القيم و المعايير الاجتماعية يمكن أن تنقص، و يصبح هناك إمكانية للتثاقف و استقبال قيم و معايير ثقافية أخرى، خارجة عن المنظومة الثقافية لبلد معيّن و منطقة و جماعة معيّنة، وهذا يمس الأساطير و التقاليد أكثر من القيم و المعايير الاجتماعية.

و " الملاحظ فيما يخص المجتمع الجزائري هو أنه يجمع بين المجتمع التقليدي و المجتمع الحديث حيث يوجد العديد من التناقضات، فمن جهة نجده متفتح على الخارج تفتحا كبيرا بحكم ماضيه و موقعه، و من جهة أخرى منغلق منطوي على نفسه، إنه مجتمع تتجاذبه ثقافة المشرق من جهة و ثقافة الغرب من جهة أخرى، الأصالة من جهة و الحداثة من جهة أخرى "[3]، كلّها مؤشرات عملت على تقبل الثقافات الأخرى، و سهولة التغيير، فالتفتح على العالم الحديث و الصناعي و المشرق العربي، و تشبته بالأصالة يفسّر بعض المجالات التي شهدت تغييرا سريعا و مجالات أخرى بقيت محافظة، وذلك حسب المناطق و حسب كمية و نوعية الاتصال مع بلدان الخارج، و نوعية المنطقة إن كانت ريفية أو حضرية.

---

[1] نفس المرجع، ص: 266.
[2] محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص: 273.
[3] سلسلة الوصل، مرجع سابق، مقال لمحمود بوسنة، ص: 9.

و تبقى " الأسرة هي عربة الوعي الاجتماعي و التراث القومي و الحضاري، فهي التي تنقل هذا التراث من جيل إلى جيل و هي مصدر العادات و التقاليد، و العرف و قواعد السلوك و الآداب العامة، و هي دعامة الدين و الوصية على طقوسه و وصاياه، و يرجع إليها الفضل في القيام بأهم وظيفة اجتماعية و هي عملية التنشئة الاجتماعية "[1]، و تكون التنشئة الاجتماعية بتوريث معتقدات الأمّة من خلال دينها تقاليدها و تاريخها، عرفها و أخلاقها، و غرس ثقافة خاصة بالمجتمع مقابل ثقافات أخرى، فإن ذهبت ثقافة مجتمع ما فإنه يتعرض للمسخ، وكذا قابلية الاستعمار حسب مالك بن نبي.

3. التنشئة الاجتماعية:

كل مجتمع له خصائص و مميزات يُعرف بها عن مجتمعات أخرى، و يفرق بين ما هو غريب و ما بين هو متأصل و ينتمي إلى الجماعة الأصلية من خلال شفرة ثقافية موروثة أبا عن جد تلقن عبر الأجيال عن طريق التنشئة الاجتماعية للأطفال و هي " العمليات التي يتم من خلالها إعداد الطفل ليأخذ مكانه في الجماعة التي ولد فيها ... تعليم عادات الجماعة و فهمها و التكيف معها "[2]، و الاندماج الكلي في مجموعة ثقافية تعترف بقيم و معايير اجتماعية، و تحتكم لعرف و لا تخرج عن قواعده التي تسير و تضمن صيرورة هذه الجماعة.

و تضمن كذلك التصرف و الفعل التقليدي للأجيال النازلة، و الذي لا يرافقه التفكير العقلاني، فيقوم الفرد الفاعل بالأعمال و النشاطات دون أي مناقشة و لا حساب، و بمعزل عن تفكير ذاتي، فهو نشاط مؤيد من الجماعة و نتيجة لطاعة مجموعة من الأوامر أيّدتها العادات و التقاليد المتوارثة، ليصبح الفرد يتقبل أعمالا و يرفض أخرى بصفة آلية تلقائية.[3]

و تتميز التنشئة الاجتماعية بالخصائص التالية:

[1] عبد القادر القصير، مرجع سابق، ص: 63.
[2] إقبال محمد بشير، مرجع سابق، ص: 63.
[3] حسن ملحم، التحليل الاجتماعي للسلطة، دحلب، الجزائر، 1993، ص:20.

أ- عملية تعلّم اجتماعي يسلّم فيها الفرد بالتفاعل الاجتماعي، و أدواره الاجتماعية، و المعايير التي تحدّد هذه الأدوار، و يكسب الاتجاهات النفسية، و الأنماط السلوكية التي توافق عليها الجماعة و يرتضيها المجتمع.

ب- عملية نمو يتحول خلالها الفرد من طفل يعتمد على غيره متمركزا حول ذاته، لا يستهدف في حياته إلاّ إشباع حاجاته الفسيولوجية، إلى فرد يدرك معنى المسؤولية الاجتماعية و يتحمّلها، و معنى الفردانية و الاستقلال قادرا على ضبط انفعالاته و التحكّم في إشباع حاجياته بما يتفق و المعايير الاجتماعية.

ج- عملية فردية و نفسية، بالإضافة إلى كونها عملية اجتماعية في الوقت نفسه.

د- عملية مستمرّة لا تقتصر فقط على الطفولة و لكنها تستمر أيضا خلال مراحل العمر المختلفة من الطفولة إلى المراهقة و الرشد و حتى الشيخوخة.

هـ- عملية دينامية تتضمن التفاعل و التغير، فالفرد في تفاعله مع أفراد الجماعة يأخذ و يعطي فيما يخص المعايير و الأدوار الاجتماعية و الاتجاهات النفسية.

و- عملية معقدة متشعبة تستهدف مهمات كبيرة وتتوسل بأشياء و وسائل كثيرة لتحقيق ما تهدف إليه[1]

و تتم هذه العملية بصفة أولية و مباشرة من طرف الأولياء، و لكن كنتيجة للتطوّر و التغيّر الاجتماعي الحاصل على مستوى أغلب المجتمعات في ظل العولمة و " الضغوط الاقتصادية و المهنية و السعي وراء النجاح سواء كان ماديا أو اجتماعيا يؤدي إلى التغيّب المتكرر للأب عن الأسرة و الحياة الزوجية، لم تعد هذه الوضعية مقصورة على الرجل بل طالت كثيرا من النساء العاملات "[2]، ما أدى إلى ظهور مؤسسات رسمية كدور الحضانة، ومربيات داخل البيوت و ترك الطفل عند الخادمة أحيانا، مما نتج عنه التراجع و الآثار السلبية في جميع الحالات الفردية، الأسرية، و في المجتمع، عكس التنشئة التي يحملها على عاتقهم كل من الأب و الأم، و " مع غياب مؤسسات الرعاية الاجتماعية فإن الأبناء ينشئون ليشعروا بالذنب إذا ما اضطروا لإدارة ظهورهم إلى أي من أقاربهم و خاصة والديهم، و مثل هذه التنشئة تتم خلال التربية

[1] مصطفى الخشاب، دراسة المجتمع، مكتبة الأجلو، القاهرة، 1977، ص:(240،241).
[2] عالم الفكر، مرجع سابق، ص: 30.

الدينية حيث يتعلّم الابن أن طاعة و مساعدته لوالديه هي جزء من الواجب الديني، و بالتالي فإنه من المتوقع أن تكون الروابط بين الأبناء و والديهم روابط قوية جدا "[1].

التنشئة الاجتماعية اليوم هي النظام الاجتماعي في الغد، فمن خلالها تدريب الأبناء على المبادئ الأساسية و الأدوار المقبلة، كالنموذج الأبوي السلطوي السائد في غالبية المجتمعات العربية، و الذي يعتمد مقومات لعل أهمها:

- أن الرجل الحقيقي هو الذي يفعل و ليس موضوعا للفعل، بمعنى أنه يفرض شروطه على الآخرين و يكون عنيفا في التعبير عن رغباته و حاجاته، و في السعي لتحقيق أهدافه.

- أن الرجل الحقيقي هو رب العائلة، هو المعيل لأهله و لبيته، و له كامل الحق في استعمال موارده حسب ما يراه لائقا و يحلو له.

- أن الرجل الحقيقي قوي لا يعترف بالهزيمة بسهولة لأخطائه، و قد لا يعترف إطلاقا، لا يساوره الشك و التردّد لأنها من صفات الإنسان الضعيف.

- كما التعبير عن العواطف و إظهار المشاعر ضعف ينبغي تفاديها و لذلك فالرجل الحقيقي يعير اهتماما قليلا لمشاعر و أحاسيس شريكه في الحياة.[2]

بهذه المعايير أو التوصيات يورّث النموذج و النظام الأبوي في التسيير، و تحديد دور الرجل أو الذكر على أنه المهيمن على الأنثى، و المسير و على رأس الأسرة، له السلطة، الآمر و لا يؤمر عليه.

III. عوامل التغير في البنية الأسرية:

[1] عبد المنعم نور و آخرون، دراسات في المجتمع العربي، اتحاد الجامعات العربية، ط1، الأردن، 1980، مقال لمجد الدين عمر خيري بعنوان: العائلة و القرابة في المجتمع العربي، ص: 201.

[2] عالم الفكر، مرجع سابق، ص: 312.

1. التغير الاجتماعي:

في السنوات الأولى من الاستقلال، كانت الجزائر تعتمد على الزراعة في اقتصادها الوطني، و هذا الاتجاه كان له تأثير من الناحية الاجتماعية خاصة بما يتعلق بالأسرة الموسعة، فالشاب تابع لأسرته و أبيه و ذلك لأن هذا الأخير لا يملك وسائل الإنتاج رغم بساطتها، و الأرض المصدر الرئيسي للريع.

و مع التطورات التي شهدتها الجزائر بعد الاستقلال تحرّر الشاب و خرج للعمل بعيدا عن العائلة ليكوّن أسرة نووية فيما بعد، و رغم هذه التطورات إلاّ أنه وقفت أمامه عدة عوائق سببت في بُطئه و تثبيطه أحيانا، و حصرها أوبرن (W.OBURN) كما يلي:

أ- هناك ميل في كل ثقافة للإبقاء على القديم، و بقاء القديم على هذا النحو عقبة كبرى أمام التغيير.

ب- كثير من التغيرات تحدث نتيجة لتنظيم المجهودات الإصلاحية و تخطيطها، و هذه بدورها تتطلب تكاليف كثيرة، و كذلك كانت التكاليف الاقتصادية في بعض الأحيان عقبة في طريق التغير.

ج- الجهل و عدم معرفة التجديد و الاختراع أو طريقة استخدامه يؤدي إلى رفضه.

د- النزعة المحافظة عند كبار السن.

هـ- العادات و العقليات المستقرة على نحو ما و العقبات الطبيعية في تغيير العادات.[1]

لا يكون التغير في ليلة و ضحاها بل يتطلب عدة سنوات، و بطئ كبير إذا اعترضه عوائق و عقليات تقليدية لها آليات للحفاظ على ثقافتها الخاصة، و ليست منفتحة على الثقافات الأخرى، إلاّ أنه " تشير العديد من الدراسات على أن الحفاظ على تماسك الأسرة في الماضي تتحكم فيه عوامل خارجية مثل القانون، و الرأي العام، و سلطة الأب، أما اليوم فإن وحدة الأسرة تعتمد بالدرجة الأولى على العفو المتبادل و الرقّة. إن الفرق بين النموذجين يعكس طبيعة التغيرات التي عرفتها المجتمعات الإنسانية "[2].

و بهذا تغيرت أساليب الحفاظ على التقليدية بعدما تحرّرت المجتمعات إلى حد ما من التعصّب، و فرض القوانين التي تعيق التغيير، مما أدى إلى تعدّد الأدوار بالنسبة لأعضاء الأسرة الواحدة و جعل سلطة الأب تتراجع إلى الرمزية، و " العائلة الجزائرية المعاصرة تحمل تناقضا من جهة قيم العائلة التقليدية مازالت نشطة في الذاكرة الجماعية و أغلبها مثالي، و من جهة أخرى التحوّلات السوسيولوجية تقدم ولادة لأشكال

[1] محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص: 330.
[2] سلسلة الوصل، مرجع سابق، مقال لمحمود بوسنة، ص: 9.

معاشرة جديدة التي لم تتبلور بثبات "[1]، مما يفسّر أن الأسرة تدخل في مجال الأخذ و الرد في ميدان التغيير فعندما تتاح الفرصة و الظروف تمارس التغيير، و عندما تتأزم الأمور تعود إلى شكلها الأوّل التقليدي لأنها بقيت كمرجعية في الذاكرة و نظام اجتماعي نموذجي.

و بتحسن الظروف في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال، و ارتفاع سعر البترول أصبحت " العائلات التي كانت بالضرورة تقليدية و ممتدة، و مميزة للمجتمع الريفي أصبحت بنسبة:3/2 عائلات نووية "[2] حدثت عدة تغيرات اجتماعية التي ضربت في عمق المجتمع الجزائري، و أثرت بصفة جلية على شكل و وظائف الأسرة و أعطت صورة عامة بنمط مغاير لما عهدته الخلية الأساسية في المجتمع، و العامل الأساسي و المؤثر في الأسرة الجزائرية هو خروج المرأة للعمل كنتيجة منطقية للفرصة المتاحة للتعليم المتساوية بين الجنسين، و اشتداد و ضيق الأسرة من الناحية المادية مما جعل المرأة و الزوجة تعمل و تكسب مورد مالي ما يسمح بتخطيط ميزانية الأسرة و اتخاذ القرارات.

و يظهر التغيير في الكم الهائل من وسائل الاتصال و انتشار المميزات الحضرية، فظاهرة التحضر أدت إلى نقص في عدد أفراد الأسرة، و كذا تغير في دور الزوجة و تقترن مسؤولية و رعاية الأسرة و التخطيط لمستقبلها.[3]

الزيادة في التحضر أي الزيادة في المطالب، و الدخول إلى عالم الاستهلاك و الكماليات مما يتطلب إمكانيات مالية كبيرة و وظائف أخرى فتضطر المرأة للخروج من البيت لقضاء بعض الحاجيات بدلا من خروج الزوج لأنه لا يملك الوقت لانشغاله بالوقت المكثف، زيادة على " نمو التنظيم البيروقراطي الرسمي خاصة الدولة و مؤسساتها المختلفة و تركيز هذا التنظيم على الكفاءة الإنتاجية من خلال التخصّص قد أخذ العديد من وظائف الأسرة التقليدية خاصة الوظيفة الإنتاجية و الحماية، و الوظيفة التربوية و جعلها محور عمل مؤسسات رسمية متخصّصة و بالتالي كان البناء الاجتماعي للأسرة أن يُعدّل للتكيف مع مثل هذه التغيرات "[4].

[1] ADDI. L, op.cit, p : 47.
[2] Rapport national sur le développement social, Copenhague, Algérie, mars, 1995, p : 9.
[3] محمد أحمد بيومي، مرجع سابق، ص: 31.
[4] عبد المنعم نور و آخرون، مرجع سابق، ص: 182.

فقدت العائلة عدة وظائف كانت تحتكرها و مع تطور المؤسسات الرسمية و تعدّدها، تعدّدت الأدوار بالنسبة للرجل و المرأة، و كسبت مكانة اجتماعية و أصبحت سلطة و تسييره للأسرة في تراجع.

2. عوامل تغيير النمط الأسري:

تتغير العائلة الممتدة و المعتمدة على الزراعة و السكن الريفي إلى الأسرة النووية أو الزواجية، حيث لا تضم عددا كبيرا من الرجال و النساء، و لم يأت هذا التغيير هكذا صدفة و بشكل مباشر، و لكن كان نتيجة عدة عوامل ساهمت في الشكل الأسري الجديد و منها:

أ- العامل الاقتصادي: من أهم العوامل الذي أدى إلى تغيير نمط الأسرة كنتيجة " للاستقلالية الاقتصادية للأسرة بسبب الاعتماد على العمل المأجور الذي وفره التصنيع و التحديث و التحضر "[1] فالتخلي عن الأرض، و بالتالي التخلي عن العمل الزراعي، و تربية الحيوانات، و العمل في القطاع الثاني أي القطاع الصناعي و العمل المأجور، فيكون ليس من الضروري التكتّل بعدد كبير في أسرة واحدة ممتدة.

و مع التصنيف الديموغرافي للمجتمع الجزائري و احتوائه على نسبة كبيرة من الشباب، ساعد على زيادة الهجرة من الريف إلى المدن للتّحرّر من سيطرة الأب، و البحث عن المستقبل الخاص بهم، و بدأت تظهر الأسرة النووية حتى في المناطق الريفية بوجود أعضاء من المجتمع الريفي الذين ليس لهم أرض خاصة بهم و بالتالي ظهور بعض الحرف، و الابتعاد عن العمل الزراعي، كما يعود العمل الصناعي على هذه المناطق بتسهيل الحياة المعاشة، بتواجد المواد المصنّعة و الوسائل الحديثة، و الابتعاد عن الاتصال المباشر بالطبيعة و كذا التقليل من اليد العاملة في القطاع الأوّل، " فالأعمال المنزلية التَّضَامُنِيَّة للأسرة كلما وفرتها مؤسسات و هيئات حديثة مستقلة كلما اتجهت نحو الأسرة النووية، و تراجعت الأسرة الممتدة و المتّسعة و العكس صحيح "[2]، إن لم تتوفر ذهبت الأسرة و اعتمدت على علاقات القرابة، و شكل كبير من التضامن العائلي لباقي أعضاء الأسرة، مما يفرض عليهم الإقامة في بيت واحد، و الاتصال المباشر لتحدي صعوبة العيش.

ب- العامل الاجتماعي الثقافي:

[1] سلسلة الوصل، مرجع سابق، مقال لمحمد بومخلوف، ص: 103.
[2] نفس المرجع، ص: 105.

الجانب الثقافي من الجوانب المهمة في حياة أفراد الأسرة، و التي تفرض نمط معين من التصرفات و السلوكيات التي هي مرغوبة أو مفروضة من طرف المجتمع، و ممن يحيطون بهم عن قرب، و الأسرة الجزائرية كان المصدر الأول للقيم و المعايير الثقافية الممنهجة لشكل الحياة و نوعية العلاقات ، و تأتي في المرتبة الثانية ثقافة التكافل الاجتماعي، و أخيرا ثقافة التعايش.

تاريخيا نسبة التحضر في الجزائر كانت بنسب ضعيفة دليل على الحياة الأسرية كانت حياة ريفية بدوية في أغلبها، و تعتمد على النمط الزراعي و روح الجماعة و التضامن الآلي، و يبقى التحضر و الحداثة شكل جديد على الأسر الجزائرية لأنها تحمل ثقافة العائلات الممتدة حتى و لو كانت أسر نووية.

فالعيش بالطريقة التقليدية خاصة تعدد أعضاء العائلة بشكلها الموسع شيء مقبول و مألوف، أما البعد الديني فهو مستنبط من الدين الإسلامي الذي يحثّ على برّ الوالدين و الإحسان إلى الأقارب، و صلة الرحم، فالدين لا يُحدّد نمط الأسرة و لكن بعض الأفراد من خلال ثقافة دينية تحبذ العيش في ظروف تقليدية، و التي تسمح لهم بالتقرب من الله و اعتبار عدة أمور أنها من باب الدين، فمثلا الزواج المبكر للأبناء لتحصينهم نتيجة اعتقاد و إيمان ديني مما يساهم في تشكيل أسر ممتدة مع صغر الابن و عدم إمكانيته من تأمين بيت منفرد و مستقل عن والديه.[1]

هذا الاستعداد الثقافي لتقبل الأسرة الممتدة يفسر تشكليها و بنائها بعد أن تكون أسر نووية ذلك بعد ضغوط و أحداث لا تسمح بالاستقلالية للأبناء، فتشهد الأسرة الجزائرية تفكك و انفصال الأسرة الزواجية عن الممتدة ثم تتركب عند زواج أبنائها في ظروف خاصة.

ج- العامل الديموغرافي:

أول ما نتكلم عن الأسرة يتبادر إلى الذهن عدد الذين فيما بعد سيكونون أسر، فالأسرة الجزائرية و بحكم الأصل الريفي التقليدي كان عدد الأبناء يتفاخر به في العائلة، و الإنجاب عامل من عوامل تعدّد الزوجات للرجل الواحد، و مع العدد الكبير للأبناء و مع الظروف القاسية الاقتصادية منها و الاجتماعية

[1] سلسلة الوصل، مرجع سابق، ص: (107-111).

فإن استقلال أحد الأبناء و تشكيله لأسرة نووية يبقى الإخوة المتزوجين الآخرين منتمين إلى الأسرة الممتدة و تحت لواء الأب.

أما في الأسر الحديثة و نتيجة البطالة، و تدهور الأوضاع الاقتصادية و أزمة السكن، و تأخّر سن الزواج يعمد الأزواج إلى تنظيم الإنجاب فحسب الإحصاءات التي قام بها الديوان الوطني للإحصائيات ما بين 2006-2008 قدرت زيادة السكان ب: 3 آلاف نسمة[1]، و حتى اليوم تبقى الزيادة الطبيعية للنمو السكاني مرتفعة، و لكنها شهدت انخفاض بالمقارنة بالسنوات الأولى من الاستقلال.

د- زيادة نسبة التحضّر:

الملاحظ في العالم بصفة عامة كبر المدن و تضخمها، و تراجع المجتمعات الريفية و تقلصها كنتيجة للحداثة التي فرضتها الصناعة، و رغبة تحرّر الشباب من سلطة الأب في المجتمع الجزائري، كما سببت في النزوح الريفي ظواهر أخرى مثل الاستعمار الفرنسي، و قيام ثورة التحرير ضدّه و تمركزها في الجبال و القهر الذي سلّطه على أصحاب المناطق الجبلية و الريفية من طرف الاستعمار كمدعّمين للثورة و بعد الاستقلال و محاولة البناء الاقتصادي، هجر الجزائريون لتوفّر العمل في المدن، و سهولة العيش فيها كما يضنّون، و بعد التسعينات ظاهرة الإرهاب الذي دام عشرية كاملة ما سبب في زحف عدد كبير من الريف إلى المدينة، نتيجة الخوف و البحث عن الأمن، كلها أسباب أدت إلى زيادة السكان في المدن و بالتالي زيادة التحضر.

و ما يساهم في التغيير الأسري ما تعرفه الأسر اليوم من تراجع نسبة الزواج، و ارتفاع معدلات الاستمرار في التعليم حتى المراحل العليا، ارتفاع معدلات الهجرة بين النساء سواء داخل البلد أو خارجه و كذلك ارتفاع نسبة النساء اللواتي يشتغلن مناصب عليا في الإدارات و الهيئات الحكومية مثل مؤسسات التعليم و الصحة و في قطاع الأعمال "[2].

كلها عوامل و مؤشرات تعمل على تغيير نمط و بنية الأسرة لتتكيّف مع هذه المتطلبات الجديدة من احترام و أوقات العمل للمرأة، و مسؤولياتها تجاه العمل، و تبادلها لثقافات مختلفة عند خروجها و تنقلها و تشبعها بالحياة الحضرية المعروفة بتعقيدها و صعوبتها، و تعدّد أدوارها.

[1] www.ONS.dz.

[2] سلسلة الوصل، مرجع سابق، ص: 311.

3. تغير الأدوار:

يقوم المجتمع بتحديد الأدوار الاجتماعية من خلال التنشئة الاجتماعية، و توريث قيم و معايير اجتماعية و عن طريق تقليد الأبناء للآباء و الكبار بصفة عامة و تقمّص أدوار، سيُمارسونها في المستقبل و حسب جنسهم و سنهم تتغير هذه الأدوار، و من خلال هذه الأدوار يمكن أن نعرف و نضع الحقوق و الواجبات، و التي تتأثر بالتغير الثقافي و الاجتماعي حتى نصل إلى البلدان المتطورة و المتحضرة بنسبة كبيرة التي تتميز باختلاط هذه الأدوار.

فبعد اقتصار العمل على الرجل، خرجت المرأة إلى العمل بعيدا عن الفضاء المنزلي و عرفت العمل المأجور كنتيجة للأوضاع الاقتصادية المزرية، إضافة إلى تعلم المرأة الجزائرية، و بذلك الرغبة في ممارسة تثبت بها المرأة مكانتها و التفتح على أدوار أخرى مربوطة بالعمل، و العلاقات المهنية كما أصبح الرجال يمارسون أعمالا كانت تقتصر على النساء لقسوة العيش.[1]

فأصبحت المرأة تعيل أفراد الأسرة في حالة عجز الزوج عن العمل أو كان مورده قليلا، و في المقابل يقوم الرجل بنشاطات داخل البيت كرعاية الأطفال، و إعداد الطعام، و ترتيبه و لكن المجتمع لم يعرف هذه الظاهرة بهذه الحدّة إلاّ نادرا، و في المدن الأكثر تحضّرا، فما زالت الثقافة الأبوية موجودة و لها تأثير في أفراد المجتمع، فظاهرة عمل المرأة العربية خارج المنزل تتميّز بمميزات رئيسية هي:

- أنّها ظاهرة حضرية إلى حد كبير (العمل في المدينة).
- التركيز على مهن معيّنة تشبه إلى حد كبير المهنة التقليدية للمرأة كربت بيت.
- إن نسبة مساهمة النساء في القوى العاملة منخفضة.
- الدور الثنائي للمرأة.[2]

و مع زيادة التحضر و تعقيد الحياة الاجتماعية و الاقتصادية، و ظهور الفردانية و تعدد الاتجاهات الفردية و تفشي العلاقات الرسمية و التعاقدية كنتيجة للعمل الصناعي و تطوّر التجارة و المنافسة لا بد للتنظيم

[1] محمد أحمد بيومي، مرجع سابق، ص: 284.
[2] محمد عبد المنعم نور و آخرون، مرجع سابق، مقال لمجد الدين خيري بعنوان: العائلة القرابية في المجتمع العربي، ص: 209.

الأسري أن يتحرّك أفراده كفاعلين، و يمارسون أدوارا أخرى لمسايرة الحياة و التأقلم مع صيرورة التغير الاجتماعي.[1]

العامل الأساسي و المؤدي إلى تغيير الأدوار الاجتماعية هو تغير مركز المرأة، و اكتسابها المكانة الاجتماعية، هذه المكانة التي تفتح لها مجالات أخرى، و مسؤوليات و صلاحيات لم تكن تتمتّع بها من قبل، و عوامل التغيير في مركز المرأة العربية و دورها هي:

- انتشار التعليم
- العمل خارج البيت

فإن النمو المفرط في المؤسسات البيروقراطية في المجال التربوي و شموله مجالات متنوعة تمتد من الدراسة النظرية و حتى الإعداد المهني أعطى للنساء المهارات اللازمة للدخول إلى سوق العمل و التمتع بدخل اقتصادي مستقل[2]، تخلصت به من التبعية للرجل، فمن قبل و من " خلال دور الزوج أو الأب الذي يعول الأسرة اقتصاديا، و يقضي جل وقته في العمل و له علاقات خارجية و يمثل أعضاء الأسرة أكسبه دورا مسيطرا و مهيمنا على الزوجة و الأبناء خاصة في النمط التقليدي، و مع خروج المرأة للعمل بعد تقدم الصناعة و التعليم أصبح لها مكانا مساويا للرجل بعد الاستقلال الاقتصادي، و أصبحت شريكة الزوج في القرارات "[3]، خصوصا إذا كان الرجل متقاعدا عن العمل، فتتقلص أدواره المربوطة بالعمل و فقده لنسبة كبيرة من دخله، و مع تعقد الحياة و تطوّرها، و تعدد الأدوار، كان على النمط البنيوي الأسري أن يتأقلم مع الظروف و الوضعية الجديدة، و بدأت الأسرة النووية بالظهور و بنسب كبيرة.

IV. البنية النووية للأسرة:

1. تغيّر النظام الأبوي:

[1] احسان محمد حسن، العائلة و القرابة و الزواج، دراسة تحليلية في تغيير نظر العائلة و القرابة و الزواج في المجتمع العربي، دار الطليعة، ط2، لبنان 1985، ص: 82.
[2] محمد عبد المنعم نور و آخرون، مرجع سابق، ص: 208.
[3] محمد أحمد بيومي، مرجع سابق، ص: 248.

مرّ المجتمع الجزائري و العربي بعدّة أحداث كالاستعمار من طرف الدول الأوربية، و ما يحمله من فرض لنظام اقتصادي رأسمالي، و من ثقافة و حضارة غربية، و في المقابل محاولة لمسح القيم الثقافية العربية الإسلامية، و تفكيك النظام الاجتماعي القائم، و الذي لقي مقاومة من طرف المجتمع الجزائري، و يفسر شرابي هذا النظام " بالصدمة التي تعرض لها المجتمع العربي عند التقائه بالثقافة الغربية منذ نهاية القرن: 19 و بداية القرن: 20، و لكن تلك الصدمة لم تؤدي إلى تغيير القديم بل أدت إلى تجديده دون تغييره "[1]. و هذا الاصطدام بالحضارة الغربية لم يكن في خطوات بطيئة و متتالية، تساعد على التحوّل و التغير بصفة تدريجية فكان بصفة مباشرة، و جاء المستعمر لأخذ خيرات البلاد و تعزيز اقتصاده، دون أن يراعي بشكل كبير تغيير ثقافة المجتمع، و قد تدارك الأمر و لكن في زمن متأخر.

و المقاومة لدى أفراد المجتمع الجزائري، كانت مقاومة للاستعمار و كذا كل ما يحتاجه هذا المتعدي من حضارة و تطوّر، و يبقى النظام الأبوي يظهر " بمفهوم ذو ازدواجية نظرية مهمّة لأنه يعبر عن تشكيلة اجتماعية هجينة ناتجة عن الانتقال من نظام تقليدي إلى نظام حديث دون استكمال عملية التحوّل أو الانتقال بصفة نهائية، و هو الأمر الذي جعل المجتمع العربي المعاصر يبدو في هذه الصفة المزدوجة التي يجمع فيها بين التقليد و الحداثة دون أن يكون أيّا منهما "[2].

لِدى المجتمع الجزائري و حسب تصوّراته أن المجتمع بشكله التقليدي يبقى هو المثالي، و هو الأصل و كل شيء فيه صواب و يضع له مبرّرات أنه أفضل من العصرنة و الحداثة، ونلتمس هذا الخطاب عند كبار السن حيث يبقى النموذج التقليدي هو المفضل و المطلوب بما فيه من تعاون و تضامن اجتماعي و حماية للفرد، و بساطة العيش دون تعقيد، و دون متطلبات كثيرة، و في المقابل نرى محاولة الشباب خاصة التحرّر من قيود الجماعة و البحث عن العصرنة و الزيادة في التحضر و الرفاهية، و تكوين مستقبلهم بعيدا عن المجتمع التقليدي، و مع الزمن و تغير الأجيال أصبح " المجتمع يتكوّن من أفراد سوسيولوجيا أحرار من قيود الجماعة لأن العائلة الأبوية لا توجد، و كذلك أقل جزاء، لكن التمثّلات الثقافية للنظام الأبوي مع ذلك أيضا موجود في الوقت أين التضامن المحلي في حالة احتياج تسرع القرابة القريبة و البعيدة للظهور "[3]،

[1] عالم الفكر، مرجع سابق، ص: 288.
[2] عالم الفكر، مرجع سابق، ص: 288.
[3] ADDI. L, op.cit, p :15 .

و كأنه النظام التقليدي و الأبوي أصبح في الروح، أما المظهر فيأخذ شكلا متحرّرا و ينتمي للحداثة، دليل ذلك التضامن من خلال المناسبات أين يعود تشكيل النظام القديم و يعود الأمر للذكر الأكبر أو الأب، كما للأفراد الاستعداد لتشكيل النظام التقليدي و الأسرة الممتدة عند أي ظرف طارئ، لأنه خلفية و مرجعية ثقافية مقبولة و محافظ عليها في الذاكرة الجماعية للمجتمع.

و في " الواقع أن الأسرة في المجتمعات العربية لا تزال في عمقها أسر أبوية يتمتع فيها الرجل بسلطات معتبرة تتيح له سيطرة و نفوذ على المرأة و الأطفال، رغم التغيرات التي تعرضت لها بفعل التصنيع و التوسّع و الاندماج بقوة في النظام الرأسمالي العالمي بكل قيمه المادية و الثقافية "[1].

و تساهم عدة عوامل أخرى تعمل على الابتعاد عن هذا النمط التقليدي، و تغيير شكل و تركيب الأسرة، و بدأت تظهر أنواع أخرى بديلة عن العائلة الممتدة.

2. الأسرة النووية:

من أحد المظاهر و المميزات للمجتمعات الحديثة، و المعتمدة على العمل الصناعي، تفكك العائلة الممتدة و استقلال أبنائها المتزوجين في تشكيل أسر زواجية، و من العوامل التي ساعدت هذا التفكك هو انتشار النزعة الفردية و الاهتمام بالمصالح الخاصة، و ساعد على ذلك نظام الملكية و القوانين و الأفكار الاجتماعية العامة المتعلقة بسعادة الفرد، و كذلك يظهر هذا النوع من الأسر كنتيجة للحراك الاجتماعي و الجغرافي[2]، و يتميّز هذا النموذج الأسري بعدم وجود أجيال متعدّدة، و تقتصر على جيلين فقط يعيشون في بيت واحد، و " هي الجماعة المكوّنة من الزوج و الزوجة و أولادهما غير المتزوجين الذين يقيمون في مسكن واحد "[3]، فهي أصغر وحدة قرابية في المجتمع، ، و تتميز بنمط معين من العلاقات الاجتماعية و التفاعل الحدود نتيجة تعدّد الأدوار، و انتشار الفردانية كحتمية تعقد الحياة و صعوبتها و الانتقال من البناء الممتد إلى البناء النووي هي ظاهرة عالمية تميّز بها العالم الحديث و البلدان المتطوّرة و عرفت في

[1] عالم الفكر، مرجع سابق، ص: 310.
[2] محمد أحمد بيومي، مرجع سابق، ص: 248.
[3] محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص: 105.

البلدان المتخلفة و العالم الثالث خاصة في المناطق الصناعية، و المدن الكبرى و المعروفة بالتجارة، و ما يسودها من التنوع الوظيفي، و التخصّص في العمل، و انتشار التعليم.[1]

و بالنسبة للروابط الاجتماعية بين أعضاء الأسرة النووية يتميز عن ما هو في العائلة الممتدة من سيطرة الجد أو الأب على باقي الأبناء و زوجاتهم و أحفادهم، و تضمحلّ مركزية السلطة و " يخيّم الجو الديمقراطي عامة على الأسرة النووية، و ذلك لتساوي منزلة الزوج مع منزلة زوجته... و مما يزيد ديمقراطية الأسر النووية عدم تعرض الزوج للقيود التي تفرضها عليه سلطة الأقارب منها سلطة الجد أو الأخ "[2]، و توزع السلطة بالتساوي يكون نتيجة الدور الفعال الذي تقوم به المرأة خاصة في مجتمعنا الجزائري و ما يعرف بالدور الثنائي، أي العمل داخل البيت و خارجه، و ارتفاع المستوى التعليمي لدى الزوجين.

و ظهرت عدة أشكال للأسرة النووية التي تعكس التعقيد الكبير في الحياة العصرية، و الضغوط المتزايدة على الأفراد و نذكر منها:

أ- الأسرة النووية المعيارية: و تتألف من زوج و زوجة، و ما لهما من أبناء يشتركون معا في معيشة منزلية واحدة، و يعمل الزوج لكسب قوت الأسرة و تدير الزوجة أعمال المنزل.

ب- الأسرة النووية الثنائية: تتألف من زوج و زوجة بلا أطفال و أحدهما أو كلاهما يعمل لكسب مادي.

ج- الأسرة ذات الشريكين العاملين: كلا الزوجين من بدء زواجهما له عمل تكسبي.

د- الأسرة ذات الوالد الواحد: (عادة تظم هذه الأسرة أطفالا في سن ما قبل المدرسة أو في مراحل تعليمية).

و تنشأ هذه الأسرة نتيجة الطلاق، الهجر، أو الانفصال و عادة لا تلقى الأسرة أي تعويض مادي من الوالد الثاني.

هـ- الزوجان متوسطا أو متقدما العمر: الرجل في هذه الأسرة هو العائل و الزوجة تعمل بالمنزل (الأطفال في هذه الحالة قد تركوا الأسرة، إما التحقوا بالجامعات أو تزوجوا و كونوا بدورهم أسر منفصلة).

و- الأسرة التي خرجت فيها الأم تطرق باب العمل: تَنظمّ الزوجة إلى القوى العاملة عند التحاق الأطفال بالمدارس أو عند تركهم في منزل الأبوين.

[1] محمد عبد المنعم نور و آخرون، مرجع سابق، ص: 195.
[2] عبد القادر القصير، مرجع سابق، ص: 54.

ز- الأسرة متشابكة الأقارب: و هي أساسا تضم بيوتا لأسر نووية، أو لأفراد متزوجين و تضمهم حدود جغرافية متلاحقة، و يضمهم نطاق اقتصادي و اجتماعي واحد يتبادلون فيه السلع و الخدمات أو أنها تتألف من مجموعة مختلفة من الأشكال الثانية المذكورة سابقا.

ح- أسر الزواج المتكررة: كلا الزوجين فيها يكون قد سبق له الزواج و الطلاق مرة أو أكثر كما أنها تضم أطفالا من زواجها السابق أحيانا من الزواج الحالي و يعيشون معا.[1]

كل هذه الأنواع تفسّر و تكون كمظهر للحياة الحضرية و العصية، و التي تتميز عدة أزمات و صراعات داخل البيت الواحد، و بين أعضاء الأسرة الواحدة، و لعل السبب المباشر للتخلي عن الأسرة الممتدة هو " الأزمة الحادة للسكن في سنوات الثمانينات و التسعينات التي تفسّر شدّة الطلب لمنفذ قرار العائلة المركبة بالانفصال و التحرّر "[2]، خاصة بعد كبر الأبوين في العمر، و تأخذ الأمراض منهم القسط الكبير من حياتهم فيتمنون التمتع بالهدوء، الذي لا يجدونه عند العيش مع الأجيال المتنازلة، و يزيد الاختلاف الثقافي في حدة الأزمة و الصراع بين جيلين لا يحملان نفس الطموح و القيم و المعايير التي تغيرت مع مرور الزمن.

خاتمة:

الإشكالية الكبيرة التي تواجه المختصين في علم الاجتماع هي: هل المجتمع الجزائري ريفي أم حضري؟ و هل المدينة يغلب عليها الطابع الحضري أم هي مريّفة؟

لا نحاول الإجابة عن هته الإشكالية، و إنما نضع للمتقاعد أو للفرد الجزائري صورة كعضو في الأسرة و كرب لهذه الخلية الأساسية للمجتمع، و المحيط الاجتماعي له، فالهيمنة الذكورية في المجتمعات العربية لها تأثير على نمط عيش الأسرة و حركيّتها، و مكانة الأب فيها كان متقاعدا أم عاملا، و للعائلة الممتدة ثقافة

[1] إقبال محمد بشير، مرجع سابق، ص: 18.

[2] ADDI. L, op.cit, p :54 .

مختلفة عن ما هي عليه الأسرة النووية، و التي تعطي أهمية كبيرة لقرار الرجل الأكبر فالأكبر، و التي ترسخها القيم و العادات و التقاليد عبر الأزمنة عن طريق التنشئة الاجتماعية للأبناء.

إلا أنه هناك تغيير يمس الأسرة، و التي نسب كبيرة منها تحوّلت من ممتدة إلى نووية مما يؤثر على العلاقات بين أعضاء العائلة ليصبح الأب يُنظر إليه بنظرة أخرى مختلفة عما كان يُنظر إليه في الممتدة و تصبح القيمة المادية لها تأثير كبير زيادة على التحرّر و البحث عن المصلحة الشخصية ممّا يساهم في تفكك الروابط الاجتماعية.

و رغم التغير الاجتماعي و تحوّل الأنظمة الاقتصادية و المرور من الزراعة إلى الصناعة و رواج التجارة إلاّ أن الأفراد و مع ملاحظة حياتهم اليومية، تبقى بعض القيم الدينية و المعايير الاجتماعية تحكم صيرورة حياتهم و نمط معيشتهم.

فالمتقاعد الجزائري الساكن في المدينة يختلف عن ما هو في الريف إذا ما رجعنا مثلا إلى فكرة التضامن عند إميل دوركايم، فيكون آلي في الريف و عضوي في المدينة، إذا قلنا عضوي في المدينة يعني مشاركة و انضمام هذا الأخير إلى فرق و منظمات و جمعيات، هذا ما لا نلاحظه على أغلب متقاعدينا.

و إذا ما قارنا المتقاعد الجزائري مع المتقاعد الأوربي، يكون الأوربي أكثر انسلاخا عن الجماعة القريبة و البعيدة، عكس المتقاعد الجزائري على العموم الذي يحضا بنسبة من التضامن الجماعي خاصة من الجماعة القريبة أي الأسرة و الأصدقاء. هي الحالة العامّة للأسرة و المجتمع الجزائري، و تتخَلّلُها حالات خاصة و لكل متقاعد ظروفه التي يعيش فيها.

الفصل الخامس

المتقاعد داخل الأسرة و في المدينة

تمهيد:

بنية المجتمع الجزائري في ثباتها تستمد أفكارها و مبادئها و قاعدتها الثقافية من الدين كمصدر أول للقيم و المعايير الاجتماعية، و التي تحدّد من خلالها أدوار و مكانة كل فرد في الأسرة و المجتمع، هذه المنظومة الثقافية جعلت من الرجل هو المهيمن و له السلطة داخل الأسرة بقدر متفوق على المرأة، و كذا سلطة الأب على أبنائه من باب الاحترام و الطاعة.

و تظهر هذه السلطة و تتغير مقدارها حسب انتماء الأب للأجيال و الفئات العمرية، و مكانته الاجتماعية، و كذا انتماء الأسرة ككل إمّا للمجتمع التقليدي الريفي، و الذي يعرف غالبا بسيطرة الأب و الذكر كبير السن، حيث تعود إليه كل مقومات السلطة من اكتسابه للريع و وسائل الإنتاج و توزيعه، " فإن العائلة الموسعة من حيث هي نظام اجتماعي كانت توفر للفرد تحقيق رغباته من زواج و عمل مقابل ذلك يجد الفرد نفسه في إطار علاقات اجتماعية محدّدة، و هو قابل دون أدنى تردد، سواء على المستوى الاقتصادي أو التنظيمي، مثل تقسيم العمل و احترام السلطة "[1].

أدوار العمل محدّدة سابقا، و كذا تقسيم السلطة دون نقاش، فالأب مهما كبر سنّه يبقى على رأس الجماعة و العائلة لتكون السلطة من احتكاره و إن غاب فالولد الأكبر، فالأم، فالذكر الأكبر، ثم الأنثى الأكبر فالأكبر.

و إمّا انتماؤه إلى أسرة نووية أو حضرية، و التي ظهرت كنتاج للتغيير الاجتماعي الذي حصل بعد الاستقلال، و الكم الهائل من النزوح الريفي إلى المدينة، و التخلي عن العمل الزراعي، و القيام بالعمل الأجير بالنسبة لكل من الآباء و الأبناء مما جعل الأبناء يتحرّرون، و أتيحت لهم الفرصة للتعليم بالنسبة للجنسين، و بدأ يظهر الاختلاف الثقافي بين الأجيال واضحا، " فاليوم، كل جيل هو حامل للقيم و الثقافات و السير السريع للتاريخ متّهم بالفوارق "[2].

اختلاف ثقافي نتيجة التطور و التغيير السريع الحاصل، مما جعل فارق بين الجيل القديم و هم الآباء و الجيل الجديد و هم الأبناء، فنظرة الآباء أن زمانهم هو زمن المثاليات، و كل شيء كان يقومون به هو

[1] سلسلة الوصل، مرجع سابق، مقال لإبراهيم بويحياوي، ص: 299.

[2] LEVET. M, op.cit, p : 70.

صوابا، و جيل الأبناء جيل ينعدم فيه الحياء و الاحترام، و التهوّر و نقص الفعالية، و جيل الأبناء يرى أن جيل الآباء قد مضى عليه الظهر و شرب و أصبحوا ذو أفكار قديمة لا تساهم في تنمية البلاد، و تطور الاقتصاد و المثول إلى الرفاهية مما يجعل هذه النظرة و مع اكتساب مكانة اجتماعية عالية للأبناء بالتحرّر من تبعية الأب و سلطته عليهم، و كنتيجة للتربية و التنشئة الاجتماعية التي تلقوها، و مع مقاومة الأب للحفاظ على سلطته، أصبحت تظهر بشكل رمزي، ظاهرة و ليست معمّقة.

انفتاح الأب المتقاعد و ممارسته للتسيير الديمقراطي في أسرته، جعل الأم و الأبناء يلجئون للبحث عن مفاتيح أخرى للوصول إلى السلطة داخل الأسرة بأشكال مختلفة، و ساعد على ذلك تغيير الأدوار الخاصة بالمرأة و خروجها للعمل و اكتسابها لعلاقات اجتماعية جديدة، و مداخيل و معرفة بالعالم الخارجي الذي كان محتكرا على الرجل فقط، مما جعلها تأخذ بعض المسؤوليات على عاتقها إضافة إلى مسؤولياتها المنزلية، و التي منحتها نقاط قوة للتفاوض على السلطة، و أخذ القرارات مع الرجل.

إضافة إلى أن " التقاعد من العمل أو الإحالة إلى المعاش (retirement) من الأحداث أو المواقف التي تواجه كبير السن، و تؤدي إلى تحوّل حياته من الذهاب إلى العمل إلى المكوث في البيت، و من أعباء الالتزام و تحمّل المسؤوليات إلى الفراغ و الابتعاد عن المسؤوليات، و من الفعالية و التأثير إلى السلبية و عدم التأثير، و من شغل المنصب و المركز إلى ذهاب المركز و المنصب "[1]، و ما يترتب عن هذا التحوّل من انخفاض المكانة الاجتماعية للأب تجاه الأبناء، و تجاه الزوجة، و تبدأ نقاط الضعف تظهر عليه، و التي تسبّب فقدان سلطته بقدر متفاوت رغم مقاومته لإبقائها، لتصبح في غالب الأحيان تظهر بشكل رمزي غير مؤثّر.

كما إنه بفقدان العمل تتغير أماكن تواجد المتقاعد و نشاطاته سواء داخل البيت أو في المدينة لتعطي خصوصية لهذه الفئة الاجتماعية في المجتمع.

[1] كمال إبراهيم مرسي، مرجع سابق، ص: 158.

I. نمط الحياة الأسرية بعد التقاعد:

1. الحياة الأسرية للمتقاعدين:

التقاعد و ما يصاحبه من وقت فراغ كبير، لا يعرف في غالب الأحيان المتقاعد في مراحله الأولى استثماره، و يتميز بمكوثه في البيت و لفترة طويلة من الزمن، بقابل زوجته و أبناؤه و بناته بدون فعل أي شيء داخل المنزل، أو انشغاله بأي نشاط أو تسلية أو هواية تلهيه.

يصرح أحد المبحوثين: " *الوَضْعْ في الدَّارْ تْغَيَّرْ خَطَرْ الرَّاحَة بَزَّافْ بَزَّافْ تْطَلَّعْ النَّرْفَزَة و كُلْ شَيْء قُدَّامَكْ و تَبْقَى تْرَاقَبْ الجُزْئِيَّاتْ، و لَكِنْ في إِطَارْ التَّصْلِيحْ مَا تَوْصَلْشْ حَتَّى الشِّجَارْ لأَنَّ طْبِيعْتِي نَهْضَرْ بْكْلاَمْ غَيْرْ جَارَحْ بَاشْ مَا نْخَصَّرْشْ الجْوْ العَائِلِي، الإِنْسَانْ مَا يَدْخُلْشْ في السَّبْ و الشَّتْمْ و كَسْرْ الأَشْيَاء، يْكُونْ الجْوْ مَسْمُومْ* ". (المبحوث رقم: 07)

بعد التقاعد تزيد الراحة و وقت الفراغ اللذان لم يعتد عليهما المتقاعد بعد ليصير رب العائلة يراقب كل صغيرة و كبيرة و يتسبب ذلك في غضبه و توتّر الجو العائلي و تعوّد معالجة الأمور حسب مستوى و ثقافة كل من الزوج و الزوجة ليصبح " المرور إلى التقاعد يتعدى الزوجان اللذان عليهما إعادة النظر لحياتهما الجماعية، ففي الحياة النشطة يلتقيان في أوقات الفراغ، العطلة الأسبوعية أو العطل السنوية و الآن عليهما تقسيم وقت طويل جدّا، العيش معا 24 ساعة على 24 "[1]، فهذا الخلل في تنظيم الوقت الذي يصطدم به الزوجان عند تقاعد أحدهما، و خصوصا الزوج ينتج عنه عدّة اضطرابات عائلية، حيث يصبح الزوج المراقب الحرس على كل صغيرة و كبيرة تجري في البيت، و لا يقبل أي هفوة مهما كانت صغيرة لأن أعصابه متوترة بسبب الروتين و الملل طول النهار.

فهناك " صعوبة العيش مع زوج و ليس هناك فصل بممارسة وظيفة، و التي تحافظ على ذلك البعد المؤمن للحفاظ على نشاطات شخصية خاصة بكل فرد من أفراد الأسرة و كذا الابتعاد عن الروتين القاتل و تجد الزوجة نفسها في معاملة الند للند مع زوجها المسن، و تصبح حياة خانقة كلها مشاكل "[2].

[1] RIPON. A, op.cit.p : 110.
[2] PAUQUET. M, conduites pathologiques et société, l'harmattan, France, 1996, p : 82.

و تقاعد الزوج عن العمل و بقاؤه في المنزل هو الذي يدفع أكثر من أي شيء آخر إلى شعوره بتقدم العمر، و مع عدم إنصاف الزوج بعد كل هذه السنوات من العمل الشاق، فوجود الزوج قابعا في المنزل بدون أي يفعل شيئا أمر جديد على زوجته لم تَعْهَدْه منذ أربعين سنة مضت، و ردود فعلها عليه يزيد شعوره بأنه مسن و غير نافع، و يصيبه توتر نفسي، و هناك من يرى العكس كما يصرح هذا المبحوث: " *مْرَاتِي مْعَاوْنَتْنِي 100% من النَّاسْ اللِّي مَا يْتَقَلْقُوشْ، و كِي خْرَجْتْ la retraite في الأَيَامْ الأولَى سَاعَدَتْنِي بَزَّافْ و كَانَتْ تْقُولْ لأَوْلاَدْهَا خَلِيوْهْ tranquille* ". (المبحوث رقم: 10)

الزوجة تعي الحالة الجديدة و الوضعية التي يوجد فيها زوجها، و نظرا لطبيعتها البشرية و خبرتها معه تعلم كيف تسيّر الأمور و تساعده على تخطي مرحلة صعبة بالنسبة له، و هذا دليل على توافق المسنين زواجيا لخلاصة سنوات عديدة من العيش معا و معرفة كل واحد منهما الآخر بشكل جيد فيبتعد عما يضايقه و يُظهر ما يروق له، كما يعرف أحواله و يدرك أنه لا بديل له الآن إلاّ الاعتناء بالطرف الآخر و الابتعاد عن الأمور المؤدية للصراع، فالعاملان المقويان لهذا الموقف هو إحالة الزوج للتقاعد و انقطاعه عن علاقات الزمالة في العمل، و نزوج الأولاد غالبا، و يبقى على المسنين رعاية كل واحد منهما الآخر و عاملان يؤديان إلى خلل في العلاقات الزوجية و توتر الزوجين هو مرض أحدهما، فيصبح الآخر بمثابة ممرض خاصة إذا استمر المرض، و الفقر عامل من عوامل الشقاء و التعاسة بعد انخفاض الدخل و زيادة المتطلبات و الحاجات من كبر السن.

و علاقة الأولاد بآبائهم المسنين تكون بالأخذ و العطاء، حسب التصريحين الآتيين:

المبحوث1: " *يْعَاوْنِّي وَلْدِي ingénieur في électronique يَمْدْ لأُمَّه الدْرَاهَمْ خَطْرَة على خَطْرَة* ". (المبحوث رقم: 02)

المبحوث2: " *وْلاَدْ وْلاَدِي كِي يْجِيوْ عَنْدِي يَجْبْرُوا رَاحْتُهُمْ و يَقْعْدُوا يَلْعْبُوا، نَزْعَفْ عْلِيهُمْ خَطْرَاتْ la faute مَشِّي فِيهُمْ في وَالْدِيهُمْ مَا رَبَّاوْهُمْشْ مْلِيحْ* ". (المبحوث رقم: 09)

يظهر جليا تبادل المنفعة و الأدوار ما بين جيل الأبناء و جيل الآباء، فكل واحد يقدم ما عنده للثاني ليخلق جو من المساعدة و التضامن العائلي على أعلى مستوى و المعروف به المجتمع الجزائري و العربي فالمسنون يتلقون المساعدة المادية و المعنوية و يقدمونها لأولادهم، كما يساعدون في تربية الأحفاد نتيجة

حكمتهم و خبرتهم في هذا المجال[1]، و مع نسبة التحضر الزائدة و تغيير بنية الأسرة من العائلة الممتدة إلى الأسرة النووية، أدى إلى زيادة تعقيد الحياة بالنسبة للآباء و كبار السن مع تحرّر الأبناء بتشييدهم لمساكن بعيدة عن مساكن آبائهم، و بدأت تظهر عدة مشاكل من بينها:

أ- متاعب حياة يملؤها الفراغ و الشعور بالافتقار إلى من يؤنس و خاصة في حالة وفاة أحد الزوجين المسنين.

ب- القلق بسبب التحول في المكانة و الأدوار

ج- رقابة الحياة الأسرية اليومية، و خاصة بعد توقّف الزوج عن العمل و انكماش الأعباء المنزلية بالنسبة للزوجة

د- الحساسية الناجمة عن واقع أو ظن بأن المسن يفقد تدريجيا اهتمام الآخرين، و خاصة الأهل و الأقارب.[2]

و عدة مشاكل ناجمة عن عدم تفاهم الزوجة و الزوجة، و بين الأب و الأبناء كخلاف في المواقف و الآراء و الاختلاف الثقافي بين الرجعي و المعاصر، و الفقر و تدهور الصحة التي تؤدي إلى صعوبة العناية الأسرية بهذا المتقاعد، إلا أنه يفضل أن " يعيش معظم كبار السن في أسرهم الأصلية، فمن دراسة عن كبار السن وجد حوالي 70% في أمريكا و 85% في البلاد العربية يعيشون في أسرهم فكبير السن يفضل الحياة الأسرية، و يرتبط بالأسرة التي كونها بنفسه، و ألف الحياة فيها و احتفظ فيها بماضيه و ذكرياته ".[3]

و مقابل التفاهم و التكيف بين أعضاء الأسرة و رعاية الزوجة و الأبناء للأب المتقاعد، يكون على هذا الأخير التنازل على قدر من سلطته داخل العائلة لضمان السير الحسن لهذه المؤسسة التي ليس له غيرها.

[1] سيد سلامة إبراهيم، مرجع سابق، ص: (75،82).
[2] مدحت فؤاد فتوح حسن، مرجع سابق، ص: 49.
[3] كمال إبراهيم مرسي، مرجع سابق، ص: 75.

2. الصراع الأسري:

الإحالة على التقاعد و كبر في السن هي مراحل يتخطاها الإنسان في حياته، و هذه المراحل كلها تغيّر فيصبح العامل يتقاضى معاشا بدلا من أجر أي انخفاض الدخل المادي، و كثرة وقت الفراغ و الملل و الموت البطيء، الضعف الجسدي و الذهني و عدم مسايرة التطور الاقتصادي و الثقافي مما تجعل من المتقاعد يتصرف تصرف غير طبيعي حيث يصرح أحد المبحوثين: " *الحاجة اللّي نَبْغِيهَا نْدِيرُوهَا عَرْفِيني بَلِي مْنَارْفِي و نْدِيرْ كَارْثَة، رَاهُمْ يَهضْرُوا كِي نَزْعَفْ نْحْبسُوا* ". (المبحوث رقم: 13)

يصبح المتقاعد لا يتحمّل كثرة الكلام و يغضب لسبب بسيط ليتشاجر مع أفراد عائلته، و لا يقبل لأي اعتراض لأمر ما يخصّه، و ذلك نتيجة لتوتّره النفسي الذي يوجد فيه و كذا " الضغوطات الاقتصادية للتطور الصناعي، و التطور العلمي في الغالب ضغوطات للتخلي عن نماذج حياة و التي مرّة أخرى تقدم للشيخ مكانة مميّزة "[1]، هذه المكانة المميزة تجعله منعزلا و مهمّشا في الغالب من طرف الآخرين و يكون أكثر تأثيرا الفضاء العائلي لأنه المكان الملازم له في أغلبية الوقت، فيصرح أحد المبحوثين: "*كِي تَخْرَجْ la retraite تَقُولْ نْرَيَّحْ و المِشَاكِلْ هَذَاكْ وِينْ نْزِيدُوا في الدَّارْ، في رُوحَكْ تْوَلِّي غِي عَيَّانْ خَطَّرْ مَا تَخْدَمْشْ، نْزِيدْ فِيكْ cholestérol و الْفَضَى يَقْتَلَكْ* ". (المبحوث رقم: 14)

يؤثر التقاعد على صحة الإنسان كما يكثر وقت الفراغ دون ممارسة أي مهنة وتزيد المشاكل و تتفاقم عندما يصبح الزوج المتقاعد لا يمارس أي مهمّة، و مهمّته الوحيدة هي مراقبة أعضاء الأسرة من الزوجة و الأبناء، و التعقيب على كل صغيرة و كبيرة، و الانتقال من غرفة إلى أخرى دون أن يفعل شيئا حيث " تساهم الضغوطات المستمرة و منها تضارب مكانة الزوج خاصة المهنية إلى اتساع الفجوة الأسرية بين الرجل و المرأة، حيث قد تتشدق المرأة بكلمات كحقها في الحرية و المساواة و رفضها للحياة الزوجية و قد يكون الرجل مسيطرا أو سلبيا و غير مشاركا في أعباء الحياة فيزداد الصراع بين الزوجين و تتحوّل إلى عنف و ينعكس بدوره على الأبناء "[2]، فالصراع في أغلبه يبدأ مع الزوجة ،و التي لا تتحمّل طريقة الحياة مع زوجها المتقاعد، و الذي لا يلبي لها ما كان يستطيع أن يلبيه قبل التقاعد، و مع كبر سنه و عدم قدرته

[1] JAOSZ. L, op.cit, p : 31.

[2] سلسلة الوصل، مرجع سابق، مقال لسامية حضر صالح، ص: 65.

على مسايرة التطورات الاقتصادية و الثقافية، فيدخل في صراع الأجيال مع أبنائه و تظهر آراؤه بالية، فيضطر الأبناء إلى التمرّد على سلطته، يقول أحد المبحوثين: "*مَا بَقِيلِي مَا نْدِيرْ مْعَ الوْلاَدْ و لاَ المرَاة رَاهُمْ كْبَارْ و يَعْرْفُوا وَاشْ يْدِيرُوا يْخَلُونِي tranquille و نْحلاَصْ، نْتَهَلَّى فِي رُوحِي بَزَّافْ عْلِيَّ*". (المبحوث رقم: 14)

يريد رب الأسرة عندما يكبر في السن و يحال على التقاعد أن يدع كل مهامه الأسرية و الأبوية بفقدانه لمهامه في العمل، ليصبح منغلقا على نفسه و يعاني نوع من الاغتراب أو العزلة، و " اغتراب الآباء و الأمّهات و ابتعادهم عن دور الوالدية كما ينبغي أن يكون و إذا شارك الأولاد الوالدين الاغتراب أصبحت الأسرة مغتربة، و من نتائج ذلك الصراعات الزوجية و انهيار الأسرة "[1].

و هذا الاغتراب قي وظيفة الأبوة يكون نتيجة المشاكل و الضغوطات و التعصّب للرأي عند الوالدين و كذا الأبناء، فكل واحد منهما يريد أن يحافظ على قدر من الحرية من خلال اكتساب نسبة من السلطة التي تسمح له بالتصرف على الشكل الذي يريد، و يبدأ الصراع عن هذه السلطة بين الزوج و الزوجة، و الأب و الأبناء في الخفاء، و بطريقة غير معلنة، فكبر سن الأب و تقاعده و عجزه هي فرصة للأبناء لأخذ المبادرة و التحرّر بالنسبة لهم، و في نظر الأب مازال في حالة جيدة، و القرارات الأخيرة تعود له، و من أسباب الخلافات الزوجية و الأسرية حسب محمد هاشمي:

أ- عندما تكون الزوجة مسترجلة لا تريد التعاون

ب- الزوج الطفل الضعيف أي لا يقدر أو لا يريد تحمل مسؤولية الأبوّة

ج- الزوج الأناني الذي لا يفكر إلا بنفسه و رغباته

د- أحيانا لدى بعض الأفراد حدوث ضائقات مالية أو أزمات اقتصادية خانقة.[2]

و قد تكون في بعض الأحيان أسباب الصراع الأسري تافهة في ظاهرها، إلا أنها نتيجة لصراع داخلي لفاعلين اجتماعيين أين يغتنم الأبناء أو الزوجة فرصة ضعف الأب للقيام بأعمال دون أخذه بعين الاعتبار، و تكون مقاومته لهذه الوضعية لإثبات مكانته و سلطته هي سبب الصراعات و النزاعات.

[1] إجلال محمد سرى، مرجع سابق، ص: 118.

[2] عبد الحميد محمد الهاشمي، الرشد في علم النفس الاجتماعي، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص: 257.

و قد يصل الصراع الثقافي بين الأجيال و يدق باب الأسرة، و هذا ما يلاحظ على أغلب البيوت الجزائرية، حيث يصرح أحد المبحوثين: "*وْلاَدْ الْيوْمْ مَا جَاوْ قْوَرْ مَا جَاوْ عْرَبْ، مَا يَهضْرُوا العَرْبِيَّة مَا يَهضْرُوا الفَرَنْسِيَّة بَاغْيِينْ كُلْ شَيْء بِالسَّاهَلْ، الخَدْمَة هِيَ اللِّي تْدِيرْ الهَمَّة مَشِي الرْقَادْ*". (المبحوث رقم: 13)

بالنسبة لهذا المتقاعد و رب الأسرة الجيل الجديد لا يتمسّك بهويته و ثقافته و لا يتمسّك بثقافة الأوربيين و كأنه لا يعرف نفسه، و يريد الأشياء على طبق من ذهب دون التعب، و هذه النظرة للأبناء و الجيل الجديد، تخلق نوعا من الاختلاف و العداوة للتصرفات و السلوكيات، فالصراع هو صراع الدين و العرف و التقاليد التي تنمح الطاعة للأب مهما كانت وضعيته، و المكانة الاجتماعية و المهنية للأبناء و محاولتهم لأخذ المبادرة، و تحمّل مسؤوليات أكبر على أنفسهم و باقي أعضاء الأسرة، و تتفاقم الأمور حيث " العادات و التقاليد التي اعتادها مجتمع ما و التي تتطلب من الرجل حسب مقتضيات هذه التقاليد قدرا من الرجولة في قيادة أسرته من خلاف العنف، و القوة، و ذلك أنهما المقياس الذي يبين مقدار رجولته، و إلا فهو ساقط من عداد الرجال "[1].

هذه الثقافة للهيمنة الذكورية تعمل على فرض ضغط على الأزواج و الآباء للحفاظ على قدرتهم في التسيير الكامل و التام لأفراد أسرته، إلا أن هذه الثقافة بدأت تتغير مع التطوّر و التحضّر و زيادة نسبة التعليم، و اكتساب الجيل الجديد مقومات تجعله يأخذ المشعل، و يتحرّر و يدعّم سلطته في الأسرة على حساب سلطة الأب.

II. سلطة المتقاعد في الأسرة:

1. عوامل اكتساب السلطة داخل الأسرة:

اكتساب السلطة داخل الأسرة يكون بامتلاك نقاط القوة، مقابل نقاط ضعف بالنسبة لفاعل آخر و اكتساب بعض الأمور و النقاط الجوهرية التي تعمل على تحريك و سير النظام الأسري، و هذه العوامل تختلف من ثابتة إلى متغيرة حسب الزمن و حسب ثقافة المجتمعات، و كل من الزوج و الزوجة و الأبناء

[1] www.saaid.net/tarbiah/102.htm, مقال بعنوان: العنف الأسري لعبد الله بن دهيم

يستغلون أساليب خاصة بهم لكسب أو استمالة السلطة لهم، كما تتغير السلطة حسب الزمن و اكتساب الزوجة أو الأبناء لمكانة اجتماعية جديدة، و أدوار أخرى تعزّز قوتها و تخفف من تبعيتها للآخر، يصرح أحد المبحوثين: "*مَا بْقَاشْ المشَاوَرَة في هَذا الزّمَانْ، كُلْ وَاحَدْ بْيدِيرْ اللّي في رَاسَهْ ، اللّي عَنْدَهْ دُورُو يْتصَرَّفْ بِيهْ كِمَا يَبْغِي، المهِمْ بْقِيُونِي و خْلاَصْ* ". (المبحوث رقم: 15)

و يصرح مبحوث آخر: "*الوَاحَدْ اللّي مَا عَنْدَهْشْ الدْرَاهَمْ اللّي يكْفِيوْهْ حَتَّى في الدَّارْ، تْنْقُصْ الهَيبَة نْتَاعَهْ كِي كُنْتْ نَخْدَمْ و نْجِيبْ البَانِي مْعَمَّرْ كُنْتْ غَايَة في نَظَرْهُمْ، و دَرْوكْ نْحَسْ قِيمْتِي طَاحَتْ شْوِيَّة* ". (المبحوث رقم: 14)

و يصرح مبحوث آخر: "*وَكَانْ جْبَرْتْ الأَوْلاَدْ يَقْعْدُوا مْعَايَ في الدَّارْ خَطَرْ أَنَا كْبَرْتْ و المرْأة كِيفْ كِيفْ، وَكَانْ نْمَرضْ و لا حَاجَة نْجَبْرْهُمْ مْعَايَ، و كِي تْخَسَرْ حَاجَة كِمَا التِلِفِزْيُونْ و لا بَاشْ نَشْرِي حَاجَة هُمَّ يَعْرْفُوا، و عَنْدْهُمْ صْحَابْهُمْ يَعْرْفُوا كِيفَاشْ يْرَكْبُوا parabole و لا يَسْتَعْمْلُوا portable* ". (المبحوث رقم: 04)

نلاحظ من خلال هذا التصريح أن المتقاعد و عندما يكبر في السن يضعف صحيا، و يصبح في حاجة إلى أبنائه كما يبقى تابع لهم من ناحية المعلومات و التقنيات المستجدة مع التطور الذي يحصل كل يوم و يظهر حسب التصريحين الأولين أن من يكسب المال يكون بمثابة مدعّم لقوته و سيطرته في العائلة و تمنحه هبة و العكس صحيح، ففقدان المال من طرف الأب، و اكتسابه من الأبناء أو الزوجة تنقص هبته و سلطته " نقاش طويل لمبدأ السلطة بين الزوجين تابع لأفضلية العوامل الاقتصادية: السلطة تعود مبدئيا للممون بالموارد، العوامل الثقافية: رأس مال ثقافي "[1].

التمتع بالمداخيل المالية يكسب الزوجة أو الأبناء تحرّر نسبي من سلطة رب البيت، مع إمكانية الدخول في المفاوضات، و الاعتماد الذاتي على شراء أي شيء يلزمه دون العودة إلى الطرف الآخر، كما أن الرأس مال الثقافي له دور في تمكين فرد من العائلة مقابل الآخر، لأن اكتساب المعلومة يعزّز قوته و يجعله يسيّر بقية الأفراد، فالمستوى التعليمي كلما ارتفع، ارتفعت معه المكانة الاجتماعية داخل المجتمع و التي تنعكس أصداؤها داخل الأسرة، فالمرأة إذا كانت أمية كان بإمكان الزوج السيطرة عليها و العكس صحيح.

[1] www.documentation française.fr, famille(s) et politiques familières, cahiers français n=32, famille et société

يصرح أحد المبحوثين: " *المْرَاة اليُومْ وْلاَتْ تَعْرَفْ أَكْتَرْ من الرَّاجَلْ، و تَجْبَرْهَا تَحْكُمْ فِيهْ في الخَدْمَة وَلاَّتْ بُولِيسِيّة، تَحْكُمْ في الطْرِيقْ و تْدِيرْ لَكْ مُخَالَفَة و تَسْكُتْ و قَادْرَة حَتَّى تَحْقُرَكْ* ". (المبحوث رقم: 14)

نرى أن المرأة من خلال القرارات السياسية للدولة أصبحت لها مكانة بالنسبة للرجل و في المجتمع و تستمد قوتها من خلال عملها، و كذا القوانين الصادرة أو المعدلة في قانون الأسرة مؤخرا، حيث يصرح أغلب المبحوثين ليقولون: أن المرأة لها الحق الآن و لا تستطيعون القيام بأي شيء ضدها.

" و توضح المرنيسي أن هناك ارتباطا بين تدخل الدولة لتأمين الأمن الاقتصادي للأسرة و بين التغيير في مركز الأب في الأسرة "[1]، كما هناك عوامل داخلية تؤثر على اكتساب السلطة أو فقدها، هناك عوامل خارجية مثل سياسات الدولة و مشاريعها الاقتصادية التي تمكن الرجل من السيطرة بتحكمه في تموين العائلة، أو جعل للمرأة دور فعّال في الاقتصاد و بالتالي أدوار جديدة، و علاقات جديدة، و استقلال مادي، و تراجع في التبعية، و يكون لباقي أفراد الأسرة الفرصة في امتلاك و المشاركة في السلطة داخل العائلة.

2. مشاركة أفراد الأسرة في السلطة:

في الظاهر أن السلطة و القرار الأخير يعود إلى رب الأسرة أي الأب، رغم ذلك فهناك تفويض لهذه السلطة للأم كربت بيت، و اتخاذ القرارات الخاصة بفضائها الخاص أي البيت، و حتى قرار الأب تدخل عليه عدة أمور تجري في الخفاء من طرف الأبناء بالتأثير على الأم، و التي بدورها تؤثر على الأب في تغيير أو سحب قرار معين في أمر معين.

يصرح أحد المبحوثين: " *المَرْأة هيَ المِسْؤُولَة عَلى الوْلاَدْ مُورَايَة عَنْدِ الثِّقَة فِيهَا 25 عَامْ و حْنَا مْعَ بَعْضْ* ". (المبحوث رقم: 13)

بدأت فكرة تقاسم المسؤوليات و الاعتماد على المرأة أو الزوجة في البيت تنتشر، و بدأت المرأة تشارك في السلطة داخل العائلة، و كسبت ثقة الشريك و رب العائلة في إدارة الأمور الخاصة بالبيت و مع تطور الأوضاع الاقتصادية، و استقلال كل من الزوجات و الأبناء و الخروج من التبعية أدّى إلى الخروج نوعا ما

[1] محمد عبد المنعم، مرجع سابقن ص: 209.

عن السلطة المفروضة من الأب، مثلا: شراء سيارة أو أثاث من طرف الابن و هو يملك ثمنها، يسمح له بذلك و كأنه أمر يخصّه.

" إذ أن تحليل مبدأ السلطة في الأسرة العربية المعاصرة يكشف لنا أنه رغم احتفاظ الرجل بمكانة مميزة داخل الأسرة سواء في الريف أو المدن فإنه هناك اتجاها ثابتا نحو مشاركة الزوجة و الأبناء في عملية اتخاذ القرارات التي تتعلق بشؤون الأسرة "[1].

التفتح على الثقافات الأخرى، و حدوث عملية التثاقف خاصة في العشرية الأخيرة مع اتساع استعمال المقعرات الهوائية، و التقاط الفضائيات التلفزيونية، و ازدياد هائل في عملية الاتصال بالهواتف النقالة و الأنترنات، و كذا تطور قطاع التعليم و ديمقراطيته و مجانيته عوامل أدت إلى تغيير مفهوم السلطة داخل الأسرة، و عُوّضت بنوع من الحرية في الاختيار و اتخاذ القرارات الخاصة و الفردية، ضمن حياة شخصية مسطّرة و مخطط لها لبلوغ أهداف فردية من طرف الشخص نفسه، بدلا من الجماعة و تطورت الأمور ليشارك كل الأفراد في مسار الأسر حسب معلوماتهم و خبرتهم المختلفة، و كذا نظرتهم المستقبلية و التغيرات الحاصلة في مجتمعهم.

يصرح أحد المبحوثين: " *الوَلْد هو يَخْتَار الرُّوحَه، هُوَ بَاغِي يْعِيشْ مْعَاهَا مَشِّي أَنَا و حَتَّى البْنِتْ بَاشْ غُادَو مَا تْقُولِيشْ ذْنُوبِي عْلَى وَالْدِيَ* ". (المبحوث رقم: 10)

اختيار الشريك بالنسبة للولد أو البنت أصبح اليوم من مسؤولياتهما و ليس على الأب أو الأم التدخل في هذا الأخير، و يبقى و بتصريح معظم المبحوثين أن المهم رؤية أصل العائلة الأخرى و أخلاقها، فعدة قرارات تكون خاصة بصاحبها و ليس للأب أو رب العائلة التدخل فيها، و قرارات يسمح لأعضاء العائلة المشاركة لاتخاذها، و " هناك بعض الدلائل أن مثل هذه المشاركة خاصة في المدن مرتبطة بمستوى تعليم الزوج، إذ كلما ازداد مستوى تعليمه كلما رفع من درجة ديمقراطيته أو تسامحه و المشاركة في عملية اتخاذ القرارات داخل الأسرة تتسع في الواقع لتصل الأبناء أيضا خاصة فيما يتعلق باختيار المهنة و اختيار شريك الحياة "[2] ، فكان للآباء كبار السن تجربة مع أبنائهم الأوائل عندما فرضوا عليهم أشياء ندموا عليها فيما بعد، و لم تكن صائبة و لعدم درايتهم بالتطورات الحاصلة على المستوى الاقتصادي

[1] محمد عبد المنعم، مرجع سابقنهن ص: 202.
[2] محمد عبد المنعم، مرجع سابق، ص: 203.

و السياسي، و التي عادت بالمضرة على أبنائهم، و هذه التجربة جعلتهم يفوضون الحرية في اتخاذ قرارات خاصة بالأبناء، و لا يتدخلون فيها مثل اختيار المهنة أو الزوجة، أو نوع اللباس أو الأصدقاء...

كما يكون للزوجة مكانة عالية و قدر كبير في نظر زوجها إذا ما شاركته في حل مشاكل الأسرة و اقتراح حلول مناسبة مما يزيد في ثقته تجاهها فتأخذ مبادرة اتخاذ القرارات في غيابه.

يصرح أحد المبحوثين: "*كي يَكْبَر الإِنْسَانْ يَضْعَفْ يْبَقى غي يَفَوَّتْ الأُمورْ ، و يْتَنَازَلْ عَلَى صْوَالحْ بَزَّافْ*". (المبحوث رقم: 03)

في كثير من الحالات تصل بالأبناء إلى درجة التمرد على الآباء كونهم قد مر عليهم الزمن، و أصبحوا غير قادرين على فهم و كذا معالجة الأمور، لتظهر مشاركة الأبناء للسلطة، أو تصبح بشكل تسلطي على الآباء خاصة عند كبرهم، و يصلون إلى درجة عقوقهم و تمردهم على قرارات والديهم، و هذا الأسلوب التسلطي " يقصد به سيطرة الابن على والديه و معاملتهما كطفلين لا يحسنان التدبير و لا التفكير و يفرض سلطته عليهما و يأمر و يتحكم فيهما، و يستخف بمشورتهما و لا يطيعهما، و ينتقد أفكارهما و يسخر من قرارهما و يطلب منهما الإذعان لما يريد أو الخضوع لتوجهاته الفكرية و السلوكية "[1].

و تبقى هذه المعاملة كحالات خاصة لا تعمّم على مجتمعنا العربي و الإسلامي، إلا أن المشاركة في السلطة بدأت تأخذ قسطا وافرا منه، و تقسّم حسب اكتساب نقاط القوة و الضعف في الأسرة و الخضوع تدريجيا للظروف المحيطة بالأسرة كتنظيم اجتماعي يتأثر بباقي التنظيمات الأخرى.

3. رمزية سلطة الأب:

السلطة التي يتمتع بها الأب تأتي كونه يتمتع بعدة مقومات و أدوات يسيطر بها على أفراد الأسرة، حيث يعتبر العمل المحرّك الأساسي للسير الطبيعي للأسرة لأنه يمثل عدة أدوار من خلال دوره كأب كالحماية الخارجية و الداخلية، و الأمن الغذائي، و تأمين اللباس و السكن، و توفير الضروريات و الكماليات لعيش الأبناء و الزوجة، و هذه الأدوار يعزّزها العمل الذي يكون العمود الفقري لنقاط القوة التي يكسب بها سلطته، زيادة على ثقافة المجتمع السائدة.

[1] كمال إبراهيم مرسي، مرجع سابق، ص: 110.

يصرح أحد المبحوثين: " *كِي يَكْبَرْ الإِنْسَانْ يَوَلِّي حَاصَلْ غِي فِي هَمَّهْ الْفْضَى من جِهَة و الصَّحَة من جِهَة، و الأَوْلاَدْ يْدِيرُوا كِمَا يَبْغِيُو كَبَّرْنَاهُمْ و قَرَّنَاهُمْ، و يْدَبْرُوا رَاسْهُمْ دَرْوَكْ اللِّي بْغَاوْ يْدِيرُوا الله يْسَهَّلْ* ".

(المبحوث رقم: 11)

كثرة الهموم بعد كبر السن و الإحالة إلى التقاعد، يؤدي بالأب إلى العيش في حالة صعبة، يريد أن يتخلّص من كل المسؤوليات التي على عاتقه للاهتمام بنفسه بسبب فقده للعمل و كبره في السن و بالتالي فقدان قوته، " فالأمراض المزمنة التي يعانوا منها و إحالتهم إلى التقاعد و افتقار بعض الأصدقاء و عدم تحقيق التكيف الشخصي و الاجتماعي على وجه سليم، حيث يجد المسن نفسه دوما في حالة صدام مع من حوله من الأبناء أو الأحفاد لأنه يشعر بأنهم لا يطيعون له أمرا و ينازعونه السلطة في الأسرة "[1]، فكلما زادت نقاط الضعف عند الأب خصوصا بإحالته على التقاعد، و تدهور صحته كلما زاد طمع الأبناء و الزوجة في التحرّر، و اكتساب السلطة و القرار في سير الأسرة.

يصرح أحد المبحوثين: " *المْرَأَة كِي يَكْبَرُوا وْلاَدْهَا غِي قُولْ وَاهْ و مَا تَحْشَمْشْ عْلَى أَيْ حَاجَة يَهَضْرُوا عْلِيهَا، خَطَرْ وْلاَدْهَا فِي كْتَافْهَا و أَنْتْ كْبَرْتْ* ". (المبحوث رقم: 08)

يصبح للأبناء دور كبير إلى جانب الأم في تسيير أمور البيت و يفقد الأب سلطته، و يتنحى عن قدر كبير منها لأنه لا يستطيع مواجهة الأمور مثل ما كان يقوم به من قبل، و كبير السن و المتقاعد أولاده يكونون في سن يسمح لهم بالدخول في مراكز مهنية، و اكتسابهم لدخل اقتصادي و علاقات سهلت لهم معالجة الأمور الصعبة إلى درجة تصبح فيها " المداخيل مركّبة و منظّمة بأجور الأبناء، و هم إما عمال داخل مؤسسة الدولة، إما عمال تجارة حرّة، أو موظفين (أساتذة، شرطة..)، هذه الحالة تعمل في الغالب على فقد الأب سلطته للقرار في ميزانية العائلة: شراء أثاث، جهاز تلفزيون جديد، ثلاجة... فهم ليسوا تابعين له مطلقا "[2].

بداية بأخذ دور الممول المالي من طرف الأبناء، فتبدأ الزوجة و الأبناء بالخروج من تبعية الأب تدريجيا فيشتري الأبناء ما يريدون دون مشورة الوالد في أغلب الأحيان، و تبدأ الزوجة في تهميش زوجها

[1] مدحت فؤاد فتوح حسين، مرجع سابق، ص: 52.

[2] ADDI. L, op.cit, p : 57.

و تعتمد على مداخيل أبنائها و لا تعود بحاجة إلى التوسّل إلى الزوج أو أخذ رأيه في تجديد أو ترميم جزء من المنزل مثلا.

يقول أحد المبحوثين: " *دَرْتْ العَرْسْ للوَلْدْ مَا تْفِيقْشْ حَتَّى تَجْبَرْ كُلْ شَيْء بْنَاوْهْ فُوقْ رَاسَكْ، و كُلْ شَيْء دَايرِينْ لَهْ حْسَابَهْ، وْكَانْ مَا تَبْغِيشْ تَجْبَرْهُمْ قَاعْ عْلِيكْ، تْوَلِّي تْقُولْ آمِينْ و تْدْعِيلْهُمْ بالتَّسْخِيرْ و الهَنَا* ". (المبحوث رقم: 11)

يغتنم الأبناء و الأم الفرصة لكي يتحرروا و يمارسوا أمورا بدون استشارة الأب، بحجة أن أفكاره رجعية و تعيق سبلهم للنجاح و الظهور بمظهر لائق أمام الآخرين، و تزيد في تراجع سلطة الأب اكتساب الأبناء و الزوجة كأعضاء الأسرة مزيدا من الحرية و الاستقلالية تدريجي، و تبدأ المسؤوليات تنفرد و تتوزع على كل شخص و فرد من أفراد الأسرة الواحدة، و تظهر رغبات و حاجات و نمطط عيش مستقل عن شخصية الأب، و التي كانت مهيمنة من طرفه.[1]

تكون مقاومة من طرف الأب في بداية الأمر، و لكن مع التطور الاجتماعي و التحضر و زيادة الكماليات مع نقص مداخيله تتلاشى هذه المقاومة بتخليه عن تحمل المسؤوليات، و تفويض السلطة لأبنائه و حتى و إن لم تظهر بشكل واضح و مباشر، " لأن الأب يحافظ على سلطته الرمزية بكل شدة و لكن السلطة الحقيقية اختفت و استغلت من طرف الأم و أبنائها، و تفرض عن طريق نوعيتهم و مداخيلهم و علاقتهم مع الخارج كصاحب البيت "[2]، و رمزية السلطة و هي شكل إضفاء الموافقة النهائية للقرارات التي أخذت و قرّرت من طرف الزوجة أو الأبناء، كما أنها في المناسبات و الأعياد أو أمام الآخرين لإعطاء صورة مشرفة للأب كمالك لسلطة القرار.

III. أماكن تواجد المتقاعدين:

[1] سلسلة الوصل، مرجع سابق، ص: 290.

[2] ADDI. L, op.cit, p : 57.

1. المتقاعد في البيت:

يعد البيت أو المنزل أحد الأماكن المهمة التي يستريح فيها بعض المتقاعدين، لأنهم لا يجدون أين يذهبون أو يقضون وقتهم إذا لم يكونوا يقومون بعمل آخر، إذ أن العامل يقضي جل وقته مع زملائه في العمل و اعتاد على هذه الحالة لمدة تتراوح مابين 20 إلى 40 عاما، فإذا أحيل على التقاعد، المكان الأول الذي يجد نفسه مرغم للاعتياد عليه هو المكوث في المنزل، إذ يقول أحد المبحوثين: "... *و نُقْعُدْ في الدَّارْ و لاَّ نَطْلَعْ للسْطَحْ و لاَّ نَخْدَمْ jardin نْعاوْدْ نَتْوَضَى و نْروحْ للجَامَعْ نْصَلِّي ظُهْرْ و نْوَلِّي نَرْقُدْ ڤْوَكَانْ حَتَّى مَا نَرْقُدْشْ نُقْعُدْ قَاعَدْ في فْرَاشِي، نْعاوْدْ نْصَلِّي العَصْرْ و نْتَقَهْوَ، و نَقْعُدْ قي الدَّارْ، نْعاوْدْ نْصَلّي المِغْرَبْ عَاوْدْ العِشَاءْ، دْرُومكْ نْوَالْفْتْ نَقْعُدْ في الدَّارْ رَاهْ نْجِيبِي normal* ". (المبحوث رقم: 04)

يعتاد المتقاعد المكوث في البيت لأنه يملّ من كل الأماكن الأخرى، و يقوم بأعمال خاصة داخله، فهناك من يرمّم جزءا من البيت كما يصرّح به بعض المبحوثين bricolage أي القيام بالأعمال اليدوية التي يستطيعون القيام بها، فيما يخص" التقاعد نجد الأمكنة اليومية الغالبة للنساء (المطبخ، و عامة البيت) و للرجال الحديقة، المرآب، المكتب، و عامة الأمكنة المحيطة بالمنزل "[1].

و حسب النظرة الثقافية للمجتمع الجزائري فإن البيت هو فضاء للمرأة و أن المكان المناسب للرجل هو في الخارج، و مكوثه في البيت إلاّ لساعات قليلة، فنجد المتقاعد يخالف هذه القاعدة ليقوم بأعمال في الحديقة، أو يقوم بأعمال تسمح له كرامته كرجل في نظره القيام بها و لا تخص النساء، كملأ الماء مثلا، و هو يقوم بها لملأ الفراغ ليس إلاّ، كما هناك فرق طرق أخرى حسب أحد المبحوثين: " *كُلْ نْهَارْ و كِيفَاشْ بَصَّحْ الغَالَبْ رَانِي في الدَّارْ نَسْمَعْ الرَّادْيُو ، نْشُوف الأَخْبَارْ، و كَايْنْ النَّهَارْ حَتَّى 12 تَاعْ اللِّيلْ و أَنَا أَسْمَعْ الأَخْبَارْ، و خَطْرَاتْ نْجِي إلى هْنَا (ساحة البلدية) نْتْلاَقَ مْعَ بُومَدْيَنْ، و كِي مَا نَجْبَرْهْشْ اللِّي يْجِيبْنِي نْشِيخْ مْعَ جَارْنَا عْنَدْهْ حَانُوتْ قُدَّمِي* ". (المبحوث رقم: 09)

حسب تصريح هذا المبحوث فإن المتقاعد لا يبتعد عن البيت إذا ما خرج منه، و غالبا يكون أمامه يتحدّث مع جيرانه، و أن قضاء وقته يكون معظمه في البيت يستعمل المذياع أو التلفاز لسماع الأخبار و يتسلّى

[1] POCHET. P, op.cit, p :101.

به قليلا، كما هناك من يأتي بجريدة و يقرأها في المنزل، فتختلف النشاطات التي يقوم بها المتقاعد في المنزل حسب مستواه التعليمي و نشاطه السابق إلاّ أن المنزل يبقى المكان المفضّل عند الكثيرين.

2. المتقاعد في المقهى:

تتميز المدينة باختلاف مرافقها العامة، و أماكن التجمعات لأفراد المجتمع، و تختلف هذه المرافق حسب بنائها، و وظيفتها و هدف انجازها، حيث يتوافد الناس عليها لقضاء حاجياتهم و الترويح على أنفسهم و المرفق الذي يلاحظ بكثرة في المدن الجزائرية هي المقاهي الشعبية التي تعم جميع أنحاء المدينة، و مؤخرا انتشرت في الأرياف، كمرفق يستغل فيه وقت الفراغ، و تكون مكانا يجتمع فيه المتقاعدون و مختلف فئات المجتمع.

يصرح أحد المبحوثين: "*رَانِي لَحْقْهَا غِي الدَّمَا و الدُومِينُو فِي القَهْوَة نْتَلَّفْ بِيهُمْ، و إلاَّ نْصَلِّي فِي الجَامَعْ هَذِي هِيَ حْيَاتِي*". (المبحوث رقم: 15)

هناك فئة كبيرة من المتقاعدين يمضون أوقات فراغهم في المقهى، يلعبوا عدة ألعاب مثل: الشطرنج و الدومينو و الورق، أو يتحدثون في مواضيع مختلفة، لأن جو المدينة يفرض عليهم أماكن محدّدة للجلوس فيها، و كذا ألعاب مختلفة عن الريف و ما كان يلعبه آباؤهم من قبل.

يصرح أحد المبحوثين: "*بَكْرِي كَانُوا يَلْعَبُوا الحَفَايْر النَّاسْ اللِّي كْبَارْ و اليَوْمْ كِي وَلِّنَا فِي المدِينَة مْشَاتْ هَدِيكْ الأَلْعَابْ*". (المبحوث رقم: 01)

يختلف المتقاعد في الزمان الماضي و كبير السن عن ما هو الآن لأنه أصبح متحضرا، و فرضت عليه أمور غير معتاد عليها، و ممارسات غريبة ليصير محصورا في مكان يسمى المقهى، ليصبح كبير السن لا يجد مكانا يلتقي و يلعب فيه ألعاب خاصة إلاّ في المقهى كمرفق عام بعيدا عن السيّارات و عن المارة بالإضافة إلى تقديم المشروبات، تعددت وظائف المقهى في المدينة الجزائرية و تتجسد فيما يلي:

أ- إن المقهى تلعب دورا كبيرا للترويح على من يتوافدون عليها، و تبادل الأحاديث فيما بينهم و يمارسون بعض الألعاب كالشطرنج، الدومينو، الورق، و تساعدهم لإزالة التعب، و استعدادهم لاستقبال يوم آخر أكثر نشاطا.

ب- هناك علاقة بين البيت و المقهى عند البعض المترددين عليها للهروب من شغب الأطفال و المواجهات العائلية بين الزوج و الزوجة، و خاصة مع مطالب البيت المتعددة.

ج- هناك مقاهي ذات طابع خاص تمتاز بوافدين متميزين و ذوي المستوي الراقي كالعاملين في التعليم و أساتذة الجامعات و مجالات القانون، و يحصل أغلب الأحيان اجتماع بين عمال التنظيم الواحد.

د- دور المقهى في مجال الأخبار بكل أنواعها، و التعايش في شتى المواضيع المحلية و العالمية، و مواضيع الساعة كالرياضة و السياسة و غيرها.

هـ- الوظيفة التجارية للمقهى لقربها من مراكز العمل فهي مكان التقاء الشركاء، الباعة و المشترون و العاملون و أصحاب العمل و خاصة في مجال البناء.[1]

فأصبح المقهى يوفر عدة خدمات للمتقاعدين و غيرهم من فئات المجتمع، و كل فرد و كيفية استغلاله لهذا المرفق، و صارت المقهى معروفة باسم المتوافدين إليها مثل: مقهى المتقاعدين أو مقهى الكبار.

3. المتقاعد في المشراق:

الملاحظ بالتنقل في وسط المدينة أو الأرياف أمكنة و هي مخصصة للمتقاعدين أو كبار السن، يتجمعون فيها و هي في الغالب أمكنة مقابلة للشمس للدفء بها في الشتاء، موجودة في الساحات العمومية غالبا و تحت الأشجار و الأرصفة العمومية، يقول أحد المبحوثين: " *فِي الأَوَّلْ كُنْتْ نَقْعُدْ في الدَّارْ بَزَّافْ مَا نَعْرَفْشْ وِينْ نَمْشِي، كُنْتْ عَادَ مْوَالَفْ الخَدْمَة، و مْعَ الزَّمَانْ بَدِيتْ نْرُوحْ عَنْدْ الجَمَاعَة في الخَنَايَة و نْقَسَّرْ مْعَاهُمْ، و نْجِيبُوا الوَقْتْ* ". (المبحوث رقم: 11)

يذهب هذا المبحوث عند الجماعة التي تتكون من كبار السن و المتقاعدين مثله، و الذين يتجمعون في مكان واحد معروف لديهم ليتبادلوا أطراف الحديث، و يجتمعوا في جماعات صغيرة، و هذه الجماعات يختلف أعضاؤها بحضور الرفاق المعتاد عليهم أو حضور آخرين.

و هو مكان معروف عند المتقاعدين و هو مكان يستشرقون فيه بدفء الشمس في الشتاء، و هي عبارة عن برلمانات يطرحون فيها آراءهم و مشاكلهم بدون أية رقابة أو تحفظ، و مكان لانتقاء الأخبار بداية من

[1] محمد عباس إبراهيم، التنمية و العشوائيات الحضرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003، ص: 257.

القرية إلى العالم بألفاظ في الغالب محرّفة، و تنطق بنطق غير سليم، مع مراقبة المارة و الدخول في تفاصيل حياتهم، ثم الخناقات و المشاجرات بين الحين و الآخر، نتيجة لاختلاف الآراء و الثقافات التي لديهم، و سرعان ما تعود المياه إلى مجاريها، لأنه المكان الوحيد لديهم وأصدقاء الزمن المرير و الدائمين و المفروض عليهم.[1]

فهي أماكن لا تمتاز بأي نوع من أنواع تقديم الخدمة للمجتمع، حيث يصرح أحد المبحوثين: "*نْجِي نْخِيشْ مْعَ الجَمَاعَة هْنَا، نْتَلَّفْ مْعَاهُم*". (المبحوث رقم: 01)

لا يوجد هدف محدّد من التقاء أعضاء هذه الجماعة إلا لتمضية الوقت، و الدخول في مواضيع مختلفة و غير محدّدة، و هناك من لا يريد هذه الطريقة في تمضية الوقت و يمقتها، حيث يصرح أحد المبحوثين: "*أَنَا نْزَعَّقْ مْعَ الصْغَارْ les jeunes، و مَا نْمْشِيشْ عَنْدْ الْكْبَارْ خَطَّرْ كِي نْمْشِي نْجَبْرُهُمْ جَابْدِينْ وَاحَدْ يَهَضْرُوا عْلِيهْ، و أَنَا مَا نَبْغِيشْ خَطَرْ رَبِّي قَالَنَّا هَذَا (أشار إلى لسانه) و هُوَ اللِّي يَدَخْلَنَا للنَّارْ، كِي نْجَبْرْ وَاحَدْ صَحَّ و كِي يْكُونُوا جْمَاعَة اللا*". (المبحوث رقم: 04)

هناك من لا يحبذ تلك الجماعات و التجمعات و المشارق لأن أغلبها يسوده الغيبة، و التكلم في أعراض الناس ، و يريد اجتناب الكثيرين من المتقاعدين كسب المزيد من الذنوب لهذا يفضلون أماكن أخرى لقضاء الوقت كالبيت أو أماكن الترفيه و التنزه بعيدا عن التجمعات و القيل و القال.

4. أماكن تمركز المتقاعدين:

إذا أردنا البحث عن المتقاعدين في المدينة فلا نجد عناء في إيجادهم، و لكننا ربما لا نبالي لوجودهم أو اعتدنا على هذه النظرة، و نكتفي بالقول: هؤلاء كبار السن، و لكنه يوجد يوم يكثر فيه المتقاعدون و يلفتون الانتباه، و هو يوم 24 من كل شهر أمام مكاتب البريد و المواصلات، حيث يصرّح حد المبحوثين: "*تْحَيَّرْنِي غِي حَاجَة!، نْهَارْ 24 قَاعْ الشْوَابِينْ يَمْشِيوْ قِي خَطْرَة وَحْدَة إلى la poste و يْدِيُوا صَفْ كْبِيرْ، و*

[1] مجلة التقاعد، مرجع سابق، العدد الثاني، سبتمبر 2002، عبد العزيز الشايع بعنوان: المشراق، ص: 30.

يَسْتَنَّاوْ نَصْفْ نْهَارْ، أَنَا حَتَّى يَوْمِينْ بَاشْ نْرُوحْ نَخْلُصْ نْجَبْرَهَا خَاوِيَة، كَايْنْ اللِّي عَنْدَه ْ و يَسْبَقْ تَمَّ، اللِّي مَا عَنْدَهْشْ الله غَالَبْ عْلِيهْ ". (المبحوث رقم: 14)

يتمركز المتقاعدون يوم 24 من كل شهر أمام مكاتب البريد ، و هو يوم المخصص للحصول على المعاش و هو أكبر دليل على أن المتقاعدين في أكثر حاجة للمال، لأنه يُنفَق قبل أن تمر 30 يوما من سحبه، كما نجد هذه الفئة في مكان آخر ألا و هو المسجد حيث يصرح أحد المبحوثين: " *دْرَوْكْ مَا يَجِي فِي خَاطْرِي غِي الجَامَعْ، و كِي نْمَرَضْ و مَا نْمْشِيشْ للجَامَعْ نْكونْ مَشِّي مْلِيحْ* ". (المبحوث رقم: 04)

يتجمع المتقاعدون كبار السن في جماعات داخل المسجد، و حسب المبحوث فإنه و بعد اعتياده على الذهاب إلى المسجد يكون في حالة مزرية عندما لا يذهب إليه و يتأثر نفسيا، حيث يتجمع الكبار في المسجد، و يكونون الأوائل من يدخل إليه، كما يقرؤون القرآن من هو حافظ لكتاب الله عل شكل جماعات، و من لا يحفظ يصلي بعض النوافل، فالمتقاعدون " هم كل يوم أمام شبابيك المكتب البريدي أو البنوك، يتجمعون في المساجد أو على حافة الأرصفة أو غالبا يجلسون على المقاعد العامة في الأمكنة و الساحات العامة "[1].

فالمتقاعدون يشكلون جماعات مختلفة باختلاف الأمكنة في المدينة، كما تقوم بينهم عدة انفعالات و مشاجرات تنتهي بالتصالح و عدم وجد ضغينة عند الالتقاء في المرة القادمة، لأنه المكان الوحيد و الرفاق نفسهم من سيلتقون دوما، أو مزاحا يصل حتى المشاجرة بالأيدي في نطاق المرح و الترويح عن النفس، ليصرح أحد المبحوثين: " *حْنَا هَكْذَا نَرْعْمُوا (بعدما جاء صديقه و تمازح معه) و تْجِي الجَمَاعَة عَنْدِي هْنَا (محل لبيع الخضر و الفواكه)، و نَجْبْدُوا مَوَاضِيعْ مْخْتَلْفَة: سِيَاسِيَة، رِيَاضِيَة و كُلْ وَاحَد يَعْطِي رَأْيَه* ". (المبحوث رقم: 07)

كما يتمركز بعضهم عند أحد أصدقائهم و الذين يعملون في محلات أو دكاكين ليقضوا ساعات طويلة في الحديث عن مواضيع مختلفة، و يعطون آراء و كأنهم هم المسؤولون في تلك اللحظة على مؤسسات البلاد السياسية و الرياضية و الخدماتية، ليضعوا الحلول لمشاكل تتخبط بها البلاد، و الحديث الغالب هو غلاء المعيشة، و التذمر من الحالة الصحية و الوضع الذي تؤول إليه البلاد.

[1] Le quotidien d'Oran, jeudi 19 juin 2008, mon frère le retraité, par el yazid dib, p : 14.

" متقاعدينا لا نقول أن ليس لهم ما يقومون به، هم ذاهبون راجعون إلى المسجد، متمركزين تحت البنايات يعلّقون على الحياة و العالم و صراعاته، كم هي صعبة فترة التقاعد؟ و العيش بالنسبة للناس غير المتعلّمين "[1].

صعوبة الحياة عندما يفقد العمل و كونك شخص غير نافع للمجتمع فإنك لا تعتبر شخصا قدّمت الكثير قبل التقاعد، أنت لا تعمل و لا تقدم نفعا، فأنت غير مفيد للآخرين في نظرهم.

IV. نشاط و خبرة المتقاعد:

1. المتقاعد و الترفيه:

أول شيء يقابل المتقاعد هو التحرر من سعات العمل، و اكتسابه لوقت كبير كان قبل التقاعد يتمناه للقيام بنشاطات أخرى خارج نطاق العمل اليومي، فيبدأ بالتفكير في كيفية شغل هذا الوقت بنشاطات ترفيهية، غالبا تخفّف عليه الضغوط و يُكسّر من خلالها الروتين اليومي.

و الترفيه عند المتقاعدين الجزائريين يقتصر عل بعض النشاطات نتيجة المعاش المنخفض، فالمستوى المعيشي و المستوى التعليمي للفرد يفرض عليه قضاء الوقت و بطريقة استمتاع تختلف عن شخص آخر، كما أن النسيج الاجتماعي و غياب المرافق لا يساعد على استثمار وقت الفراغ في الترفيه بشكل جيد.

يقول أحد المبحوثين: " *les jeunes نْتَاعْ الْيُومْ مَا يَجْبُروشْ وَاشْ نْدِيرُوا حْنَا بَكْرِي كَانْ عَنْدَنَا السِينِمَا، المِسْرَحْ، يَدُونَا رَحَلاَتْ، الدَّولَة رَاهَا مْفَرْطة في الشَّبَابْ* ". (المبحوث رقم: 05)

فغياب المرافق حتى للشباب الذي يبلغ نسبة: 75% من المجتمع الجزائري، يؤكد أن الكبار في السن يعانون من نفس المشكل و أكثر، لهذا نجد المتقاعدين يقومون بنشاطات الترفيه داخل المنزل كالعمل في الحديقة الخاصة، أو بعض الألعاب كالورق و الشطرنج و الدومينو في المقهى.

و العامل المادي له دور كبير في النشاطات التي يقوم بها المتقاعد حيث يصرح أحد المبحوثين: "*نَخْرَجْ نْحَوَّسْ و نْقُومْ بِرَحَلاَتْ كُلْ سَنَة، نْزُورْ الأَحْبَابْ و الأَصْحَابْ و حَتّى خَارِجْ البِلاَدْ، نْرُوحْ للمُغْرِبْ و*

[1] Ibid. p : 14.

حَتَّى الدَّارْ البَيْضَاءْ عَنْدْ الأَحْبَابْ، نْمشِيتْ par avion و وَلِّيتْ، و نْمشِيتْ par avion خَطَّرْ عَنْدِ الدْرَاهَمْ لاَ تَمَّرتْ و لاَيْمتْ مَشِّي رَعْمَ شَاطُو عْلِيَ ". (المبحوث رقم: 07)

فالمتقاعد يريد أن يتمتع بالترفيه و السفر و الترويح عن نفسه، و لكن الجانب المادي يعيق عدة نشاطات للترويح، و قليل من المتقاعدين من يسافر خارج البلاد بل خارج الولاية إلا لضرورة من الضروريات التي تحتّم عليه ذلك، و الأوقات المخصصة للترفيه تزيد بعد سنة من التقاعد خاصة الهوايات المفضّلة للمتقاعد، و بالإضافة إلى نشاطات أخرى تقسم إلى ثلاث مجموعات:

الأولى كسماع الموسيقى أو المذياع و القراءة أو النشاطات البدنية و التي تتطلب إنفاق مال قليل و الممارسة غالبا في البيت، و تأتي فيما بعد النشاطات الأكثر إنفاقا كالسفر أو النشاطات الثقافية و عامة كل ما تمتاز بالتنقل خارج مكان الإقامة، و المجموعة الأخيرة هي النشاطات كالاشتراك في جمعيات، التكوين أو إعادة إحياء العمل السابق، و يتوجهون إلى العمل الذي لا يتطلب جهدا كبيرا.[1]

و حتى المطالعة باءت تقتصر على الجريدة اليومية، و تنحصر على من يعرف القراءة، أو بعض الكتب الدينية كالمصحف الشريف، يقول أحد المبحوثين: " *التَسْعَة نْتَاعْ الصْبَاحْ نَشْرِ journal quotidien و نَقْرَاهْ حَتَّى الحادِيَة عَشَرْ، مَنْ بَعْدْ نَفْطَرْ و نْرُحْ نْصَلِّي الظُهْرْ، و نْدِيرْ القَيْلُولَة و نُوضْ نَقْرَأ خَطَّرْ نَبْغِي نْطَالَعْ، عَاوَدْ نْصَلِّي العَاصَرْ، و نَقْرَأ في كْتَابْ تَاعْ التَّفْسِيرْ و تَاعْ الفِقْهْ* ". (المبحوث رقم: 05)

فالترفيه عند المتقاعد يعتمد على أشياء بسيطة مثل وسائل الإعلام كالجريدة أو المذياع أو التلفزيون بغرض الاطلاع على الأخبار لا أكثر، و يبتعدون عن ممارسة الرياضة بحجة الضعف الجسدي و المرض إلاّ في حالات قليلة و الملاحظة عند المتقاعدين الإطارات.

تبقى أماكن الترفيه محصورة في البيت أو الساحات العمومية لغياب مراكز خاصة بالشيخوخة و كبار السن، ألم يحن الوقت لإنشاء دار المسنين على غرار دار الشباب؟

2. العمل بعد التقاعد:

[1] www.soc.vlaval.ca/bab/reprech M999/ retraite 99 pdf, CLAUDE F, SYLVOIN F, adaptation à la retraite des esc-employés de l'état Québécois : deux ans après le programme de départ volontaire, 19 avril 1999, p : 85.

التوقف عن العمل و الإحالة على التقاعد في سن: 60 سنة، هو توقف إداري بواسطة عقد، و هذا لا يعني أن المتقاعد لا يستطيع العمل مرّة أخرى، بل هي رغبة يحدّدها بنفسه حُبا أو ضغطا من طرف الظروف التي يعيشها هذا الأخير، يقول أحد المبحوثين: " *مَا كُنْتْشْ نْفَكَّر أَنِّي بَعْدْ الخُرُوجْ لِلتَّقَاعُدْ نْقُومْ بِعَمَلْ آخَرْ، كُنْتْ مُقْتَنِعْ بْالرَّاتِبْ نْتَاعْ التَّقَاعُدْ اللِّي نَالَهْ فِيمَا بَعْدْ خَطَرْ كُنْتْ شَبْعَانْ من التَّعْلِيمْ، كُنْتْ حَابْ الرَّاحَة و كُنْتْ نْشُوفْ مْتْقَاعْدِينْ فِي المِيدَانْ مْهَنْبِينْ،و ظَهْرُولِي أَنَّهُمْ يَعِيشُوا فِي هَنَاءْ و سَعَادَة* ".

(المبحوث رقم : 07)

من خلال تصريح المبحوث يظهر أنه لم يكن ينوي العمل بعد التقاعد، نتيجة ضغوط العمل السابق كما أنه كان يحمل نظرة وهمية مسبقة عن وضعية المتقاعدين، و هناك على عكس ذلك فمنذ الوهلة الأول له نظرة، و يعرف الوضعية الحقيقية و يستعدّ للعمل قبل الخروج للتقاعد، و تتعدّد الأسباب لعمل المتقاعد و كبيري السن و لكن السبب الرئيسي حسب هذا المبحوث: " *الإِنْسَانْ اللِّي عَنْدَهْ الخَلْصَة مْلِيحَة مَا يْخَدَمْشْ، عْلاَشْ يْخَدَمْ؟، و اللِّي مَا عَنْدَهْشْ الخَلْصَة مْلِيحَة يْوَلِّي يْخَدَمْ بَاشْ يْكَمَّلْ النُّقْصْ. الحَاجَة المْلِيحَة كِي تْجَبَرْ تْخَدَمْ و كِمَا مَا تْجَبَرْشْ تَسَلَّكْ بْدِيكْ النُّرُوجْ دُورُو* ". (المبحوث رقم: 13)

السبب الرئيسي للعمل بعد التقاعد هو قلة المعاش و الذي لا يكفي لتدبّر أمور الأسرة، و الذي يبقى مسؤولا عليها في غالب الأحيان كرب أسرة، فيضطر المتقاعد للخروج للعمل لتغطية النقص المادي الذي يواجهه في حياته اليومية و خاصة في المناسبات، كما يقول أحد المبحوثين: " *pension مَا يْقَدْشْ خَطَرْ دَارُوهْ لْنُرُوجْ تَاعْ النَّاسْ: أَنَا و المَرَاة، و أَنَا نْخَدَمْ عَلَى عَايْلَة* ". (المبحوث رقم: 03)

فالمتقاعد يعرف المسؤولية التي تنتظره قبل الخروج من العمل، و أن المعاش يكفي لشخصين و من يعول عائلة بأكملها لابد له من عمل إضافي، و يصبح له إيمانا " بأن الحياة العملية لا تسير على نموذج خطي مستقيم و متجانس، و الذي يبدأ من الخروج من المدرسة و التدحرج حتى التقاعد "[1]، ليبدأ المتقاعد في العدول عن فكرة الراحة و النوم و الأكل، و يحاول الخروج من الرتابة التي يعاني منها، و كسر فكرة كبير السن لا يعمل و المتقاعد يبقى مجرد راتب يضاف إلى الأجر الذي سيتحصل عليه، و من الأسباب كذلك

[1] GUILLEMARD. A, l'âge de l'emploi, op.cit, p : 250.

ملؤه لوقت الفراغ، كما يصرح هذا المبحوث: " *الهَدَفُ الأَسَاسِي مِنَ البَحْثُ عَنِ العَمَلْ هُوَ بَاشْ نَمْلأ وَقْتْ الفَرَاغ، و نْعَطِّي نُقْصْ الرَّاتِبْ الشَّهْرِي اللِّي وَلَّى مَا يَكْفِيشْ* ". (المبحوث رقم: 07)

فوقت الفراغ من الأسباب الرئيسية التي تجعل من المتقاعد يمل من حالة الركود، و عدم العمل الذي اعتاد علية منذ سنوات عديدة، و الذي هيكل و أطر حياته و وقته اليومي بوضع ساعات العمل قاعدة لباقي الفترات الأخرى من اليوم، و يصبح للمتقاعد اقتناع بعد ذلك بأن: " الشيخوخة لا توجد في الذات هي دائما إنتاج لثقافة و في نفس الوقت أن التقاعد و الصحة الجيدة عرفت كحقيقة اجتماعية مهمة "[1] تسمح له بالعمل مرة أخرى و يكون مفيدا للمجتمع، و يعطي كما يأخذ، و تكون له مكانة مهمة و ضرورية ضمن أفراد المجتمع كعنصر حساس، و ليس حضوره كغيابه و بقاؤه عالة على باقي الأفراد.

و رغم ذلك فإن المتقاعد يختار أعمالا تتوافق و حالته الصحية و كبر سنه، و تراجع القوة البدنية له،حيث يصرح أحد المبحوثين: " *مَا جْبَرْتْشْ الخَدْمَة اللِّي سَاهْلَة و مَّا نَخْدَمْ، اللِّي فِيهَا تَمَّارَة مَا نْقَدّلْهَاشْ و كَانْ نْقَابَلْ حَانُوتْ مْلِيحْ لِيَ* ". (المبحوث رقم: 15)

تصريح معظم المتقاعدين و الذين يمارسون عمل بعد عملهم الرسمي، تكون بسهولته و عدم وجود مضرة على صحتهم، الشرط الأول و الأخير لقبول هذا العمل، كما أن طبيعة العمل السابق لها تأثير على اختيار و ممارسة العمل بعد الإحالة إلى التقاعد، كما يصرح أحد المبحوثين: " *نَخْدَمْ الْفلاَحَة حَرْفَتِي الأُوْلَى، مَا عَنْدِيشْ حَرْفَة أُخْرَى مَا نَتْعَبْشْ فِيهَا غِي هَذِي* ". (المبحوث رقم: 03)

يؤثر العمل السابق أو الحرفة كما يصرح هذا المبحوث على العمل الممارس بعد التقاعد، لأن العمل الوحيد بالنسبة له الذي يُتقنه، و يمكن أن يوظّف فيه كما أنه يُبعد عنه الأحمال الثقيلة، و الفلاحة من الأعمال التي يبتعد عنها صغار السن، فالخبرة و التحكم في العمل، زيادة على العلاقات كما يقول آنماري قلمارد: " المكان و شبكات التضامن التي أنسجها، و العلاقات التي اكتسبها هي أماكن التوظيف المميزة للمتقاعدين الجدد "[2].

كما هو ملاحظ في سوق العمل، فإن المسن الذي ينتمي إلى العمر الثالث أي المتقاعد الجديد، عندما يريد العمل يجد سهولة في إيجاده نتيجة لعلاقاته ، مقارنة مع الشباب و خاصة إذا كان لا يكسب خبرة مسبقة.

[1] VEYSSET- PUIYALON. B, SAVIER. L, être vieux, autrenent, paris, octobre, 1991, p : 8.
[2] LEVET. M, op.cit, p : 62

3. خبرة المتقاعد و الجيل الجديد:

الخبرة في العمل لا تأتي إلاّ بالممارسة، و مرور وقت طويل فيه، أو وجود مدرّب يلقن تجربته و ما تعلّمه لمدة سنوات إلى المتعلم، فيُعرف الشاب بقلة خبرته و قوته البدنية، و يعرف الشيخ كبير السن بضعفه و خبرته الكبيرة، و يصرح أحد المبحوثين: " *الخْبَرَة هِيَ كُلْ شَيْء حْنَا كَانْ عَنْدَنَا عَسَّاسْ يَعْرَفْ اللِّي مَا يَعْرْهْشْ حَتَّى ingénieur الجْدِيدْ، و قُلْتْ اللِّي عَنْدُهُمْ la licence و اللِّي دَخْلُوا pré-emploi هَذَاكْ diplôme دِيرُوهْ فِي الْفَجَرْ و نْبَدَاوْ مَنْ جْدِيدْ* ". (المبحوث رقم: 05)

يعطي العامل كبير السن الأولوية الأولى للخبرة، و لا يعترف بالكفاءة التي أتى بها الشاب، و المتحصل على شهادة جامعية، و هذا يتّضح جليا عندما يصرح و يؤكد أن عامل بسيط و هو حارس في تلك المؤسسة يعرف أكثر من مهندس جديد في المهنة.

هذا التصريح يأتي ليوضح و يؤكد على وجود قطيعة بين العالم الفكري أي المدرسة، و عالم الممارسة أي العمل، و هنا يظهر دور العامل كبير السن في التدريب و تلقين كل ما تعلّمه إلى الشباب و الجيل الجديد ليصرح أحد المبحوثين: "*تْعَلَمْتْ بَزَّافْ مَنْ خَدَّمْتِي، تْعَلَمْتْ الصْبَرْ و عَرَفْتْ القَوَانِينْ، و كِي نْخَرْجَنَا خَلِّينَا الخْبَرَة نْتَاعْنَا لْنَاسْ وَاحْدْ آخْرِينْ مُورَانَا، كَانُوا صْغَارْ وَرِّينَاهُمْ كِيفَاشْ نَخْدُمُوا و كِيفَاشْ يْمَدْ بْرُوسِي للسَّدْ و هُوَ يَضْحَكْ* ". (المبحوث رقم: 09)

المتقاعد و قبل أن يتقاعد كانت له خبرة و تحكم في عمله، و أخطاء قد استغلّها مع الزمن، فالحياة تُعلّم ما لم نتعلمه في المدرسة، و يُظهر هذا المتقاعد أنه قد مرّر هذه التجربة، و ساعد كثيرا من الشباب في تلقينهم كيفية العمل، و ما زال يقدم هذه الخبرة حتى بالنصيحة، فالمتقاعد " يتحمس لعيش تقاعد متضامن نحو الشباب الذي له صعوبة الاندماج، و نحو أبنائه، و نحو من يبدؤوا في خلق مؤسسة..."[1] نجد المتقاعد دائما مستعد لتقديم خبرته لمن يريد أن يسأله و يأخذ خبرته، و نلاحظ أنه إذا سألته فإنه يُطنب في الشرح و بفصل، و يريد مساعدة الشباب و خاصة الأبناء بتعليمهم كيفية استثمار جهودهم في الخوض في هذه الحياة لكسب رزقهم، و نظرة المتقاعدين للشباب العاطل تكون بتذمر منهم تارة و بشفقة

[1] PAUGAM. S, op.cit, p : 198.

مرة أخرى، حيث يقول أحد المبحوثين: " *هَادُوا وْلاَدْ اليَوْمْ مَا يَخْدُمُوشْ، يْقُولْ لَكْ خْدَمْ بْدُورُو و حَاسَبْ القَاعَدْ، و نَمْشِي بالْنعَالَة حَتّى نْصِيبْ الصُبَاطْ، بَاغْيِينْ كُلْ شَيْء يَجْبُرُوهْ سَاهَلْ قَاعْ مَا يَتْعْبُوشْ* ". (المبحوث رقم: 08)

يظهر هذا التصريح كعتاب لعدم فعالية الجيل الجديد، و تأقلمه مع الوضع، و يريد أعمالا لا توجد في سوق العمل، و لا يعرف كيف يدبر أموره و يتذمر كثيرا دون فعل أي شيء، فهي نظرة تجسد السلبية التي يعاني منها الشباب، و يصرح مبحوث آخر: " الشَّبَابْ نْتَاعْ اليَوْمْ ضَايْعِين الخَدْمَة اللِّي تْنَاسَبْهُمْ مَا بْقَاتْشْ، الخَدْمَة رَاهَا قْلِيلَة، الخَدْمَة عَنْدْ privé مَا يَخْلَصْهُمْشْ، يَخْدَمْ عَنْدْ الدَّوْلَة مَا بْقَاشْ، تَشْغِيلْ الشَّبَابْ 300 أَلْفْ و لا 400 أَلْفْ مَا تَشْرِيلَهْشْ حَتَّى الدُّخَانْ، يْوَلِّي يْقُولْ لَكْ مَا نَخْدَمْشْ خِيرْ، خَطَرْ وَاحَدْ يَخْدَمْ بْزُوجْ مْلاَيِينْ و ثْلاَثَة و هُوَ 300 أَلْفْ مَا يَخْدَمْشْ، لا assurance، و لاَ خَلْصَة مَا يْقَدْ يَزَوَّجْ، مَا يْقَدْ يَكْسِي رُوحَهْلا مَا وَالُوا، الدُّخَانْ تَمْنَعْ عْلِيهْ...أَنَا رَانِي نْخَمَّمْ و حَاسَنْ عَاوَنْهُمْ، أَنَا خْدَمْتْ و مَا كُنْتْشْ نْعَيِّبْ نْهَارْ، و مَا وْصَلْتْشْ للنَّتِيجَة التِّي كُنْتْ بَاغِيهَا و هُوَ اللِّي مَا يَخْدَمْشْ كِيفَاشْ رَاهْ صَايَرْ فِيهْ، حْنَا كُنَّا دَخَّنْ و لاَ طَافْيَة " . (المبحوث رقم: 06)

يشرح المبحوث حالة الشباب بكل دقة، و هي قمة التضامن بالنسبة له تجاه الشباب الذي هو في بطالة و يوجه له كل عواطف الشفقة و الحيرة على حالته التي آل إليها من جراء عدم العمل، فالشاب اليوم يواجه نقصا مؤكدا في ميادين العمل، إذا لم توفر لديه الخبرة مع نقص فرص اكتساب خبرات مهنية و التي أصبحت محدودة، و تحول الوضع من جيل قام بالأعمال البسيطة إلى جيل يطلب منه كفاءة عالية تستدعي عدة سنوات من التعليم، و خبرة كافية للقيام بالعمل.

و دائما يبقى المتقاعد و الإنسان كبير السن يتباهى بخبرته أمام الناس الجميع من أفراد المجتمع حيث يصرح أحد المبحوثين: " *يَشُوفِنِي كْبِيرْ يَحْسُبُونِي مَا نَعْرَفْشْ، و أَنَا مَا قْرِيتْشْ بَصَّحْ وَحْدْ الخَطْرَة جَاء الذِّيبْ و قَالْ لِلْقَنْفُذْ أَنَا سَابْقَكْ فِي الدَّنْيَا، تْفَدَّرْ تْقُولْ لِي شْكُونْ حْفَرْ الحُفْرَة نْتَاعْ البَحَرْ؟، القُنْفُذْ قْعَدْ يَبْكِي ، قَالْ لَهْ فَكَّرْتْنِي بْمُوتْ وَلْدِي* ". (المبحوث رقم: 08)

هي حكاية يعني بها هذا المتقاعد أن القنفذ سبق الذئب، و يعرف أكثر منه، و هو مثال أو تشبيه تصويري لذوي الخبرة و من سبق في هذه الدنيا، يعرف أكثر ممن أتى من بعده، ليبقى الاعتزاز بالخبرة و الحنكة و الحكمة ميزة معظم كبار السن و افتخارا لهم.

خاتمة:

تتلخص حياة المتقاعد و همّه الأول و الأخير في قضاء وقت الفراغ، و الذي يسبب له عدّة مشاكل، ففي البيت و مع أسرته لا يجد أين يذهب و ماذا يفعل، فيبدأ بمتابعة كل صغيرة و كبيرة بحجة أن الأشياء ليست في مكانها الطبيعي، و تبدأ المفاوضة على مكانته و سلطته في إدارة هذه الأسرة و لعناصرها فالزوجة و مع كبر أولادها و تلقّيهم لتعليم و بلوغهم مناصب لم يبلغها أبوهم، و كسبهم لموارد مالية إضافية تستغني نوعا ما عن تبعيتها للزوج ليصبح نوعا ما مهمّش، و يصبح الأبناء يشاركون في تقاسم السلطة مع أبيهم المتقاعد لتبقى المباركة و الرضا تاج سلطته عليهم، و في جوهرها هي رمزية السلطة عليهم.

و يقضي وقت فراغه داخل البيت في غالب أمام المنزل، أو يعمل في الحديقة الخاصة بمنزله، أو يذهب للمقهى ليتسامر معهم، و يلعب بعض الألعاب: كالورق، الشطرنج، الدومينو و غير ذلك، و نجده في المدينة و أحيائها فيتجوّل أو في جماعات جماعات يقابلون دفء الشمس، و يتحاورون بطريقتهم و أفكارهم الخاصة، و بجمل و بألفاظ مميزة، و يناقشون في كل المعلومات و المواضيع و لهم آخر الأخبار المحلية و العالمية، و يتشاجرون بالكلام ثم يتصالحون في نفس الوقت و بكل طيبة و حسن خاطر.

كما نجدهم في الساحات العامة يقتلون الوقت، و إذا خاطبتهم قالوا: نحن موت قاعدا أي متقاعد يجلسون أمام المكتب البريدي ينتظرون المعاش ليُخرجوه أول يوم يلج فيه، و هناك من يعمل لاستطاعته البدنية و الذهنية و لحاجة للمال، لأن المعاش لا يكفي إلا 15 يوما على الأكثر، لأنهم يعولون عائلة و المعاش مقدر لشخصين لا أكثر، هما: المتقاعد و زوجته فقط.

الفصل الرابع

خصائص و مميزات كبار السن

تمهيد:

يُستعمل العمل كمحك للحكم على الإنسان قد دخل مرحلة الرشد بالدخول إلى سوق العمل و طلب الشغل ليصبح بالنسبة للمجتمع هذا الفرد صار عضوا فاعلا ما دام يوجد ضمن قوة العمل، قادر و معطاء لهذا المجتمع، و تتغير النظرة إذا كان الفرد ينتمي إلى القوة غير النشطة أي أنه لا يعمل كما هو الحال عند المتقاعد عند إنهاء مسيرة عمله، و تبدأ هذه النظرة تتبلور عند العامل كبير السن، و اقترابه من التقاعد، و المجتمع يلعب دورا كبيرا " فدائما العامل كبير السن يحكم عليه بالقياس بأنه يستطيع أن يحمل للجماعة التي يعيش معها: الحكمة، الخبرة أو على العكس فقدان القوة الجسدية، الأمراض المزمنة، فهناك إذن مهن يمكن أن تستوعب مسن، و أخرى لا و تتبع نوعية المجتمع (متضامن أم لا)، و الحالة الاقتصادية (بطالة، أو عمل كامل)، العمال الكبار مندمجين و محميين أو مطرودين، يبحثون عن خبراتهم أو مهمشين من العمل لأنهم أقل إنتاج أو لا يتوافقون مع تطورات التقنيات و التنظيمات[1].

نظرة المجتمع للشيخ المسن و المتقاعد تختلف من مجتمع إلى آخر، و في الجزائر فإن الشيخ له قدر كبير من الاحترام و التقدير، حيث تستعمل كلمة الشيخ أو الحاج عند مناداته، و كذا حسن معاملته في الحياة اليومية، إلاّ أنه في نفس الوقت هناك نوع من التهميش و حتى بنسبة ضئيلة لعدم مساهمته بشكل فعّال في الحياة اليومية، و كأنه عنصر أعطى ما عليه، و قد مرّ عليه الزمن، فبعد الصدمة التي يتلقاها العامل كبير السن بإحالته إلى التقاعد بشكل مباشر، و بدون تحضير لهذه العملية إلا أفكار و أحكام مسبقة تلقاها العامل من زملائه الذين سبقوه إلى التقاعد يأتي تدهوره الصحي و استقبال المجتمع له بتجريده من الأدوار التي كان يقوم بها أو معظمها قبل التقاعد ليصبح هذا الفرد يعاني من الشيخوخة:

أ- العضوية: و هي شيخوخة بيولوجية تظهر في تدهور أجهزة الجسم، و تتناقص وظائفها تدريجيا؛

ب- النفسية: و هي شيخوخة غير عضوية تظهر في تدهور القدرات العقلية، و تناقص الوظائف النفسية تدريجيا؛

[1] FALZON. P, op.cit, p : 148.

ج- الاجتماعية: و هي شيخوخة غير عضوية تظهر في تغيير الأدوار الاجتماعية، و الظروف الأسرية و تناقص الكفاءة الاجتماعية تدريجيا.[1]

الخروج من العمل و المكوث في البيت يُفقد العامل الاتصالات ما بين الزملاء، و ينقص دائرة التفاعل الاجتماعي، ليدن من التهميش تدريجيا و حتى إلى العزلة الاجتماعية عند بعضهم، كما يعاني من خسارة مادية لتقاضيه لمعاش لا يكفيه لمتطلبات الحياة الأسرية مع التحضر و زيادة الكماليات، و انعدام العلاوات و المكافئات المادية و المعنوية، لدرجة أن هناك من يصبح بلا سكن، لأنه كان في عمله يقطن في سكن وظيفي، و خسارة معنوية لأنه لن يصير مفيدا بعد التقاعد في نظره، و يكتشف أن أصدقاء العمل قد تركوهم في العمل، فلا يبحثون عنه بعده.

يصبح المتقاعد يتخبط في عدة مشاكل نفسية و اجتماعية و اقتصادية و ثقافية و كثرة وقت الفراغ مما يعود عليه بالسوء نتيجة لفقدان مكانته الاجتماعية، و التي تؤثر على سلطته داخل الأسرة، و مع باقي أعضائها كفاعلين اجتماعيين أن تعزَّز مكانتهم و موقعهم في مقابل انخفاض و تدني معنويات الأب المتقاعد، هذا الأب في المجتمع الجزائري قد غرس في أولاده مبادئ احترام الرجل الزوج و طاعته، ضمن قالب لمنظومة ثقافية تمثل جوهر و الثابت في المجتمع، كما شهد المجتمع تغييرا في نمطه و أدوار الرجل و المرأة، بزيادة التعليم و الانفتاح على ثقافات أخرى، و تقلص الأسرة الممتدة إلى نووية كنتيجة للتطور الاقتصادي و الصناعي، و عدة عوامل أخرى جعلت الثوابت الثقافية تتغير، و مكانة و سلطة الأب مع تقاعده و ضعفه و شيخوخته، تدخل في رهان ما بين أعضاء الأسرة الواحدة.

I. كبار السن و المجتمع:

1. نظرة الأبناء للآباء المسنين:

نظرة الأبناء للآباء المسنين تختلف من مجتمع إلى آخر حسب طبيعة الحياة، و البيئة التي ترعرع فيها الأبناء ففي الريف تختلف هذه النظرة عما هي في المدينة، و التنشئة الاجتماعية في الريف و المجتمعات التقليدية تحثّ على احترام و إعلاء مكانة كبير السن، و إعطاء تقدير كبير للدور الاجتماعي مع أخذ النصيحة

[1] كمال إبراهيم مرسي، مرجع سابقن ص: 31.

و الطاعة، و الاستشارة في كل خطوة هم بصدد القيام بها، و نجد هذا النموذج موجود حتى الآن، إذ يصرح أحد المبحوثين: " *أَنَا مْعَيَّشْ سَبْعَة نْتَاعْ النَّاسْ، و ْوْلاَدِي المْتَزَوْجِينْ مْعَايَ، نَأْكْلُوا فِي مَرْمِيتَا وَحْدَة و مَا كَانْشْ اللِّي ْيدِيْر حَاجَة مَنْ مُورَايَ حَتَّى ْيشَاوْرُونِي* ". (المبحوث رقم: 08)

و عن النموذج الحضري يصرح مبحوث آخر: "*ْوْلاَدِي ْيخُّوا فِيَّ و نْبَقَّى أَبَاهُمْ و الحَاجَة اللِّي كْبِيرَة ْيقُولُولِي عْلِيهَا* ". (المبحوث رقم: 02)

تختلف نظرة الأبناء لآبائهم حسب نوعية البنية الأسرية التي ينتمون إليها، و التي تحدد نوعية النظرة و مكانة الأب بالنسبة لهم، فعندما يعيش معه أبناؤه في منزل واحد حيث يدير كل شؤونه، و هو المسؤول الأول على توزيع أدوار العمل، و الخضوع لسلطته حتى مع تزوج الأبناء لأنهم في هذا الوسط لا زالوا في الأسرة الممتدة.

أما بالنسبة للمجتمع الحضري فتغلب على العلاقات الطابع المنفعة الخاصة، و الاهتمام بالمصالح الذاتية و إهمال العلاقات القرابية، فكل فرد مسؤول على نفسه، و يبقى للأب دور رمزي في بعض المناسبات.[1] فمكانة المسن لها دور كبير و بفقدانه للعمل تهتز هذه المكانة التي كان يتمتع بها من قبل، فتتوفر ظروف تجعل من الأب الكبير السن ضعيف أمام أبنائه و مجتمعه، و تبقى نظرة الأبناء مختلفة باختلاف الأسر " فكلما انخفض مركز المسن في الأسرة، و اتجه المجتمع إلى الاستهانة بالمسنين، كلما تعلق شعور المسن باليأس "[2]، فالعيش ملؤه المحبة و التقدير و مراعاة مشاعر كبير السن في الأسرة و المجتمع، يُعطيه قوة معنوية أكبر و يمكن الاستفادة من خبرته و حكمته في الحياة لتعليم الأجيال الأخرى.

و يصرح مبحوث آخر: "*كِي كَانُوا صْغَارْ و كُنْتْ نَخْدَمْ عْلِيهُمْ كَانْ كْلاَمِي ْبُوتْ، و دَرْوَكْ رَاهُمْ قَارِيِينْ و عَنْدُهُمْ خَدْمَة مْلِيحَة مَا عْلاَبَالْهُمْشْ بِيَ* ". (المبحوث رقم: 03)

مكانة الأب الاجتماعية لها تأثير على رد فعل الأبناء تجاهه، حيث يستطيع الأبناء الاستغناء عنه و يتحرّرون من الاحتياج إليه كما كان من قبل، فمبدأ المنفعة يبقى دائما قائم و من لم يقدم مصلحة فقيمته متدنية حتى و إن كان أقرب المقرّبين لأن " التغيير الاجتماعي للأبناء نحو الأعلى قادر على تحديد مستوى الاتصال وجه لوجه، و يؤدي لعزلة الآباء المسنين، و في نفس الوقت لا تكون القطيعة بين هذا و

[1] سيد سلامة إبراهيم، مرجع سابق، ص: 65.
[2] نفس المرجع، ص: 173.

ذاك و التغيير الاجتماعي النازل للأبناء يمكن أن يسبب قطيعات خاصة عندما تكون المكانة الاجتماعية للأب مرتفعة "[1].

تعزيز المكانة الاجتماعية للأبناء و الاعتماد الكامل على قدراتهم، و علاقاتهم الاجتماعية للعيش، و تدبير الأمور يجعل الاتصال بالأب يقل، و ينشغلون في الأعمال و تعقيدات الحياة، كما أنهم ينفصلون عنه ليؤسّسوا منازل خاصة بهم، و قد يصل إلى أكثر من ذلك فيتعرض كبار السن للعقوق من أبنائهم ليأخذ أشكالا عدة منها:

- قطيعة الأبناء للآباء فلا يزورونهم و لا يودونهم
- حرمان الآباء من مساندة الأبناء لهم في الكبر و المرض
- تقاعس الأبناء عن رعاية الآباء و التذمر منها و الإهمال فيها لا سيما في مرحلة كبر السن التأخرة
- إيذاء الآباء نفسيا و بدنيا، فيسبّ الابن أباه أو يضربه أو يطرده من البيت أو يحبسه أو يستولي على أمواله أو يحجر عليه و قد يقتله.[2]

و لا يحدث هذا إلاّ في حالة نادرة خصوصا مع التربية الإسلامية و الثقافة الجزائرية المستمدة لقيمها و معاييرها من الدين كمصدر أول، و حرص الدين على احترام الآباء، و صنّف عقوق الوالدين من الكبائر، و في المرتبة الثانية بعد الشرك بالله.

نظرة الأبناء للآباء المسنين تتبلور في نظرة المجتمع لهؤلاء المسنين، كما تنعكس هذه الأخيرة على تعامل باقي الأجيال مع الجيل الثالث و الرابع.

2. نظرة المجتمع للمسنين:

تختلف النظرة الموجهة للمسنين حسب المجتمعات، و الأفراد، و حسب ثقافتهم، و تنشئتهم الاجتماعية و التربية التي تلقوها من طرف آبائهم فيما يخص احترام الكبير، و إعطائه صورة جميلة من الوقار في نظر باقي الأجيال، فمن خلال تعلم الأبناء رعاية و احترام آبائهم، ينعكس هذا في الشارع و خارج البيت ليحترموا و يقدروا باقي كبار السن دون أن تربطهم أي علاقة بهم، و في الغالب فإن مراحل الإنسان في

[1] DELISLE. M, op.cit, p : 45.

[2] كمال إبراهيم مرسي، مرجع سابق، ص: 79

الحياة تتميز الواحدة عن الأخرى، و من خلالها يكون الحكم على الأفراد المنتمين إليها بصورة عامة حيث يصرح أحد المبحوثين: "*بَكْرِي وَاحَدْ لِي كْبِيرْ نْعَيْطُولَهْ الحَاجْ، و حَتَّى اليَوْمْ بَاقْيَة، نْكَبَّرْ بِيهْ و نْوَاقْرَهْ*". (المبحوث رقم: 06)

فالمجتمع ينظر إلى المسن على أنه في مرتبة عالية من الوقار، و الصلاح و هو أقرب من الله و كثير العبادات، فقد بلغ مرحلة الصفاء ليثق فيه كل أفراد المجتمع، و لا يظنون فيه السوء، و يتجسد هذا في مناداتهم له بالحاج أو الشيخ أو أبي، و معاملاتهم كالقيام في الحافلة لجلوس شيخ مكان الشاب و في المناسبات تكون المبادرة بهم لإكرامهم و الإحسان لهم.

فالمجتمع ينظر إلى فئة الأطفال على أنها مرحلة الحلم و البراءة و الضعف، و مرحلة الشباب بأنها مرحلة الأقوياء جسديا و صحيا، أما " بالنسبة لمركز الشيخوخة ففي معظم المجتمعات الإنسانية تضفي على ذلك المركز رتبة عالية تستلزم الاحترام و التقدير من باقي الأفراد و خاصة الأقارب "[1].

و يصرح أحد المبحوثين: "*الأُسْرَة و المْجْتَمَعْ بِصَفَة عَامَّة كِي نْقُولْ لُهْمْ مْتْقَاعَدْ يَعْنِي مَا بْقَاشْ يْصْلَحْ بَايَنْ لنَّاسْ كَأَنَّهْ جَفْ وَلَّى نَاشَفْ، رَاهُمْ غَالْطِينْ و كَانْ يْتْحَكُّوا بِيهْ يَعْرْفُو بَزَافْ صْوَالَحْ*". (المبحوث رقم: 07)

فمع أن التقاعد عن العمل هو الشيء الذي يطمح إليه بعض الرجال بعد سنوات من العمل المضني، إلا أنه بالنسبة للآخرين لا يعني إلا أنهم أصبحوا لا فائدة منهم، و غير مرغوب فيهم، و قد يدفعهم هذا الشعور بالانطواء كحالة نفور من المجتمع و العيش في قوقعة خاصة بهم، يتشدقون فيها بأمجاد الماضي.

و كأن قيمة الإنسان محصورة في تبادل المصلحة و المنفعة، فالحكم على كبير السن بأنه لا يستفاد منه يبقى نظرة متعلقة و مربوطة بالعائدات المادية، و تنكر المعنوية منها لهذا يهمّش المتقاعد و خاصة الذي لا يعمل مما يعود عليه بتوترات نفسية كالانطواء و الاكتئاب و القلق، " كما أن نوع العمل الذي يزاوله الفرد يحدد مكانته في المجتمع فإذا كان من الأعمال التافهة تهتز مكانته في المجتمع كما تهتز في الأسرة و التعطل يؤدي إلى فقده احترام الأسرة "[2].

[1] وصفي ع، الأنتروبولوجيا الاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، الإمارات العربية المتحدة، ص: 154.
[2] إقبال محمد بشير، مرجع سابق، ص: 110.

و ما يحدد نظرة المجتمع للمسنين نمط المجتمع بحد ذاته إذا كان ريفيا أو حَضَرِيّا، فالريفي يتّسم بعادات و تقاليد تحثّ على احترام و تقدير الشيخ الكبير من خلال وجوده في البيئة الاجتماعية كالعائلة الممتدة و يكون رئيسا لها، أو شيخا يستعان به لحل نزاعات الأفراد عن طريق العرف و ما يُعرف بالجماعة كما له قيمة مبجّلة لاكتسابه و تعلقه بالأرض، و العمل الزراعي و أولاده تابعين له باستمرار من الناحية الاقتصادية.

عكس ذلك في المجتمعات المتحضرة حيث يمتاز بالمنفعة و الاهتمام بالذات، و تعقد الحياة مع زيادة الكماليات و صعوبة العيش، يُهمل المسن و تصبح الرعاية بشكل رسمي[1]، أي ظهور مؤسسات بشكل رسمي تابعة للدولة تقوم بالتكفل بهذه الشريحة من المجتمع، في غياب التضامن الاجتماعي و التهميش الذي تعرفه خاصة البلدان المتطورة و بشكل كبير، و" قد تؤدي مقاومة الجديد و التمسك بالقديم إلى ظهور كبير السن بالمتخلف عن عصره، و الرجعي في آرائه و اتجاهاته و الجامد في تفكيره مما يوسع الفجوة بين جيله و جيل أبنائه "[2] ، فعدم مسايرة المسن التطور و التغير الاجتماعي و التكيف مع المستجدات تبقى أفكاره بالية مما يجعل بقية الفئات للمجتمع، لا تكترث بآرائه، و تكون البداية الأولى و شكل من أشكال العزلة و التهميش الاجتماعي.

3. تضامن كبار السن مع المجتمع:

بمجرد الانتقال من عالم الشغل إلى عالم التقاعد، يتبادر إلى ذهن الإنسان أنه لا يمكن أن يفيد هذا المجتمع و الحياة تتوقف عند هذا الحد بالنسبة له، و قد أدى المطلوب منه و على المجتمع أن يتكفل به، و يحرس على متطلباته و حاجاته، و بالنسبة لنظرة المجتمع إليه على أنه إنسان بلغ منه الكبر ما بلغ، و ما يحمله من ضعف و قلة مال و علاقات اجتماعية، و مع هذا إلا أنه هناك وجهة نظر أخرى و زاوية مفتوحة بالنسبة لكبار السن لأن الدنيا لا تتوقف عن العمل المهني فقط و لكنها تتطلب عدة أمور أخرى لتستمر ليقوم المتقاعد بأعمال تطوعيّة، و مساعدة أفراد المجتمع حيث يصرح أحد المبحوثين: "*كي يَتْزَوَّجْ وَلْدِي*

[1] سيد سلامة إبراهيم، مرجع سابق، ص: 70.
[2] كمال إبراهيم مرسي، مرجع سابق، ص: 58.

نْعاوْنَهْ نْبَنْتَرْ الدَّارْ و نْرَمَّمَها، و نَشْرِي الصَّوالَحْ الصْغَارْ كِما القَهْوَة و السُّكُر تَاعْ نْهارْ العَرْسْ و نَجْرِي مْعَاهْ، نْعاوْنَهْ مَعْنَوِيًا و مَادِيًا، و قَدَّمْلَهْ النَّصِيحَة ". (المبحوث رقم: 06)

يشارك المتقاعد بكل ما لديه للمساعدة في المناسبات و الأيام التي يجدها فرصة لتقديم العون و النصيحة فالمساعدة بنوعيها المعنوية بالنصيحة و الوقوف في الأمور الصعبة، و ماديا بما يملكه أمام الأزمات و بحكم ما يمر عليه الكبير في السن من أزمات و ضغوطات التي تكسبه حنكة و حسن تصرّفن و نظرة بعيدة للأشياء، و " المتقاعدون يلعبون دورا في التضامن العائلي في الغالب هم الأوائل في التحرّك لمساعدة عضو من العائلة في البطالة، كما يقدمون خدمات متعددة للأطفال الصغار (الرعاية و الحراسة...) و يقدمون أيضا حيوية و حركة، رحمة و تضامن محلّي "[1]، و يكون التضامن كبير خاصة في المجتمعات الريفية ذات العائلة الممتدة، حيث الطاعة التامة من الجماعة و العائلة تحت رئاسة الأب أو الكبير في هذا التنظيم.

هذا ما يميز المجتمع الجزائري و المجتمعات العربية أوربية و أخرى متطورة، و حتى على المستوى العالمي الكبار في السن لهم دور كبير في مساعدة باقي الأجيال و من يعيشون معهم خاصة المساعدات المالية على المستوى العالمي: 41% من فئة: (40-59) سنة، و 33% من فئة: (60-79) سنة يساعدون من يحيطون بهم.

و في العالم كذلك: 42% من فئة: (40-59) سنة، و 79% من فئة: (60-79) سنة يقدمون مساعدات مالية لأبنائهم.[2]

يساعد على ذلك أن فئة المسنين قد بلغوا من الحياة كل ما تطوق له أنفسهم، و تجاوزوا كل مراحلها و ما تتطلب من موارد مالية عكس ما هو عليه باقي الأجيال الذين يصارعون الحياة بضرورياتها و كمالياتها و خطواتها و سننها من زواج، سكن، و رعاية الأبناء...، يصرح أحد المبحوثين: "*كِي مْرَضْ وَلْدْ بَنْتِي، كُنْتْ نْعاوْنْ بَنْتِي بالْفُطُوْر و القَهْوَة، نْطَلَّعْ كُلْ اليُومِ الْفُطُوْر للسْبِيطَارْ على السَّاعَة: 7 نْكُونْ تَمَّ*

[1] LAMIQUE. J, IGNACE. B, travailles pour vivre ?,atelie, Paris, 1997, p : 36.
[2] www. Hsbc.fr, l'avenir des retraités, les nouvelles générations seniors, focus, conférence de presse, mardi 22 mai 2007, p : 08.

نَعْطِيهُمْ القَهْوَة و نَقْعُدْ مَعَ الوْلْد الصَّغيرْ، و نَدِّيهْ يْحَوَّسْ مْعَايَ تَمَّ في السْبِيطَارْ، و رَانِي مْعَاهُمْ حتى 11 و نْرَوَّحْ نْدَبَّرْلَهْ الدَمْ مَنْ عَنْدْ النَّاسْ خَطَّرْ كَانْ سَلطَانْ الدَّمْ ". (المبحوث رقم : 04)

يساعد المتقاعد ابن ابنته أي حفيده و يقف معه وقفة الجد الحنون ليخفف عن مرضه و يفسّحه، و يقدم الأكل فهو يساند ماديا و معنويا، و يمنح كل ما يستطيع من جهد بلا ادخار، و تبقى هذه المساعدات شكل من أشكال التضامن في المجتمع، و هذه المرة التضامن بشكل نازل من الآباء إلى الأبناء حيث هناك: 70% في العالم يدركون أن واجب الآباء نحو الأبناء هو العناية بهم، و 75% في العالم من الأجداد يؤكّدون واجبهم بمساعدة أحفادهم[1]، فكبار السن و المتقاعدين عن العمل لهم دور كبير في المجتمع فهناك من يستطيع الاستمرار في العمل و الاستفادة بشكل كبير من خبرته و تدريبه للأجيال الأخرى على المستوى التنفيذي و كذا على مستوى التسيير و إدارة المؤسسات الكبرى، كما تتعدّد أشكال التضامن لهذه الفئة مع باقي الفئات الأخرى، و تعدد أساليب مساعدتهم في هذا المجتمع.

يصرح أحد المبحوثين: "*نُوضْ الصَّبَاحْ بَكْرِي نْتَوَضَى و نْرُوحْ للجَامَعْ، نْقُوتْ على بَنْ عِيسَى نَدِّيهْ مْعَايَ خَطَّرْ مَا يْشُوفْشْ عْمَى نْدِيهْ للجَامَعْ، نْصَلِيوْ عَاوَدْ نْرَدَّهْ للدَّارْ* ". (المبحوث رقم: 04)

مساعدة صديقه و جاره الضرير و أخذه لصلاة الفجر كل يوم بدون كلل و لا ملل، و هذا دليل على تنوع المساعدة و الوقوف مع أعضاء المجتمع مهما كان سنهم و مكانتهم، و هناك دور كبير يقوم به كبار السن في المجتمع و يمكن أن يتجسد هذا الدور في الأشكال المختلفة للتضامن التطوّعي:

أ- التضامن العائلي: عدد كبير من المسنين يؤمّنون حراسة أطفالهم الصغار أثناء عمل الآباء

ب- التضامن الراقي: ميل أصحاب العمر الثالث للتوجه نحو العمر الرابع الذين هم في أمسّ الحاجة للمساعدة

ج- التضامن المتنازل: هو ممارسته تجاه جيل الشباب خارج دائرة العائلة، مثلا شكل مساعدة في الواجبات، زيارة المتحف...

د- التضامن الأفقي: يتطور بين المسنين بتقسيم المصالح أو الاهتمامات المتشابهة .

[1] www. Hsbc.fr op.cit, p : 10

هـ- التضامن المتصاعد: هذا الذي يسمح للمسنين تطوير معارف و قدرات جديدة بالتقرب ممن هم أكثر شبابا: توسيع القدرات المعلوماتية، و التقنيات الجديدة...

تكافل اجتماعي على أعلى مستوى بين الأعمار المختلفة و الأجيال، حسب ثقافتهم المستمدة من الدين الذي يكون دائما و رغم التطور و التغير الاجتماعي للأجيال الركيزة و القاعدة الأساسية و الروح الثقافية، مما يساعد الفرد الجزائري أن يكون متضامنا حتى آخر سنوات حياته و باختلاف أشكال هذا التضامن حسب القدرة المادية و الجسدية و الفكرية، و عن طريق الخبرات المكتسبة على مرّ سنوات متعددة رغم فقده للعنصر الفعال و المنشط و السبب الأول لاستمرار الحياة، هو العمل الذي يكسب منه قُوتَهُ، و إحالته على مرحلة جديدة هي مرحلة التقاعد.

II. الاختلاف و آليات الدفاع عند كبار السن :

1. الاختلاف الثقافي بين الأجيال:

يعيش المجتمع بوجود ثنائية يسير عليها و هي الستاتيكا و الديناميكا الاجتماعية، فالأولى تورّث مجموعة من القيم و المعايير و العرف الاجتماعي، و توفر نوع من الثبات الذي تعرفه المجتمعات، و يستطيع أن يحافظ به على هويته و أصالته، و الثانية هي تحرك أفراد المجتمع الذي يخضع إلى تغيير مستمر و تطور إما إلى الخلف أو الأمام، و بالتالي تتغير معه عدة قيم و معايير و مبادئ أساسية بالنسبة للجيل السالف.

يصرح أحد المبحوثين: " *وْلاَدْ اليَوْمْ خَيْر مَنْ وْلاَدْ بَكْرِي رَاهُمْ مْتعَلْمِينْ و فَاهْمِينْ و مَا تَجَبْرْشْ صُعُوبَة مْعَاهُمْ، يَحْتَرْمُوا الكْبِيرْ، و مَازَالُوا يْعطُولِي الشِّيخْ و يْقَدْرُونِي و أَنَا نَفْرَحْ كِي نَجْبَرْ تَلْمِيذْ نْتَاعِي فِي بْلاَصَة مْلِيحَة، حَاجَة مَشِّي مْلِيحَةِ فِيهُمْ بَاغْيينْ يَهْرْبُوا و يَهْجْرُوا مَنْ البْلاَدْ، فْرَنْسَا تَتْهَلَّى غِي فِي وْلاَدْهَا أَنْتَ وَشْتَ دِيرْ بِيكْ؟* ". (المبحوث رقم: 11)

يصرح هذا المبحوث أن هناك تغيير قد مسّ أبناء هذا الجيل، عكس الجيل الماضي ليثمّن احترام و تقدير الشباب لمعلّهم و من هم أكبر منهم، كما يرى فيهم تطور و رقي باكتسابهم مجالات عمل جيدة، و يرى أمورا لن ترضيه و هي الهجرة إلى بلاد لا يضمن الشاب فيها مصيره، " فانتشار التعليم بين مختلف الطبقات و الفئات الاجتماعية مكّن الكثير من الأفراد من الانتقال إلى مجالات عمل جديدة بالنسبة لعائلاتهم و

الحصول على دخل أحسن، كما زاد من حدة التفاوت الثقافي بين الأجيال، حيث أصبحنا نجد ابن متعلم يحمل ثقافة عالية و مشبّعة بعادات غربية نوعا ما عن ثقافة المجتمع التقليدي الذي ينتمي إليه الأب "[1]، و ساعد هذا الاختلاف الثقافي بين الأجيال الحراك الاجتماعي و كذا التطور السريع و الهائل في مجال التكنولوجيا الذي سهّل نوعا ما الحياة، و عمل على التحضر، و التخلي عن بعض القيم الثقافية و ما عرفه المجتمع الجزائري من تفتح على العالم الخارجي عبر القنوات الخارجية التي غزت البيوت باختلاف مستواها المادي و توعيتها ريفية أو حضرية.

يصرح احد المبحوثين: "*بَكْرِي عَمِّي و النَّاسْ اللّي كْبارْ وَكَانْ يَضَرْبُونَا مَا نْقُولُوشْ لاَّ و مَا نْقُولُوشْ لْوَالْدِينَا بَلِّي ضَرْبُونَا، كُنَّا نَحْشْمُوا و مْرَبِّيِينْ و حتى وَكَانْ la faute مَنْ عَنْدْ الْكْبِيرْ* ". (المبحوث رقم: 04)

يتحدث المبحوث عن نفسه و عن جيله لأنه يرى الفرق الآن، و في نظره الصغار لا يحترموا و ليس لهم حياء تجاه كبار السن، و كأنه يتحصر على ثقافة تعامل كانت في الماضي، عكس أولاد اليوم الذين اكتسبوا و تقبلوا الانفتاح على ثقافات أخرى نتيجة التعليم و على أعلى المستويات، عكس الأجيال الماضية، " كما أن الأب و الجد لم يعودا مركز الحكمة و المعرفة و الرأي السديد كما كان الحال في السابق، حيث أن انتشار المعرفة أنقص نوعا ما من سلطة الأب و السلف "[2]، فبدأت تكبر الفجوة بين الأبناء و الأجيال، و يرى الأبناء أن الآباء جيل قديم قد مر عليه الزمن، و خبرته تبقى بالية مع التطور السريع، و بالنسبة لهم لا بد التخلي عن بعض القيم و تقبل قيم ثقافية أخرى لسهولة الاندماج في هذا العالم الذي أصبح قرية صغيرة، و مفتوحة على الجميع، و عكس ما يراه الآباء و الأجداد أنه انسلاخ و فقدان الثقافة الأصلية و بالتالي الهوية.

يقول أحد المبحوثين: "*هَذَا الجِيلْ مَشِي مْرَبِّي، يَبْغِي يْعَانْدْ الْقُورْ و نْسَى أَصْلَهْ، جَا الْغُرَابْ يَمْشِي مَشْيَتْ الْحَمَامَة تَلَّفْ مَشْيَتَهْ* ". (المبحوث رقم: 09)

فقدان التربية بالنسبة للجيل الحاضر هو ما يصرح به معظم المبحوثين لأنهم يرون أن بعض القيم من غير الممكن أن تتغير بالنسبة لهم، و التعدي عليها يعتبر نقص التربية، كما يلاحظون بعض الأمور يقوم بها الجيل الجديد مأخوذة من ثقافة الأوربيين كاللباس، الحلاقة، الموسيقى، الرقص... و هو بالنسبة لهم خروج

[1] سلسلة الوصل، مرجع سابق، مقال لمحمود بوسنة، ص: 8.
[2] سلسلة الوصل، مرجع سابق، مقال لمحمود بوسنة، ص: 8.

عن الأصل و قيم الثقافة التقليدية و التي ينظرون إليها بشكل مثالي، " بالنسبة لهم الأجيال الشابة فقدت القمنة[1] (el-gamna) التي أخلت بعمق و أفسدت نظام الأشياء "[2]، فعندما تتغير بعض المعتقدات، و بعض الأفكار تظهر رُأى جديدة كالنظام الديمقراطي في الأسرة و تقبل الأجيال الخَلَف فكرة المساواة بين المرأة و الرجل، يراها بمنظور آخر كضعف الرجل و حتى الشك في رجولته، و أن المرأة تسيطر عليه، و إذا انتشرت الأفكار الجديدة و عمّت أغلبية أفراد المجتمع تزيد " الفجوة بين الأجيال بين الفرد و المجتمع و خاصة إذا كانت هذه الفجوة واسعة، مع اختفاء القيم التي كانت موجودة في الماضي مثل التعاطف و التراحم و المحبّة "[3]، فإذا غاب الاتصال بين الأجيال، و غابت العواطف و الاحترام و الود، يبدأ الكبار في الدخول في عالم خاص بهم، حين يصرح أحد المبحوثين: " *هَذَا الجِيلْ مَا يَخْدَمْشْ يَبْغِي غِي السَّاهْلَة حْنَا فِي زْمَانَّا كُنَّا نَخْدُمُوا كُلْ شَيْء، يَعْرْفُوا غِي اللّبْسَة و portable و مَا فِيهُمْشْ النَّيَّة حْنَا كُنَّا نْدِيرُوا الوْعَادِي عْلِيهَا كَانْ كَايَن الخِيْر* ". (المبحوث رقم: 03)

في معظم التصريحات يأتي المبحوث بالاختلاف الذي يراه ما بين جيله و الجيل الجديد، و يقول نحن كنا أو في زماننا أو نحن و كأنه يموقع نفسه في عالمه الخاص، عالم مثالي لا تشوبه شائبة ليصبحوا يعانون من الاغتراب و عدم مسايرة التطور الحاصل و التغير الذي يشهده المجتمع، فيعيشون وقوفا على الأطلال و يبقى " كل جيل ينظر للأيام السابقة على أنها أسعد حالا من حاضره، و الواقع أنه في كثير من الأحيان فإن أيام العصر الحاضر تكون أفضل بكثير من أيام العصر الماضي و ذلك نظرا لانتشار التعليم و المعرفة و كثرة الخبرات و الكشوف و المخترعات المتعددة "[4].

و كنتاج لهذا التفاوت الثقافي تتغير نظرة الأبناء و المجتمع للآباء و كبار السن، و مرحلة الشيخوخة و تكون مصبوغة بصبغة عامة تفسّر كل التصرفات و السلوكيات الموجهة اتجاههم، و على أساسها يكون التعامل معهم.

[1] القمنة: احترام القيم و مراعاة الآخرين و الامتثال للضبط الاجتماعي و التصرف بخلق

[2] ADDI. L, op.cit, p : 19.

[3] إجلال محمد سرى، الأمراض النفسية الاجتماعية، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2003، ص: 128.

[4] www.balagh.com," العلاقات بين الأجيال تواصل أم صراع" لماري يعقوب

2. مقاومة التغيير عند كبار السن:

كنتيجة للتغير الاجتماعي و ديناميكية المجتمع المستمرة، و فقدان كبار السن الحيوية و النشاط الذي يساير هذا التحول في جميع الميادين بصفة عامة، و العائلي بصفة خاصة، مما يخلق تفاوت ثقافي و تراجع في قيمة بعض القيم و المعايير و التي تعتبر مبادئ كان يسير عليها الأجيال السالفة، يقول أحد المبحوثين: " *حْنَا بَكْرِي كَانْ بِيَاتْنَا الوْقَرْ و الحْشْمَة و أَوْلاَدْ اليُومْ مَا رَاهُمْ فَاهْمِينْ وَالُو مَاشْيِينْ فِي طُرْقَانْ مَا يْخَرْجُوشْ، و كِي نَهضْرُوا مْعَاهُمْ يْدِيرُوا رْوَاحْهُمْ هُمَّ الفَاهْمِينْ* ". (المبحوث رقم: 09)

يرفض الكبار تفكير الصغار من الشباب بصفة عامة ليعاتبوا المنحى الذي يسيرون فيه، و تصطدم حكمة و تعقل و تريّث المسنين مع تسرّع و هوى و طيش الشباب زيادة على رفض الأفكار الجديدة، " فلا يقبل كثيرون من كبار السن ما جدّ بعد زمانهم، و يرفضون الأخذ به و يتحصّنون بالماضي، و يحنّون إليه و يقاومون التغيير في أسلوب حياتهم و يتمسّكون بأشيائهم القديمة، ويغضبون من أبنائهم إذا أجبروهم على التخلي عنها أو التخلص منها "[1]، و يدخل كبار السن في تنافس مع الشباب، ليُثبتوا أن أفكارهم هي الصحيحة، و تمثل المثالية، مقابل أفكار تهوّر و طيش، و عدم تعقل و حتمية الفشل في آخر المطاف و انحلال المجتمع و تفكّك الروابط القرابية.

و " يطالب المسنين بتقديم أدوار مقارنة بالشباب، و نتيجة لعدم قدرتهم على ذلك يلجؤون للدفاع عن أنفسهم بمهاجمة الشباب على تصرفاتهم و أفكارهم كوسيلة دفاعية عن قدراتهم الضعيفة "[2]، فيخلق ما يعرف بصراع الأجيال، حيث يريد الكبار الحفاظ على مكانتهم و قيمتهم في المجتمع دون تسليم المشعل للشباب، و يفعلون كل شيء لتفادي التخلي عن أفكارهم و التي أصبحت بالية و غير مجدية بالنسبة للشباب، و تعيق الإبداع و التطور و هؤلاء المسنين " يصعب عليهم تقبل التغيير في أسلوب الحياة و الأفكار و السلوكيات و إن فُرض عليهم واقع ذلك التغيير فإنهم يواجهون بالرفض و عدم القدرة على التكيّف و بالتالي الشعور بالاضطراب و القلق و الخوف أو حتى الكآبة "[3]، حيث يصرح أحد المبحوثين: "

[1] كمال إبراهيم مرسي، مرجع سابق، ص: 57.
[2] مدحت فؤاد حسين، مرجع سابق، ص: 64.
[3] www.calforall.net

دْرَوكْ الزَّمانْ تْبدَّلْ تَهضَرْ مْعَاهُمْ و لاَ مَا تَهضَرْشْ، ْيدِيُروا غِي لِي في رَسْهُمْ، تَوصَلْ تْدَبَرْ مْعَاهُمْ، و مَا ْيسَاعْفُوكْشْ **".** (المبحوث رقم: 10)

عندما تفشل مقاومتهم لهذا التغيير، و يفقدون السيطرة على مجريات المجتمع المحيط بهم، و تنزل قيمتهم بالمقارنة مع أفكار جديدة و قيم ثقافية مؤيّدة من جميع أعضاء المجتمع، و حتى في الوسط العائلي، يصبح الشيخ في حالة نفسية متأزمة من القلق و الخوف و الكآبة و يستعمل طريقة أخرى للدفاع و هي **"** الخُلْفَة**:** حيلة نفسية دفاعية يلجأ إليها كبير السن لإثبات ذاته و إثارة الانتباه إليه، فيعارض الآخرين لا رغبة في العصيان و التمرّد و إنما إثبات وجوده و الدفاع عن مكانته، فيخالفهم من باب خالف تعرف و يشاكسهم و يغيظهم ليؤكّد وجوده، و يقاوم الضغوط التي يفرضها أبناؤه عليه **"**[1]، هذا في حالة فشلهم و عدم تمكنهم من السيطرة و الإبقاء عليها و يتميزون بمكانة هشة في المجتمع لعدم تمكنهم من الحفاظ على مواصلة الطريق على المنوال القديم ، و هناك من يمثلون مناصب عالية، و لهم القدرة على تسيير المجتمع ككل كالسياسيين و أصحاب النفوذ الكبيرة و الأموال، **"** فيعارض كبار السن و أصحاب المصالح التقليدية التغيرات الجديدة إذا هددت عاداتهم التقليدية المستقرة، و إذا عارضت مصالح هؤلاء للخطر يبرّرون معارضتهم بطرق مختلفة و يلبسونها توبا منطقيا **"**[2]، و إذا قوبل هذا التسيير و هذه السيطرة للعقلية البالية لأصحاب المناصب و النفوذ بمقاومة شرسة من طرف الشباب في العالم ككل و في المجتمع المحلي، و يزيد الصراع حتى يصل إلى الأسرة و العائلة**.**

و تنتهي المقاومة عند حد معين حيث يصرح أحد المبحوثين**: "** *كُلْ زْمَانْ و زْمَانَهْ و كُلْ وَقْتْ و وَقْتَهْ، و قَالَكْ اللِّي فَاتُو لِيَامْ مَا يَطْمَعْ في لِيَامْ النَّاسْ* **".** (المبحوث قم: 01)

مقاومة التغيير و الجديد بالنسبة لكبار السن تبدأ في التراجع و مع مرور الزمن يقبل المسن التغيير تدريجيا ليتفاوض حتى على سلطته داخل الأسرة، و يحاول مسايرة الأمر الواقع حتى و إن لم يرد ذلك ليحافظ على محيطه الاجتماعي من التفكك و عزله عن الناس، و **"** لا يقاوم لأن الفارس يدرك أنه خسر المعركة يحاول إذن التقبّل، و إنقاذ المظاهر متفاوضا على سلطته الرمزية و التي يتقاسمها من الآن فصاعدا مع زوجته، دلالة

[1] كما إبراهيم مرسي، مرجع سابق، ص: 57.
[2] محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص: 283.

على أن الوقت تراجع بالكامل "[1]، و يذهب الأب و الجد إلى ممارسة أدوار أخرى في المجتمع ليثبت وجوده تظهر كشكل من أشكال التضامن داخل المجتمع، و مع أفراد الأسرة لإعادة الاعتبار، و تبيان حكمته و حسن تصرّفه و إبرازا لمساهمته المهمة في مجتمعه.

III. الجانب الروحاني عند المسنين :

1. العودة إلى الدين:

تعتبر الأديان من المقومات الثقافية القوية التي تهيكل و توجّه المسارات الاجتماعية الأسرية، و باقي التنظيمات الإنسانية في المجتمعات ككل، و مصدر للفكر الذي يسبق العمل، و ركيزة متينة للاعتقاد و الخضوع لقوة غيبية تسيّر الكون، و مثالية لا بد من بلوغها ليصلح أفراد المجتمع و ينالوا قسطا من السعادة، " فإن الدين الإسلامي يؤدي جملة من الوظائف الظاهرة منها و الكامن، فهو يحافظ على تنظيم المجتمع و ديناميكيته، فهناك علاقة وظيفية بين القيم الدينية و النظام الاجتماعي للحفاظ على النسق الاجتماعي... و من بين وظائفه انه يحافظ على العلاقة الحميميّة بين أفراد الأسر على مستوى الزوجين من خلال توزيع الأدوار و تحديد الحقوق و الواجبات، و بين البنين و البنات، كبار السن و أبنائهم (هن) ثم باقي المجموعات الاجتماعية "[2]، فالدين الإسلامي و من أهدافه الأساسية هو الحفاظ على العلاقات الحميمية بين أفراد المجتمع، و الأسر و ذلك بتحديد الحقوق و الواجبات لكل عنصر تجاه الآخر، و تعتمد الأسر الجزائرية بصفة عامة على الدين للحفاظ على نمط من التعاملات اكتسبتها و ورثتها أبا عن جدا و مازالت تستنبط مبادئها من النصوص القرآنية و السنة الشريفة، ليصرح أحد المبحوثين و يعبر عن طاعة أبنائه له: "*ْولاَدِي بَسِيفْ عَلِيهُمْ ْيطِيعُونِي، أَنَا أَبَاهُمْ و أَنَا المِسْؤُولْ عْلِيهُمْ بَصَّحْ كَايْنْ اللِّي كْبِيرْ و مَا عَنْدَهْشْ المِدْخُولْ حَتَّى ْولاَدْهْ ْيقِيسُوهْ، ْيوَلِّي مَا يَصْلَحْشْ، و تَجْبَرْهْ مَنْ هَذَا إلى هَذَا، الله يَهْدِيهُمْ* ".

(المبحوث رقم: 10)

فطاعة الآباء مفروضة على الأبناء، و حسب تصريح المبحوث و كأننا نلتمس شيئا من التقديس لهذه الطاعة من خلال كلامه، ثم يأتينا بقصة لشخص آخر كبير في السن أهمله أولاده بتعبيره من أجل المال و

[1] ADDI. L, op.cit, p :20.

[2] سلسلة الوصل، مرجع سابق، ص: 348.

هو يستنكر هذه الفعلة بشدة، فمكانت المسن في الدين مكانة عالية حيث أعطى للمسنين و المتقدمين في العمر قدرا من الاهتمام و الرعاية من خلال علاقتهم بما يحطون بهم، فالله عز و جل يأمر و يعوّد الأبناء على طاعة الآباء خاصة عند الكبر و حالة الضعف، و تصل درجة البر بالوالدين إلى درجة عدم التلفظ بأي شيء يزعجهما ككلمة أف، و هي أسمى و أرقى سمات العناية بكبار السن، و التي تجعل الأبناء يتعوّدون عليها و يمارسونها مع باقي كبار السن في المجتمع بطريقة تلقائية و متأصلة فيهم كقيمة اجتماعية.

يقول أحد المبحوثين: "*وَاشْ تْدِيرْ؟ السْمَا نْتَاعُوا و الأَرْضْ نْتَاعُوا وِينْ تْرُوحْ، تْمْشِي للمَارِيكَانْ السْمَا نْتَاعُوا و الأَرْضْ نْتَاعُوا غِي النَّاسْ غَالْطَة و كُلْ وَاحَدْ يَدِّي مَا كْتَابْ لَهْ*". (المبحوث رقم: 10)

يصبح الدين هو القوة الغيبيّة التي تحكم الكون كله، هو تعزية أو بمثابة استسلام للوضع الذي يكون فيه كبير السن و الإيمان بالقدر دون البحث عن التغيير فالماضي و الحاضر و المستقبل بيد الله، ليهيء الدين الجو الاجتماعي المناسب لكبار السن، و أحاطهم بالرعاية و الوقار من باقي أفراد المجتمع، كما يساعدهم من الناحية النفسية، حيث ذكر مايتاس (MATHISUN) في دراسة له عن دور الدين في حياة كبار السن يقول: " إن الدين مفتاح للحياة السعيدة للشيخوخة، لأن الدين يساعد على تقبل واقعه مع الظروف التي يمر بها "[1].

من المعروف أن كبار السن يزيد تقربهم من الله كلما كبروا في السن، و ذلك للتكفير عن ذنوب قد اقترفوها في حياتهم و خاصة في مرحلة الشباب، حيث يصرح أحد المبحوثين"*نْصَلِّي و نْعْبَدْ رَبِّي و نْوَلِّي للدَّارْ فَاتْنَا وَقْتْ اللَّعْبْ، بَنِي آدَمْ كِي يَكْبَرْ صْعِيبْ عْلِيهْ الحَالْ، كَايْنْ اللِّي كَانْ يَشْرَبْ و يَلْهُو جْبَرْ رُوحَهْ في دَارْ العَجَزَة*". (المبحوث رقم: 02)

يصرح هذا المبحوث و يؤكد أن طيش الشباب قد مضى و لابد من تدارك الوقت للتوبة و العودة إلى الطريق الصواب، كما يُظهر أن الجزاء من جنس العمل، و كأنه يؤمن كل الإيمان بدنو نهايته، ليصرح مبحوث آخر: "*رَانِي عَايَشْ كِمَا نْبَغَى الله حَتَّى نْجِي النَّهَارْ اللِّي نَلْقَاهْ*". (المبحوث رقم: 09)

[1] سيد سلامة إبراهيم، مرجع سابق، ص: 151

قمة الرضا بما أعطى الله لهم في حياتهم حتى نهايتها و ملاقاة الله خصوصا إذا شهدوا موت الآخرين من رفاقهم أو شركاء حياتهم، و هناك من يمارس الدين للخروج من قوقعة العزلة و الإحساس براحة نفسية و القضاء على وقت الفراغ في أشياء مفيدة و منجية لهم.

2. البعد الروحي عند كبار السن:

مع بلوغ الإنسان سن ستين سنة فما فوق، يدرك أنه بلغ شوطا كبيرا من حياته أكبر مما تبقى له من عمره، و مع ضعفه و تدهور صحته في غالب الحالات و موت أحد الأصدقاء أو شريك العمر، يترسّخ اعتقاده بدنوّ وفاته، ليبدأ بتصحيح أخطاء شبابه و الابتعاد عن المعاصي و الاقتراب من ربّه.

المقولة الشهيرة عند المجتمع الجزائري خاصة الكبار منهم: " اخدم يا صغري لكبري، و اخدم يا كبير لقبري "، حيث يصرح أحد المبحوثين: " *الإنْسَانْ ْيَولّي للدِّينء كِي يَكْبَرْ، خَطَرْ كَانْ في الجِهَادْ و دَرْوَكْ رَاهْ ْمسْتَقَلْ، يَبْقَى من الجَامَعْ للدَّارْ، مَا ْبقَاشْ من بَعْدْ 60 سَنَة تْخَالَطْ النَّاسْ في القْهَاوِي و تَهْضَرْ في النَّاسْ*". (المبحوث رقم: 06)

يعبر المبحوث و يمثل العمل بالجهاد و التقاعد هو استقلال و حرية، و لا بد عليه أن يستغل هذه الحرية و هذا الوقت بشكل صحيح خاصة ما بعد 60 سنة، ليبتعد عن أصحاب السوء و يؤكد على الذهاب إلى المسجد الذي يمثل بالنسبة له الاقتراب و التقرب من لله، " فيرغم كثيرون من كبار السن في عمل ما يرضي الله، فيَقبِلون على عمل الحلال و الابتعاد عن الحرام، و يجتهدون في العبادات لزيادة رصيدهم عند الله "[1]، و يساعدهم على ذلك احترام الآخرين لهم ككبار في السن و كأنهم منبع الصلاح، و يطمحوا إلى حسن الخاتمة بعدما اجتازوا كل الخطوات في هذه الحياة، و تبقى أهمية كل واحد منهم هو إتمام الركن الخامس من أركان الدين الإسلامي و هو الحج، و كان جواب معظمهم عندما طرح السؤال الآتي: ماذا تتمنى في المستقبل؟، هو الذهاب إلى البقاع المقدسة.

حيث يصرح احد المبحوثين: " *في الزْمَانْ اللّي رَاهْ جَايْ نْتَمَنَّى غِي حُجَّة لِيَ و إلى المَرْأة و إلى جَاتْ المَوتْ مَرْحَبَا بِهَا* ". (المبحوث رقم: 10)

[1] كمال إبراهيم مرسي، مرجع سابق، ص: 85.

ففي آخر المطاف و نهاية المشوار يريد الإنسان الذهاب إلى البقاع المقدسة، ليتمم دينه و لتكون بداية حسنة له بعد الحج للتقرب من الله عز و جل، ليُعينه على الحفاظ على العبادات و التمسّك بما هو حلال و الابتعاد عن ما هو حرام ، " فمساعدة كبار السن على تنمية البعد الروحي و تشجيعهم على العبادات و تسير حضورهم لمجالس العلم، و مشاركتهم في رحلات الحج و العمرة و الزيارات الروحية، من عوامل تنمية صحتهم النفسية و الجسدية و حمايتهم من الأمراض و الاضطرابات "[1].

يجذ كبير السن راحة نفسية و طمأنينة عندما يقترب من لله بعبادته، و مشاركته في النشاطات الدينية و يُنمي حسّه بالرضا النفسي مما يجعله مستقرا و متّزنا مما يعود عليه بالصحة الجسدية، و العبادة التي يعتمد عليها كبير السن هي الصلاة بالدرجة الأولى و يعطيها قدرا أكبر من باقي العبادات ليصرح أحد المبحوثين: " *الْكْبِيْر يَا وَلْدِي مَا نْبَقَالَهْ غِي المَاء و القَبْلَة و مَادَابِيْهْ يَجْبَدْ على النَّاسْ اللِّي مَشِّي نْمَلاَحْ و من الجَامَعْ للدَّارْ* ". (المبحوث رقم: 11)

يوضح هذا المبحوث ما يلزم على كبير السن أن يقوم به، و هو الصلاة و الابتعاد عن الأشخاص غير الصالحين، و الاعتكاف في المسجد، لتتلخص حياته بين المسجد و المنزل تحضيرا للخطوة المقبلة و هي الموت و الانتقال إلى حياة البرزخ و الآخرة.

3. إدراك دنو الموت عند كبار السن:

اعتكاف المتقاعدين و كبار السن في المساجد، و عدولهم عن أعمال كانوا يقومون بها في شبابهم و الابتعاد عن المحرّمات و الاقتراب من العبادات كلها ردود فعل على إدراكهم بدنو وفاتهم و نهاية حياتهم، فالموت هي حقيقة تدرك أي إنسان و في كل مراحل عمره، إلا أن الإنسان كبير السن يشعر بدنو وفاته لعدة أساب: كالضعف الجسدي و الذهني، و كذا موت الآخرين من حوله كالأصداء و ربت البيت، حيث يصرح أحد المبحوثين: " *لِي كُنْتْ نَعْرَفْهُمْ قَاعْ مَاتُوا و نْتَبَدَّلْ الجِيلْ نْتَبْدَلُوا النَّاسْ* ". (المبحوث رقم:02)

[1] كمال إبراهيم مرسي، مرجع سابق، ص: 85.

يصبح المتقاعد يحس بالوحدة بعد موت أصدقائه و من كان يعيش معهم، و هي حقيقة تؤكّد على أن الموت آت لا محالة خصوصا إذا ما توفي المقربون إليه من أعضاء أسرته و شريك حياته، فيبدأ المتقاعد و كبير السن يدرك أن العمر الذي قضاه أكبر مما تبقى له من الحياة.

يصرح أحد المبحوثين: " *الصَّلاَة و الدِّينْ يْحِي في الأَوَّلْ، و اللِّي بْقَى يْحِي مُورَاهُمْ، الإِنْسَانْ مَا يَدِّيشْ مْعَاهْ هَذَا الدُّنْيَا حْدَادْتَهَا شْبَرْ، و مَا بْقَاشْ قَدْ اللِّي فَاتْ* ". (المبحوث رقم: 12)

البعد الروحي و التقرب من العبادات و الصلاة و الابتعاد عن الدنيا و ملذاتها و عدم الانشغال بها، هذا يبين وعي كبير السن الكامل باقتراب وفاته فسُنّة الكون لكل بداية نهاية.

حسب كمال إبراهيم مرسي يقسم التفكير في الموت عند كبار السن إلى ثلاثة أصناف:

أ- نمط الغفلة عن الموت و الاستخفاف بها و الانشغال بالدنيا للدنيا، و الانفعال بها و بملذاتها، فيحرص كبير السن على الدنيا و كأنه يعيش أبدا و لا يذكر الموت هادم الملذات، و مفرّق الجماعات الذي قد يأتيه بغتة، أو يأتيه على مراحل فيقع في صريع المرض و العجز...

ب- نمط الانشغال بالموت و الخوف منه و الانفعال به، و الجزع منه، فيعاني كبير السن من الوسواس القهري بالموت، أو قلق الموت، و يعيش في هم و غم و خوف و هلع من الموت الذي ينتظره و يتوقعه في كل لحظة و يكتئب بسببه...

ج- نمط التفكير في الموت مع فهم حقيقته والتعامل معه بموضوعية و واقعية، فالموت حق و التفكير فيه يدفع إلى العمل في الدنيا من أجل الآخرة...[1]

و يبقى التفكير في الموت شيء معنوي لا يقاس و كل فرد و إيمانه و ظروفه التي مرّ بها و يمرّ بهان إلاّ أن حقيقية الموت يدركها كل فرد شابا أو مسنا فإن لم يتذكرها كل يوم فإنه يتذكرها في حالات خاصة كوفاة، أو عجز و تدهور صحته و ضعفه.

يقول أحد المبحوثين: " *الدُّنْيَا فَانْيَا يَا وَلْدِي و كِي يْكْبْرَنَا مْعَ المْرَضْ تْجِيكْ خَطْرَة على خَطْرَة تْبَقَى تْحَسْ بَلِّي حْلاَصْ المَوتْ رَاهَا تْنَادِيكْ مَا الصَّابَاكْ تْوَلِّي للخَط و من الجَامْعْ للدَّارْ* ". (المبحوث رقم: 14)

[1] كمال إبراهيم مرسي، مرجع سابقن ص: 183

فالاستعداد للموت يتجسد بالاقتراب من الله و البعد الروحي الذي يرضي به كبير السن نفسه، و تذكر الموت يكون كبيرا عند البعض في حالات: كالمرض المزمن و الخطير و العجز و النوبات القلبية و ارتفاع ضغط الدم، و حالات الإغماء يكون فيها الموت قريبا جدا بالنسبة لكبار السن.

خاتمة:

ربطنا المتقاعد بخصائص كبار السن لأنه في أغلب الأدبيات التقاعد له علاقة مع كبيري السن، فالإنسان و إن تقاعد مع بلوغه سن الستين أو الخامس و الستين سنة، تبدأ نظرة المجتمع إليه على أنه دخل سن الشيخوخة، و إذا قلنا دخل سن الشيخوخة تكون نظرة احترام و تقدير لهذا الشيخ، زيادة على نظرة شفقة و احتقار أحيانا لأفكاره البالية خاصة و أن الجيل الماضي لم يدرس في أغلبيته نتيجة الاستعمار.

و التغير في الأفكار بين الأجيال يصاحبه صراع بين الأب و الابن، و بين الزوج و الزوجة إذا ما تقاعد و أصبح يراقب كل صغيرة و كبيرة عن كثب، لدرجة نجد كلامهم ينحصر في التحصّر على الماضي الذي يعتبر بالنسبة لهم العالم المثالي، من حيث الأخلاق و التعامل بينهم، و من حيث طريقة الزواج و في كل صغيرة و كبيرة في هذه الحياة.

فهو قد غرس ثقافة في أبنائه و أسرته، فهل يتخلى عنها الآن؟، من المستحيل في نظره، و ما يميز هذه الفئة على أغلبيتها أنها تعاني من الأمراض المزمنة، و إن لم تكن مزمنة فيشكون من الإعياء و نشاطهم محدود، و مع هذا نجدهم يساعدون باقي أفراد العائلة في تربية الأبناء و تقديم النصيحة، و هناك من يرعى أباه أو أمه من الجيل الذي سبقه من الذين ينتمون إلى الفئة العمرية الرابعة...

بعد الشيبة و ضعف المتقاعد كشيخ من الناحية الجسدية و الذهنية تصعب حياته و تتعقد أكثر، فهو قدّم للمجتمع، فهل المجتمع يقدم له ما يحتاجه؟، هو رعى و ربى أبناءه، فهل يرعاه أبناءه؟، و أسئلة كثيرة تطرح.

لهذا مع تيقنه أن الحياة بدأت في نهايتها، يبدأ الاهتمام أكثر بعلاقته مع ربّه أي العودة إلى الدين، ليقول مقولته الشهيرة: " اخدم يا صغري لكبري، و اخدم يا كبري لقبري "، إيمانا منه بقرب أجله فيحضّر للقاء ربه.